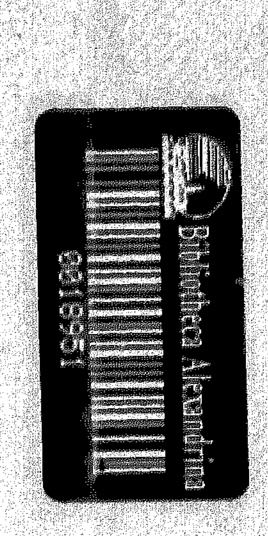
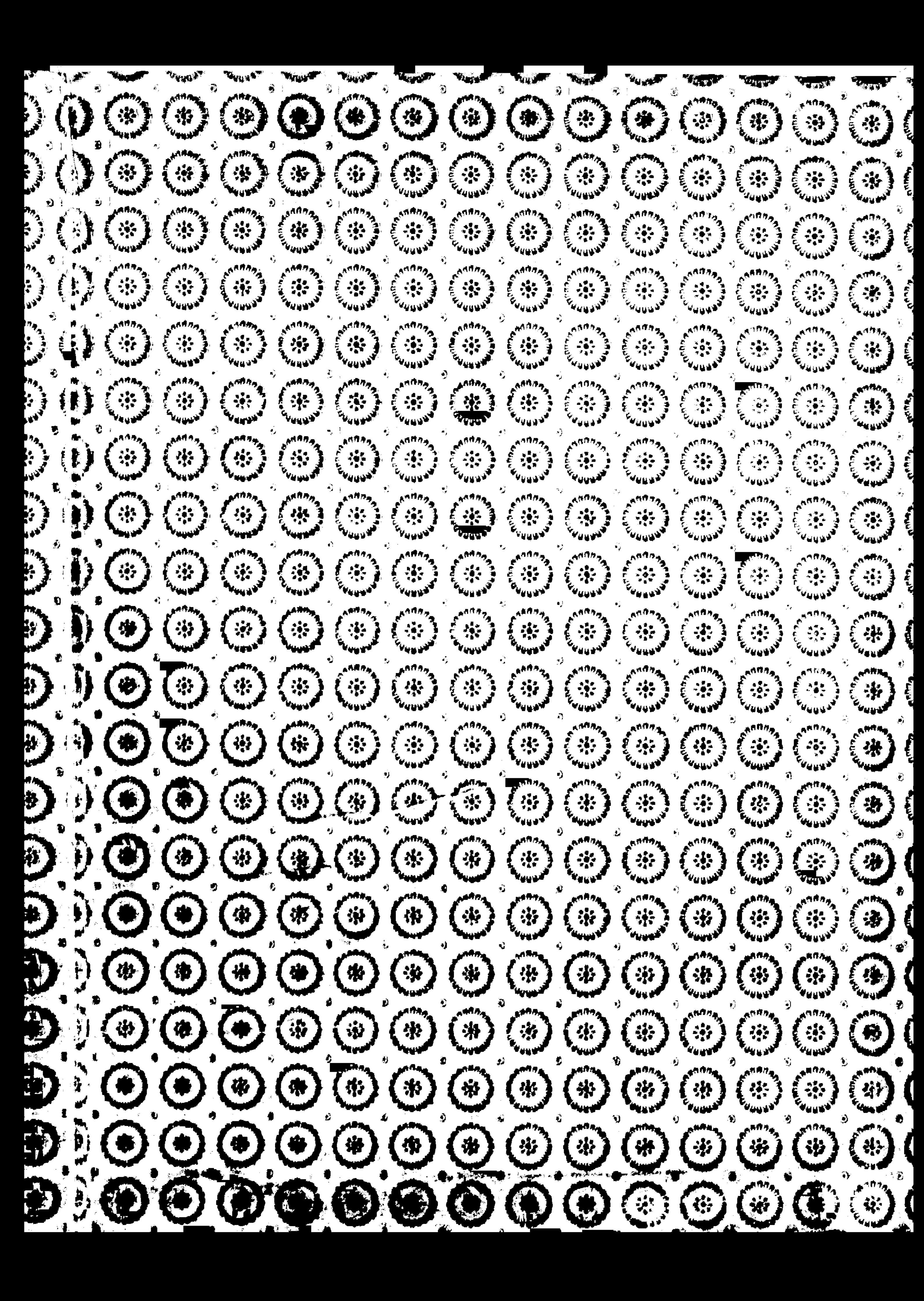
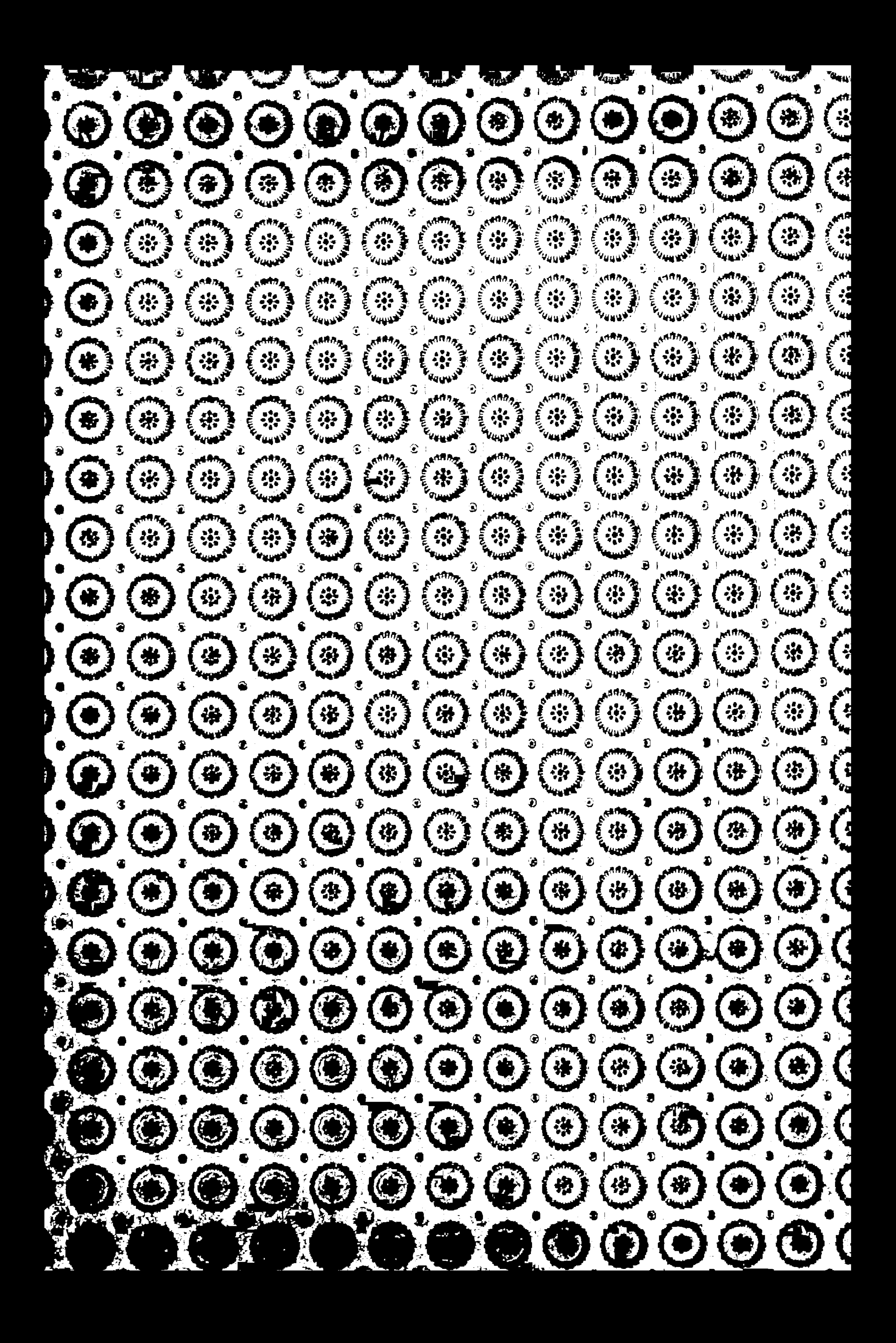








كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

الجزء الثاني والعشرون

تحقيق

علي السباعي عبد الكريم العزباوي

إشراف

محمد أبو الفضل إبراهيم



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٤

المكتبة العربية

تصدرها

الهيئة المصرية العامة للكتاب

بالاشتراك مع

المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان

اشترك فى تحقيق هذا الجزء الأساتذة على السباعى وعبد الكريم إبراهيم العزباوى ومحمود محمد غنيم ، وقام بمراجعته الأستاذ حسن على عطية . وروجعت تراجمه وأخباره وأشعاره على ما يقابلها من المخطوطات المعتمدة فى التحقيق ، وقد وصفت فى مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة .

وضم إلى تراجم هذا الجزء ترجمة الربيع بن أبى الحقيق . وهى من التراجم التى لم ترد فى طبعة بولاق ووردت فى ملحق برنو لهذه الطبعة ، وقد وضعت فى موضعها بحسب النسخ المخطوطة المعتمدة .

وقد ألحقت به الفهارس المتنوعة طبقا لنظام طبعة دار الكتب بعد إدخال بعض التعديلات كما ذكرنا ذلك من قبل ؛ وقام بإعداد هذه الفهارس الأستاذ على عبد المحسن .

أما الجزآن الأخيران : الثالث والعشرون والرابع والعشرون فإن العمل يجرى فيهما ، ونرجو أن يظهرا قريبا إن شاء الله .

والله الموفق للرشاد

محمد أبو الفضل إبراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبار خالد بن عبد الله

هو خالدُ بنُ عبدِالله بنِ يزيدَ بنِ أسدِ بنِ كُرْزِ بنِ عامرِ بنِ عبدِالله بنِ عبدِ شمسِ بنِ غَمْغَمَةَ بنِ جريرِ بنِ شِقِّ بنِ صَعْبٍ — وشِقُّ بنُ صعبٍ هذا هو الكاهنُ المشهور — بنِ يَشْكُرَ بنِ رُهْمِ بنِ أفزل[(1)] — وهو سعدُ الصبح — بن زيد بن قَسْر بن عَبقر بن أنمار بن إراشِ بنِ عمرِو بنِ لحيانَ بنِ الغوثِ بنِ القرز ، ويقال : الفرز بن نَبْتَ بن مالك بن زيدِ بنِ كَهلانَ بنِ سبأ بنِ يَشْجُبَ بنِ يعرُبَ بنِ قحطانَ .

فأما غَلَبةُ بجيلَةَ على هذا النسبِ وشهرتِه بها فإن بجيلةَ ليست برجل ، إنما هي امرأة قد اختُلِفَ في نسبها ، فقال ابنُ الكلبي : يقال لها بجيلةُ بنت صعب بن سعد العشيرة ، تزوجها أنمارُ بنُ إراش فولدت له الغوثَ ووداعةَ وصُهَيْبَةَ وجَذِيمَةَ وأشهلَ وشهلاءَ وطريفًا والحارثَ ومالكًا وفهمًا وشيبة. قال ابنُ الكلبي: ويقال: إن بجيلة امرأةٌ حبشيَّة كانت قد حضنت بني أنمار جميعاً غيرَ خَثعم ، فإنه أُفرِد فصار قبيلة على حِدَتِه ، ولم تحضنْهُ بجيلةُ ، واحتج من قال هذا القول بقول شاعرهم[(2)] :

وما قَرُبت بجيلةُ منك قربى بشيءٍ غيرِ ما دُعِيَتْ بجَيلَه[(3)]
وما لِلغوثِ عندكَ أن نُسِبْنا علينا في القرابة من فضيله[(4)]
ولكنّا وإيّاكم كَثُرنا فصِرنا في المحلِّ على جَدِيله

جَدِيلة هاهنا موضع لا قبيلة ، وهم أهلُ بيت شرف في بجيلةَ ، لولا ما يقال في عبد الله

(1) في بعض النسخ : «أفرك» وفي أخرى اختلاف في تسمية أفرك هذا عما هو وارد في هذا الأصل .

(2) شاعرهم : شاعر خثعم على ما يبدو .

(3) «ما» من قوله «غير ما دعيت بجيلة» مصدرية ، أي أنت لا تمت إلى بجيلة بقربى غير مجرد الدعوى ، فإنها ليست أمي ولا أمك .

(4) الغوث : من أجداد خالد ، راجع سلسلة النسب .

ابن أسد ؛ فإن أصحابَ المثالب يَنفونه عن أبيه[١] ، ويقولون فيه أقوالا أنا ذاكرها فى موضعها من أخبار خالد المذمومة فى هذا الموضع من كتابنا — إن شاء الله — وعلى ما قيل فيه أيضاً ؛ فقد كان له[٢] ولابنه خالدٍ سُؤْدُدٌ وشرف وجود .

جود كرز

وكان يقال لِكُرْز كُرْزُ الأعِنَّة ، وإياه عنى قيسُ بن الخطيم بقوله — لما خرج يطلب النصر على الخزرج — :

فإن تنزلْ بذى النَّجدَاتِ كُرْزٍ تُلاقِ لديه شَرْباً غيرَ نَزْرِ[٣]
له سَجْلان سَجْلٌ من صريحٍ وسجلُ رثيئةٍ بعتيق خمرِ[٤]
ويمنعُ مَن أراد ولا يُعايا مُقاماً فى المحَلة وسْطَ قسرِ[٥]

جده أسد بن كرز

وكان أسدُ بن كُرْز يُدْعَى فى الجاهلية رَبَّ بجيلة ، وكان ممن حرّم الخمر فى جاهليته تنزُّها عنها ، وله يقول القَتّال السُّحَمِىّ :

فأبلغ ربَّنا أسَدَ بن كُرْزٍ بأنّ النأىَ لم يك عن تَقالى

وله يقول القتّال يعتذر :

فأبلغ ربَّنا أسدَ بنَ كُرْزٍ بأنّى قد ضَلَلْتُ وما اهتديْتُ

(١) فى هج : « عن أمه » .
(٢) ضمير له يعود على عبد الله من قوله : « لولا مايقال فى عبد الله » .
(٣) شربا : جمع شارب ، كسفر وركب .
(٤) سجلان : تثنية سجل ، وهو الدلو العظيمة ، صريح : لبن صريح ، الرثيئة : اللبن المحلوب على حامض ، فلعله يريد أنه كان يقدم هذا المشروب ممزوجا بالخمر ، أو يريد أنه يقدم دلو الرثيئة مملوءا بالخمر لا بالرثيئة ، وفى هج ، هد « وثيلة » بدل « رثيئة » ولا وجه له ، وفى بعض النسخ « ربيلة » والربيلة : الخفض والنعمة ، والتخريج على هذا المعنى مقبول .
(٥) لا يعايا : من المعاياة بمعنى لا يضار ، قسر : بطن من بجيلة ، نائب فاعل « معايا » ضمير من أراد ، مقاما : تمييز ، وفى هج « مقيم » بدل « مقاما » وعليه يكون كلمة « مقيم » نائب فاعل معايا ، وفى هد « مقيما » على الحالية من « أراد » وفحوى البيت أن كرزا يمنع النزيل ، فلا تلحقه مضارة مادام نازلا وسط قسر .

وله يقول تأبّط شرًّا :

وجدتُ ابنَ كُرْز تستهلُّ يمينُهُ ... ويُطلق أغلالَ الأسير المكبَّل[1]

جده أسد وبنو سحمة

وكان قوم من سُحْمة عرضوا لجار لأسد بن كرز ، فأطْرَدوا إبلاً له ، فأوقع بهم أسد وقعة عظيمة فى الجاهلية ، وتتبعهم حتى عاذوا به ، فقال القتّال فيه عدة قصائد يعتذر
٥ إليه لقومه ، ويستقيله فعلَهم[2] بجاره ، ولم أذكرها ههنا لطولها ، وأنَّ ذلك ليس من الغرض المطلوب فى هذا الكتاب ، وإنما نذكر ها هنا لُمعاً[3] وسائرُه مذكور فى جمهرة أنساب العرب الذى جمعت فيه أنسابَها وأخبارها ، وسمَّيته كتابَ التعديل والانتصاف.
ولبنى سُحمة يقول أسد بن كرز فى هذه القصة ، وكان شاعراً فاتكاً مغواراً :

ألا أبلغا أبنــاءَ سُحْمَةَ كُلَّها ... بنى خثعمٍ عنىّ وذَلَّ لخثعم[4]

١٠ فمــا أنتمُ منّى ولا أنا منكم ... فراش حريقِ العَرْفَجِ المتضرِّمِ[5]

فلستُ كمن تُزرى المقالةُ عِرضَه ... دنيئاً كعود الدوحةِ المترنِّمِ[6]

وما جارُ بيتى بالذليل فَتُرتجى ... ظُلامَتُه يوماً ولا المتهضَّمِ

وأقْوَلُ آبائى وقسرٌ عمارتى ... هما ردّيانى عِزّتى وتكرُّمى

وأحمسُ يوماً إن دعوتُ أجابنى ... عرانينُ منهم أهل أيدٍ وأنعمِ[7]

١٥ (١) تستهل يمينه : تجود ، مأخوذ من استهل المطر : بمعنى تدفق
(٢) يستقيله فعلهم : يطلب إليه إقالتهم من عقوبة ذنبهم
(٣) لمعا : جمع لمعة : بمعنى بلغة من العيش ، شبه بها النتف من الأخبار .
(٤) بنو خثعم : بطن من أبناء سحمة ، وفى الأصل « فتى خثعم » بدل « بنى خثعم » .
(٥) العرفج : شجر يتخذ منه الوقود ، كأنه يقول : بينى وبينكم فراش حريق العرفج المتضرم .
٢٠ (٦) المترنم : من الرنمة ، وهى نبات دقيق ، يقول : لست ممن تدنس أعراضهم قالة السوء ، وليس عرضى حقيرا كعود الشجرة الرانى الدقيق .
(٧) عرانين : جمع عرنين : السيد الشريف ، الأيد : القوة والبطش .

فمن جار مَوْلىً يدفع الضيمَ جارُهُ إذا ضاع جارى يا أميمةُ أوْ دمى(١)
وكيف يخاف الضيمَ من كان جاره مع الشمس ما إن يستطاع بسلم

وهى قصيدة طويلة .

ولأسد أشعار كثيرة ذكرتُ هذه منها هاهنا لأنْ تعلم إعراقَهم فى العلم والشعر، وسائرُها يُذكر فى كتاب الشعراء مع أخبار شعراء القبائل ، إن شاء الله تعالى .

إسلام جده أسد وابنه يزيد

وأدرك أسدُ بنُ كُرْزٍ الإسلامَ هو وابنُه يزيد بنُ أسد ، فأسلما ، فأما أسدٌ فلا أعلمه رَوَى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله رواية كثيرة ، بل ما روى شيئاً .

وأما يزيد ابنُه فروى عنه رواية يسيرة ، وذكر جريرُ بن عبد الله خبرَ إسلامه ، حدَّث بذلك عنه خالدُ بن يزيدَ عن إسماعيلَ بن أبى خالد ، عن قيس بن أبى حازم ، عن جرير بن عبد الله ، قال :

أسلم أسدُ بن كرز ، ومعه رجل من ثقيف ، فأهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم قوساً ، فقال له : يا أسد ، من أين لك هذه النَّبْعَةُ ؟ فقال : يا رسول الله تنبُتُ بجبالنا بالسراة ، فقال الثقفى : يا رسول الله ، الجبلُ لنا أم لهم ؟ فقال : بل الجبل جبل قسْرٍ ، به سمى أبوهم(٢) قسْر عبقر . فقال أسد : يا رسول الله ، ادْعُ لى . فقال : اللهم اجعل نصرك ونصرَ دينك فى عقب أسد بن كُرْز . وما أدرى ما أقول فى هذا الحديث ، وأكره أن أكذِّب(٣) بما رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،(٤ ولكن ظاهر الأمر يوجب أنه٤) لو كان رسول الله صلى الله عليهُ وسلم دعا له بهذا الدعاء لم يكن ابنه مع معاوية يقاتلين على علىٍّ أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه . ولا كان ابن ابنه خالدٌ يلعنه ، على

(١) دمى : الدم الذى أطلبه فى ثأر ونحوه ، وفى الأصل كان المصراع الثانى من هذا البيت مع المصراع الأول من البيت التالى ، وكان المصراع الثانى من البيت التالى مكانه ، وهو خطأ .
(٢) فى الأصل بدل « أبوهم » « ابراهيم » وهو تحريف .
(٣) فى هج : « وأكره أن أكذب من روى عن ......الخ » .
(٤-٤) تكملة من « هج » .

المنبر . ويتجاوز ذلك إلى ما ساء ذكره من شنيع أخباره — قبحه الله ولعنه — إلا أنى أذكر الشيء كما رُوِى ، ومَنْ قال على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ما لم يَقُل فقد تبوّأ مقعده من النار . كما وعده عليه السلام .

منافرة بين جده جرير وقضاعة

وكان جريرُ بن عبد الله نافرَ[1] قضاعة ، فبلغ ذلك أسدَ بن عبد الله ، وكان بينه وبينه — أعنى جريراً — تباعدٌ ، فأقبل فى فوارسَ من قومه ناصراً لجرير ومعاوناً له ومنجداً ، فزعموا أن أسداً لما أقبل فى أصحابه ، فرآه جرير ، ورأى أصحابَه فى السلاح ارتاع ، وخافه ، فقيل له : هذا أسدٌ جاءك ناصراً لك ، فقال جرير : ليت لى بكل بلد ابنَ عم عاقًّا مثلَ أسد ، فقال جندةُ بنُ عبد الله الخزاعى يذكر ذلك من فعل أسد :

تداركَ رَكْضُ المرء من آل عبقر جريراً وقد رانت عليه حلائبُه[2]

فنفّسَ واسترخى به العَقْدُ بعد ما تغشّاه يوم لا تَوارى كواكبه[3]

وقاك ابن كُرْزٍ ذو الفَعَال بنفسه وما كنتَ وَصّالا له إذ تحاربُهْ

إلى أسدٍ يأوِى الذليلُ ببيته ويلجأ إذ أعيت عليه مذاهبُهْ

فتى لا يزال الدهرَ يحمل مُثْقَلاً إذا المجتدَى المسئول ضَنّت رواجِبُه[4]

جده يزيد يروى حديثا

وأما يزيد بن أسد فقد ذكرت إسلامه وقدومَه مع أبيه على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنه أيضاً حديثاً ذكره هُشَيْمُ بن بشر الواسطيّ عن سنان بن أبى الحكم قال : سمعتُ خالدَ بن عبد الله القسريّ ، وهو على المنبر يقول :

(١) نافره : خاصمه وفاخره .

(٢) الركض : العدو السريع ، رانت عليه : غلبت عليه ، والضمير يعود على المرء لا على جرير ، والمراد أنه غلب عليه لبن الرضاع ، فتدارك ذا رحمه ، على ما بينهما من شقاق .

(٣) نفس : نفّس ، والفاعل ضمير جرير ، توارى : أصله تتوارى ، وكنى بقوله : لا توارى كواكبه عن طول الليل ، وكنى بطويل الليل عن الهم والأرق .

(٤) الرواجب : أصول الأصابع ، مفردها : رجبة من الأعطية والديّات ونحوها ، ضنت رواجبه : بخلت يده . وفى الأصل المجدول بدل المسئول ، والمثبت من هد ، هج .

حدثنى أبى عن جدّى يزيدَ بن أسد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا يزيد ، أحبِبْ للناس ما تُحبُّ لنفسك . وخرج يزيدُ بن أسد فى أيام عمر بن الخطاب فى بعوث المسلمين إلى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً فى اليمن عَظِيم الشأن .

جده يزيد يخف لنصرة عثمان

ولما كتب عثمان إلى معاويةَ حين حُصِر يستنجده بعث معاوية إليه بيزيد بن أسد فى أربعة آلاف من أهل الشام ، فوجد عثمانَ قد قُتِل . فانصرف إلى معاويةَ ، ولم يُحْدِثْ شيئاً ، ولما كان يوم صِفّينَ قام فى الناس فخطب خطبة مذكورة ، حرضهم فيها . فذكر من روى عنه خبره فى ذلك الموضع أنه قام وعليه عمامةُ خزٍّ سوداء ، وهو متكئ على قائم سيفه ، فقال بعد حمد الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم : وقد كان من قضاء الله جل وعز أن جمعنا وأهلَ ديننا فى هذه الرقعة من الأرض ، واللهُ يعلم أنى كنت لذلك كارها ، ولكنهم لم يُبْلِعُونا ريقنا ، ولم يدعونا نَرْتاد لديننا وننظر لمعادنا ، حتى نزلوا فى حريمنا وبيضتنا[1] . وقد علمنا أنَّ بالقوم حلماءَ وطَغامًا . فلسنا نأمن طَغامهم على ذرارينا ونسائنا ، وقد كنا لا نحب أن نقاتل أهلَ ديننا ، فأحرجونا حتى صارت الأمور إلى أن يصير غداً قتالُنا حَمِيَّةً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، والذى بعث محمدًا بالحق لوددتُ أنِّى مِتُّ قبل هذا ، ولكن الله تبارك وتعالى إذا أراد أمرا لم يستطع العبادُ ردّه ، فاستعينوا بالله العظيم ، ثم انكفأ .

خطبة جده يزيد فى صفين

خمول أبيه عبدالله

ولم تكن لعبدالله بن يزيد نباهةُ مَنْ ذكرت من آبائه ، وأهلُ الشام يقولون : إنه دعىّ ، وكان مع عمرو بن سعيد الأشدق على شرطته أيامَ خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قُتل عمرو هرَبَ حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمَّن الناس عامَ الجماعة ، فأمَّنه ، ونشأ خالد بن عبد الله بالمدينة ، وكان فى حداثته يتخنَّث ، ويتتبع المغنين والمخنثين ويمشى بين عمرَ بن أبى ربيعة وبين النساء فى رسائلهن إليه وفى رسائله إليهن ، وكان يقال له خالد الخِرِّيت[2]

خنوثة خالد فى نشأته

(١) البيضة : الحوزة والحمى .
(٢) الخريت : الدليل الماهر فى أمر الدلالة .

فقال مصعب الزبيرى : كل ما ذكره عمر بن أبى ربيعة فى شعره ، فقال : أرسلت الجرِّيّ أو قال : أرسلت الجَرِىّ[١] فإنما يعنى خالداً القسرىّ ، وكان يترسل بينه وبين النساء .

أخبرنى بذلك الحرمىّ ومحمد بن مزْيد وغيرُهما،عن الزبير،عن عمه ، وأخبرنى عمى : قال : حدثنى الكرانى ، عن العمرىّ ، عن الهيثم بن عدىّ ، قال :

بينما عمر بن أبى ربيعة ذات يوم يمشى ومعه خالد بن عبد الله القسرى ، وهو خالد الخزاعى الذى يذكره فى شعره إذا هما بأسماء وهند اللتين كان عمر يشبّب بهما ، وهما يتماشيان فقصداهما ، وجلسا معهما مليًّا ، فأخذتهم السماء ، ومُطِروا ، فقام خالد وجاريتان المرأتين ، فظلّلوا عليهم بمطرفة[٢] وبردين له ، حتى كفّ المطر ، وتفرقوا ، وفى ذلك يقول عمر بن أبى ربيعة :

يظلل بن أبى ربيعه وعشيقته

أفى رسم دارٍ دمعُكَ المترقرقُ ... سفاهًا وما استنطاقُ ما ليس ينطِقُ ؟

بحيث التقى جمعٌ ومُفْضَى مُحسِّرٍ ... معالمُ قد كادت على الدهر تَخْلُقُ[٣]

ذكرتُ بها ما قد مضى من زماننا ... وذِكرُكَ رسمَ الدّار مما يشوِّقُ

مُقاما لنا عند العشاء ومَجْلسا ... لنا لم يكدِّره علينــــا مُعوِّقُ

وممشًى فتاةٍ بالكساء يَكُنُّها ... به تحت عينٍ برقُهــــا يتألَّقُ[٤]

يُبلُّ أعالى الثوب قطرٌ وتحته ... شُعاعٌ بدا يُعشِى العيونَ ويُشرِقُ[٥]

فأحسنُ شىء بدء أولِ ليلةٍ ... وآخرُها حُزْنٌ إذا نتفرقُ

(١) الجرى : الرسول ، أو الوكيل .
(٢) المطرفة : رداء من خز مربع فيه أعلام .
(٣) محسر : اسم مكان ، وفى هد « فنان » « بدل » معالم » وبها يختل الوزن ، تخلق : تبلى .
(٤) ممشى : معطوف على « مقاما ومجلسا » يكنها : يسترها ، يريد أن الكساء يستر جسمها لا عينها الشبيهة بالبرق المتألق .
(٥) سكن ياء « أعالى » لضرورة الشعر ، يعشى العيون : يجعلها لا تبصر ، وفى هد : « يغشى العيون » .

الغناء فى هذه الأبيات لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة والوسطى عن يحيى المكى ، وذكر الهشامى أنه منحول .

أخبرنى محمد بن خلف بن المرزبان قال : حدثنى أبو العباس المَرْوَزِىّ ، قال : حدثنا ابن عائشة قال :

حضور ابن أبى عتيق يستنجز ابن أبى ربيعة وعده

حضر ابنُ أبى عتيق عُمَر بن أبى ربيعة يوما وهو ينشد قوله :

ومن كان محزونًا لإهراق دمعة وَهَى غربُها فليأتنا نَبْكِهِ غدا[1]

نُعِنه على الإثكال إن كان ثاكلا وإن كان محزونا وإن كان مُقْصَدا[2]

قال: فلما أصبح ابن أبى عتيق أخذ معه خالدا الخِرِّيت ، وقال: قم بنا إلى عمر ، فمضيا إليه ، فقال له ابن أبى عتيق : قد جئنا لموعدك ، قال : وأى موعد بيننا ؟ قال : قولك . فليأتنا نَبْكِه غدا .

قد جئناك لموعدك ، والله لا نبرح أو تبكى إن كنت صادقا فى قولك ، أو ننصرف على أنك غير صادق ، ثم مضى وتركه[3] .

قال ابن عائشة : خالد الخريت هو خالد القسرى .

مزاح بين ابن أبى ربيعة وصديقاته

أخبرنا على بن صالح بن الهيثم: قال : حدثنا أبو هفّان عن إسحاق ، وأخبرنا محمد بن مَزْيَد ، عن حماد ، عن أبيه ، عن الحزامىّ والمثنى ومحمد بن سلام ، قالوا :

خرجت هند والرّباب إلى متنزّه لهما بالعقيق فى نسوة فجلستا هناك تتحدثان مليًّا ، ثم أقبل إليهما خالدٌ القَسرىُّ ، وهو يومئذ غلام مؤنث ، يصحب المغنّين والمخنّثين ، ويترسّل بين عمر بن أبى ربيعة وبين النساء . فجلس إليهما . فذكرتا عمر بن أبى ربيعة ،

(١) الغرب : مسيل الدمع من العيون ، وفى هد : « ومن كان محزونا لإهراق دمعة » . نبكه — بفتح النون أو ضمها — بمعنى نبكى بدله أو نجعله يبكى ، كلا الوجهين مقبول .

(٢) المقصد : من أقصد فلان فلانا : طعنه فلم يخطئه فقتله .

(٣) كان السياق يقتضى « ثم مضيا وتركاه » .

٥ ١٠ ١٥ ٢٠

وتشوقتاه ، فقالتا لخالد : ياخِرِّيت — وكان يعرف بذلك — لك عندنا حُكمك إن جئتنا بعمر بن أبى ربيعة من غير أن يعلم أنا بعثنا بك إليه ، فقال : أفعل فكيف تريان أن أقول له ؟ قالتا : تُؤذنه[1] بنا ، وتُعلمه أنا خرجنا فى سرٍّ منه ، ومُرْهُ أن يتنكر ، ويلبس لبسة الأعراب ، ليرانا فى أحسن صورة ، ونراه فى أسوإ حال ، فنمزح بذلك معه ، فجاء خالد إلى عمر ، فقال له : هل لك فى هند والرباب وصواحبات لها قد خرجن إلى العقيق على حال حَذَر منك وكِتمانٍ لك أمْرَهما[2] ؟ قال : والله إنى إلى لقائهن لمشتاق ، قال : فتنكر ، والبس لِبْسة الأعراب ، وهلمّ نمض إليهن ، ففعل ذلك عمر ، ولبس ثيابا جافيةً ، وتعمّم عِمّة الأعراب ، وركب قعوداً له على رحل غير جيد ، وصار إليهن ، فوقف منهن قريباً ، وسلّم ، فعرفنه ، فقلن : هَلُمّ إلينا يا أعرابىّ ، فجاءهن ، وأناخ قعوده ، وجعل يحدثهن ، وينشدهن ، فقلن له : يا أعرابى : ما أظرفك ، وأحسن إنشادَك ! فما جاء بك إلى هذه الناحية ؟ قال : جئتُ أنشُدُ ضالّة لى ، فقالت له هند : انزل إلينا ، واحسِرْ عمامتك عن وجهك ، فقد عرفنا ضالّتك ، وأنت الآن تُقَدِّرُ أنّك قد احتلت علينا ، ونحن والله احتلنا عليك وبعثنا إليك بخالد الخِرّيت ، حتى قال لك ما قال ، فجئتنا على أسوإ حالاتك ، وأقبح ملابسك ، فضحك عمرُ ، ونزل إليهن ، فتحدث معهن ، حتى أمسوا ، ثم إنهم تفرقوا ، ففى ذلك يقول عمر بن أبى ربيعة :

صوت

أَلم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطن حُلَيّات دوارسَ بَلقعا[3]
إلى السَّرْح من وادى المغمّس بُدِّلت معالمُه وبلا ونكباء زعزعا[4]

(١) تؤذنه : تعلمه .

(٢) أمرهما : مفعول المصدر « كتمان »

(٣) حليات : جمع حلية ، وهى ماابيض من يبس النصى ، وهو نبت سبط من أجود المراعى ، وفى هج : «حليات» — بالحاء المعجمة — « دوارس بلقعا » حالان من الأطلال لاصفتان لحليات ، وفى هج : « ألم تسأل » بدل « ألم تعرف » .

(٤) فى هج : « السفح » بدل « السرح » ، المغمس : مكان . النكباء . الزعزع : الريح العاتية .

فَيَنْخَلْنَ أو يُخبرن بالعلم بعد ما نَكَأْنَ فؤاداً كان قِدْمًا مفجَّما[١]

لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذ الهوى جميعٌ وإذْ لم نَخْشَ أن يتصدَّعا

في هذه الأبيات ثقيل أول ابن محرز :

تبالهنَ بالعِرفان لمّا رأينني وقُلْنَ امرؤباغٍ أَكلَّ وأوضعا[٢]

وقرّبن أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ يقيس ذِراعًا كلّما قِسْنَ إصْبعا

كان جده عبداً آبقاً

أخبرني الحسن بن علي ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، عن المدائني ، وذكر مثل ذلك أبو عُبَيدة معمر بن المثنى :

أنّ كُرزَ بن عامر جدّ خالد بن عبد الله عبدٌ كان آبقا عن مواليه عبد القيس من هَجَر ، ويقال : إن أصله من يهود تَيْماء ، وكان أَبَقَ[٣] ، فظفرت به عبد شمس فكان فيهم عند غنمة بن شِقٍّ الكاهن ، ثم وهبوه لقوم من بني طُهيَّة ، فكان عندهم حتى أدرك ، وهرب ، فأخَذَتْه بنو أسد بن خزيمة ، فكان فيهم ، وتزوج مولاة لهم يقال لها زَرْنَب ، ويقال : إنها كانت بغِياً ، فأصابها ، فولدت له أسدَ بن كُرْز ، سماه باسم أسد بن خزيمة لرِقّةٍ[٤] كانت فيهم ، ثم أعتقوه ، ثم إن نفراً من أهل هجر مرّوا به ، فعرفوه ، فلما رجعوا إلى هجر أخذوا فداءه ، وصاروا إلى مواليه فاشتروه وابنه فلم يزل فيهم ، حتى خرج معهم في تجارة إلى الطائف ، فلما رأى دار بجيلة أعجبته ، فاشترى نفسه وابنه ، فجاء ، فنزل فيهم ، فأقام مدة ، ثم ادَّعى[٥] إليهم وعاونه على ذلك حيٌّ من أحمس يقال لهم :

(١) نكأن فؤادا : من نكأ الجرح ، قشره قبل أن يبرأ ، فندى .

(٢) تبالهن : تظاهرن بالبله ، أكل : أرهق دابته ، أوضع : أسرع بدابته حتى أنهكها ، والمراد أنهن ظاهرن بعدم معرفته ، وقلن : أعرابي أجهده السير ، وأجهد راحلته .

(٣) أبق يأبق — من باب ضرب وعلم — هرب يهرب .

(٤) كذا في النسخ ، ولعل الصواب « لرقة كانت فيهم » بدل « لرقة كانت فيهم »

(٥) ادعى : انتسب .

بنو مُنَبِّة[١] ، فنفاهم أبو عامر ذو الرقعة — سُمِّى بذلك لأن عينه أصيبت ، فكان يغطيها بخرقة — وهو ابن عبد شمس بن جُوَيْن بن شِقّ ، فنزل كرز فى بنى سُحْمة هاربا من ذى الرُّقعة ، ثم وثب على ابن عم للقتَّال بن مالك السُّحمىّ فقتله ، وهرب إلى البحرين مع التجار ، فأقام مدة ، ثم مات ، ونشأ ابنه يزيد بن أسد يدَّعى فى بَجيلة ، ولا تُلْحِقُه إلى أن مات ، ونشأ ابنه عبد الله بن يزيد ، ثم مضى إلى حبيب بن مسلمة الفهرى ، وكتب له ، وكان كاتبا مُفوَّها ، وذلك فى إمارة عثمان بن عفان . فنال حظا وشرفا ، وكان يقال له : خطيب الشيطان ، ووسَم[٢] خيلَه : القسرىّ ، ثم تَدَسَّسَ ليملك خيلا[٣] فى بلاد قسر ، فمنعته بجيلة ذلك أشدّ المنع ، فلم يقدر[٤] عليه ، حتى عظم أمره ، ونشأ ابنه خالد ، ومات هو ، فكان خالد فى مرتبته ، ثم ولى العراق ، وقال قيس بن القتال له فى هذا المعنى :

أبو خطيب الشيطان

ومن سَمَّاك باسمك يا بن كرز ؟ وأين المولد المعروف تدرى ؟[٥]

وقال بُجير بن ربيعة السُّحْمِىُّ :

نفته من الأبين قَسرٌ بعزِّها إلى دار عبد القيس نَفْىَ المُزَنَّم[٦]

قال أبو عبيدة : وكان بين عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز وبين أبى موسى بن نُصير كلام عند عبد الملك بن مروان . فقال له عبد الله : إنما أنت عبد لعبد القيس ، فقال : اسكت ،

بن أبيه وأبى موسى بن نصير

(١) فى بعض النسخ « منبه » بدل « منية » وفى بعضها « أمية » .

(٢) وسم خيله القسرى : وضع عليها علامة قبيلة قسر ، ويبدو أن القبائل كانت تسم الخيل بما يميز خيل كل قبيلة عن خيل سواها .

(٣) فى هد ، هج : ليملك أرضاً .

(٤) لعلها «تقدر» أو « يقدروا » « بدل » « يقدر » ولا مانع أن تكون «يقدر» بالبناء للمجهول ، والمراد — كما يبدو — أنه استطاع أن يمتلك الخيل أو الأرض على رغم منع بجيلة له من ذلك .

(٥) فى رواية : « وأين المولد المعروف أنى ؟ » .

(٦) المزنم : الدعى فى قوم ليس منهم .

فقد عرفناك إن لم تعرف نفسك ، فقال له عبد الله : أنا ابن أسد بن كرز ، نحن الذين نهتن الشهر[(١)] ونُعْلِم الدهر ، فقال له : تلاثة نفر ، واحد منهم ، وإنما أنت عبدٌ آبقٌ ، قد كنتُ أراك تروم مثل ذلك ، فلا تقدر عليه ، ثم[(٢)] نفاه جرير بن عبد الله إلى الشام ، فأقام بها مدة ، ثم مضى إلى حبيب ، فقال له : دع ذكر البحرين لفرارك ، أتراك منهم وأنت عبدٌ ، وأهلك من يهود تيماء فأسكنهما عبد الملك ، ولم يسرّه ما قال عبد الله لأبى موسى بن نصير ، لأنه كان على شرطة عمرو بن سعيد يوم قتله ، فقال فى ذلك أبو موسى بن نصير :

جاريت غيرَ سئوم فى مُطاولة ... يا بنَ الوشائط من أبناء ذى هجر[(٣)]

لا من نزارٍ ولا قحطان تعرفكم ... سوى عبيدٍ لعبد القيس أو مُضر

تتوارث أسرته الكذب كابرا عن كابر

وقال أبو عبيدة : فأخبرنى عبد الله بن عمر بن زيد الحكمى قال :

كان يزيد بن أسد يلقب بخطيب الشيطان ، وكان أكذبَ الناس فى كل شىء معروفا بذلك ، ثم نشأ ابنهُ عبدُ الله فلك منهاجَه فى الكذب ، ثم نشأ خالد ففاق الجماعة إلا أن رياسة وسخاء كانا فيه سترا ذلك من أمره .

قال عُمَر بن زيد : فإنى لجالس على باب هشام بن عبد الملك إذ قدم إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بخبر المغيرة بن سعد وخروجه بالكوفة ، فجعل يأتى بأحاديث أنكرها ، فقلت له : من أنت يا بن أخى ؟ قال إسماعيل بن عبد الله

(١) لعله يريد نحن من شهر السيوف عند الحرب ، أو نحن من شهر اسم من نريد رفعته .

(٢) كان سياق الكلام يقتضى أن يقول : ثم نفاك ... الخ بكاف الخطاب ، ولكن على الرواية التى بين أيدينا ينبغى أن تعيد ضمير نفاه إلى كلمة عبد من قوله : « أنت عبد آبق » وقد يكون فى العبارة خرم

(٣) الوشائط : الدخلاء يعدون فى القوم ليسوا منهم .

بن يزيد القسرى . فقلت : يا بن أخى ، لقد أنكرتُ ما جرى حتى عرفتُ نسبك[1] .
فخجل يزحامه .

يطلب على المنبر أن يطعموه ماء

أخبرنى اليزيدىّ ، عن سليمانَ بن أبى شيخ ، عن محمد بن الحكم ، وذكره أبو عبيدة — واللفظ له — قالا :

٥ كان خالد بن عبد الله من أجبن الناس ، فلما خرج عليه المغيرة عرف ذلك وهو على المنبر ، فدهش وتحيّر ، فقال : أطعمونى ماء ، فقال الكميتُ فى ذلك ، ومدح يوسفَ ابن عمر :

خرجتَ لهم تمشى البَرَاحَ ولم تكن كمن حِصْنُه فيه الرِّتَاجُ المُضَبَّبُ[2]
وما خالدٌ يستطعم الماء فاغرا بعِدْلِكَ والداعى إلى الموت يَنْعَبُ[3]

أول كذبات الكلبى

١٠ وقال ابن الكلبى : أول كذبة كذبتها فى النسب ، أن خالد بن عبد الله سألنى عن جدته أم كُرز ، وكانت أمةً بغيًّا لبنى أسد يقال لها : زرنب . فقلت له : هى زينب بنت عرعرة بن جذيمة بن نصر بن قعين ، فسُرَّ بذلك ، ووصلنى .

بنو أسد ينكر

قال : قال خالد ذات يوم لمحمد بن منظور الأسدى : يا أبا الصباح ، قد ولدتمونا ، فقال : ما أعرف فينا ولادة لكم ، وإن هذا لكذب . فقيل له : لو أقررت للأمير بولادة ما ضرك ، قال : أأفسد وأستنبط[4] ما ليس منى ، وأقرّ بالكذب

١٥

(١) يريد أنه إذا عرف النسب بطل العجب ، فهو من أسرة يجرى الكذب فى دمائها .
(٢) البراح : البين الواضح ، فهو مفعول مطلق ، أى تمشى المشى البراح . والرتاج المضبب : غلق الباب المصنوع من الحديد ، يريد أنه خرج لأعدائه سافرا ، ولم يتحصن بحصن مغلق .
٢٠ (٣) العدل — بكسر العين — المعادل ، يقول له : لم تكن كخالد حين استطعم الماء عندما سمع بنبأ الإغارة عليه .
(٤) فى هد ، هج « وأستليط من ليس منى » بدل « وأستنبط » وهى رواية أدق ، واستلاطه : ادعى بنوته زورا .

على قومى ؟ فأمر خالدٌ خِداشاً الكندىَّ — وكان عامله — بضرب مولًى لعبّاد بن إياس الأسدىّ ، فقتله ، فرُفع إلى خالد ، فلم يُقِده ، فوثب عبّادٌ على خِداش فقتله ، وقال :

لعمرِى لئن جارتْ قضيةُ خالدٍ عن القصد ما جارت سيوفُ بنى نَصْر

يتطاول على السماء

فأخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث ، قال : حدثنا المدائنى ، عن سحيم بن حفص قال :

قتل خِداشٌ الكندىّ رجلا من بنى أسد ، وكان الكندىّ عاملا لخالد القسرى ، فطُولِب بالقَوَد ، وهو على دَهْلَك[1] ، فقال : والله لئن أقدتُ من عاملى لأقيدنّ من نفسى ، ولئن أقدتُ من نفسى لَيُقِيدن أمير المؤمنين من نفسه ، ولئن أقاد أمير المؤمنين من نفسه ، لَيُقِيدَنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفسه ، ولئن أقاد رسول الله من نفسه هاهْ هاهْ ![2] يعرِّض بالله عز وجل ، لعنة الله على خالد .

أمه نصرانية بظراء

أخبرنى الحسن : قال : حدثنا الخراز ، عن المدائنى ، عن عيسى بن يزيد وابن جعدبة وأبى اليقظان ، قالوا :

كانت أم خالد رومية نصرانية ، فبنى لها كَنِيسةً فى ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، فكان إذا أراد المؤذن فى المسجد أن يؤذن ضُربَ لها بالناقوس ، وإذا قام الخطيب على المنبر رفع النصارى أصواتهم بقراءتهم .

أعشى همدان يفحش فى هجائه

فقال أعشى همدان يهجوه ، ويعيّره بأمه — وكان الناس بالكوفة إذا ذكروه فى ذلك الوقت قالوا : ابن البظراء ، فأنف من ذلك ، فيقال : إنه ختن أمه وهى كارهة ، فعيّره الأعشى بذلك حين يقول — .

(١) الدهلك : جزيرة بين اليمن وأرض الحبشة ، أو واحد الدهالك : آكام سوداء معروفة بجزيرة العرب ، وليس كلا المعنيين مناسبا هنا ، ورواية هد ، هج ، وهو على « المنبر » بدل « الدهلك » .

(٢) هاه هاه : حكاية الضحك الضاحك .

لعمرُكَ ما أدرى وإنى لسائلٌ ... أبظراءُ أم مختونةٌ أمُّ خالد

فإن كانت الموسى جرت فوق بَظرها ... فما خُتِنت إلا وَمَصَّانُ قاعد[1]

يرى سوأة من حيث أطلع رأسه ... تمرّ عليها مرهفاتُ الحدائد

وقال أيضا فيه، يرميه باللّواط:

ألم تَرَ خالدا يَختار مِيماً ... ويترك فى النِّكاح مَشَقَّ صادِ[2]

ويُبغِض كلَّ آنسةٍ لعوبٍ ... ويَنكِح كلَّ عبدٍ مستقاد[3]

ألا لعن الإلهُ بنى كُرَيْزٍ ... فكرزٌ من خنازير السواد[4]

يكره مضر، ويسب على بن أبى طالب

قال المدائنى فى خبره: وأخبرنى ابن شهاب بن عبد الله قال: قال لى خالد بن عبد الله القسرى: اكتبْ لى النسب فبدأت بنسب مضر فمكثت فيه أياما، ثم أتيته. فقال: ماصنعت؟ فقلت: بدأت بنسب مضر وما أتممته. فقال: اقطعْهُ — قطعه الله مع أصولهم — واكتب لى السيرة، فقلت له: فإنه يمرّ بى الشىء من سيَرِ على بن أبى طالب — صلوات الله عليه — فأذكُره، فقال: لا، إلا أن تراه فى قعر الجحيم[5]. لعن الله خالداً ومن ولاه، وقبحهم، وصلوات الله على أمير المؤمنين[6]:

---

(١) مصان: يقال للرجل: يامصان، وللمرأة يامصانة، مرادا بكل منها أنه يمص بظرامه، وعلى هذه الرواية يكون ثمة إقواء فى البيت الثانى، ورواية هد: «فما ختنت الا بمصان قاعد» وهى رواية سليمة تضع عن البيت وزر الإقواء، وعلى كل فالمراد بالمصان هنا خالد نفسه بدليل قوله فى البيت التالى «يرى سوأة من حيث أطلع رأسه» يريد الأعشى أن الحجام حين استأصل بظر أم خالد كان خالد يراقب عملية استئصال ذلك البظر الذى كان يمصه، ويرى السوأة التى أطلعت رأسه يوم ولادته.

(٢) يكنى بالميم عن الاست، لأن حلقتها مستديرة، وبالصاد عن فرج المرأة لأن حلقته مستطيلة، وفى هج: «ويكره» بدل «ويترك».

(٣) مستقاد: تابع مقود، وفى الأصل «مستفاد» وهو تصحيف، والمثبت من هج.

(٤) كريز: تصغير كرز جد خالد، والسواد، اسم يطلق على العراق.

(٥) يريد ألا يذكر شيئا عنه إلا أن يراه فى قعر الجحيم، فيذكر ذلك.

(٦) لعن الله... الخ من كلام أبى الفرج، ويبدو فيه تشيعه، ولعل لهذا التشيع أثرا فى تلك الحملة الشعواء التى شنها على خالد بن عبد الله القسرى.

وقال أبو عبيدة : حدثني أبو الهذيل العلاّف ، قال :

من مظاهر زندقته واضطرابه

صعِدَ خالدٌ القسري المنبر ، فقال : إلى كم يغلبُ باطلُنا حقَّكم ، أما آن لربكم أن يغضب لكم ؟ وكان زنديقا ، أمه نصرانية ، فكان يولّي النصارى والمجوسَ على المسلمين ، ويأمرهم بامتهانهم وضَرْبهم ، وكان أهل الذمة يشترون الجواريَ المسلماتِ ويطئونهن ، فيطلق لهم ذلك ، ولا يُغَيِّرُ[1] عليهم . ٥

وقال المدائني : كان خالد يقول : لو أمرني أمير المؤمنين نقضتُ الكعبة حجرا حجرا ، ونقلتها إلى الشام .

قال : ودخل عليه فراسُ بنُ جعدةَ بن هبيرةَ وبين يديه نبقٌ ، فقال له : العَن عليَّ ابنَ أبي طالب ولك بكل نبقة دينار ففعل فأعطاه بكل نبقة دينارا .

قال المدائني : وكان له عامل يقال له : خالدُ بنُ أُمَيَّ[2] . وكان يقول: والله لخالد ابنُ أميَّ أفضل أمانة من علي بن أبي طالب صلوات الله عليه . ١٠

وقال له[3] يوماً : أيّما أعظم ركيتنا[4] أم زمزم ؟ فقال له : أيها الأمير: من يجعل الماء العذب النُّقَاخ[5] مثل الملح الأجاج ؟ وكان يسمي زمزم أم الجعلان[6].

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي ، قال : حدثنا أبو غسّانَ دَماذُ ، عن أبي عبيدة ، قال : ١٥

بينه وبين الفرزدق

أتى الفرزدقُ خالد بن عبد الله القسري ، يستحمله في ديات حملها، فقال له : إيه

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل أصل العبارة « ولا يغيره عليهم » أو « ولا يغار عليهن » .
(٢) في بعض النسخ « خالد بن الصى » وفي بعضها « خالد بن آمى » .
(٣) قال له : قال خالد الوالي لخالد عامله .
(٤) الركية : البئر غير مطوية . ٢٠
(٥) النقاخ : الماء العذب الصافي البارد .
(٦) الجعلان : جمع جعل - كزفر - وهو حيوان كالخنفساء يكثر في الأماكن الندية .

يا فرزدق ، كأنى بك قد قلتَ : آتى الحائكَ بنَ الحائك ، فأخدعه عن ماله إن أعطانى ، أوأذمّه إن منعنى . فأنا حائكٌ ابن حائك . ولستُ أعطيك شيئاً . فاذممنى كيف شئت ، فهجاه الفرزدق بأشعار كثيرة منها :

ليتنى من بَجيلةِ اللؤم حتى ... يُعْزَلَ العامِلُ الذى بالعراق

فإذا عامل العراقين ولّى ... عدت فى أسرة الكرام العتاق[1]

قال : وإنما أراد خالد بقوله : الحائكَ بنَ الحائك تصحيح نسبه فى اليمن ، والانتفاء من العبودية لأهل هجر .

يتطاول على الخليفة وابنه فيعزله

وكان خالد شديدَ العصبية على مضر . وبلغ هشاما أنه قال : ما ابنى يزيدُ بنُ خالدٍ بدون مسلمةَ بنِ هشام ، فكان ذلك سبب عزله إياه عن العراق .

يتطاول على مقام النبوة

قال : وخطب بمكة وقد أخذ بعضَ التابعين ، فحبسه فى دور آل الحضرمى ، فأعظم الناس ذلك وأنكروه ، فقال : قد بلغنى ما أنكرتم من أخذى عدوّ أمير المؤمنين ومن حاربه ، والله لو أمرنى أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبةَ حجرا حجرا لنقضتُها ، واللهِ لأميرُ المؤمنين أكرمُ على اللهِ من أنبيائه عليهم السلام، ولعن الله تعالى خالداً وأخزاه .

أخبرنى أبو عبيدة الصّيرفىّ ،قال : حدّثنا الفضلُ بنُ الحسن المصرىّ ،قال : حدّثنى عمر بن شبّة ، قال : حدّثنى عبيد الله بن حُباب ، قال : حدّثنى عطاء بنُ مسلم قال : قال خالدُ بنُ عبد الله ، وذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(١) رواية هد : « عدت فى أسرتى » وهى أجود .

أيُّما أكرم[1] عندكم على الرجل: رسوله فى حاجته أو خليفته فى أهله؟ يُعرِّض بأنّ هشاما خيرٌ من النبى صلى الله عليه وسلم.

وازن بين إبراهيم الخليل والخليفة

قال أبو عبيدة: خطب خالد يوما، فقال: إن إبراهيم خليل الله استسقى ماء، فسقاه الله ملحا أجاجا، وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء، فسقاه اللهُ عَذبا نُقاخاً[2]، وكان الوليد حفر بئراً بين ثنيّة ذى طُوى وثنيّة الحَجون، فكان خالد ينقل ماءها، فيوضع فى حوض إلى جنب زمزم. ليرى الناسُ فضلَها. قال: فغارت تلك البئر، فلا يُدْرَى أين هى إلى اليوم؟ ٥

ينال من على بن أبى طالب

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ: قال: حدثنا العباس بن ميمون طابع، عن ابن عائشة، قال:

كان خالد بن عبد الله زِنديقًا، وكانت أمه رومية نصرانية وهبها عبد الملك لأبيه. ١٠ فرأى يوما عِكرمةَ، مولى ابن عباس، وعلى رأسه عمامةٌ سوداء، فقال: إنه بلغنى أنّ هذا العبدَ يشبه عَلِىَّ بن أبى طالب صلوات الله عليه وسلامُه، وإنى لأرجو أن يسوِّد اللهُ وجهه كما سوّد وجه ذاك.

قال: حدثنى مَنْ سمعه، وقد لعن عليًّا صلوات الله عليه وسلامه — فقال فى ذكره: علىُّ بن أبى طالب بنُ عم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وزوجُ ابنته فاطمةَ، ١٥ وأبو الحسن والحسين، هل كنَّيتُ؟[3]. اللهم العَن خالدا واخزِه، وجدِّد على روحه العذابَ.

إسماعيل بن خالد يذم بنى أمية فى مجلس السفاح

وقال أبو عبيدة: ذكر إسماعيل بن خالد بن عبد الله القسرىُّ بنى أُمية عند أبى العباس

(١) كأنه يعتقد أن الخليفة خليفة الله، ونسى أن الخليفة خليفة رسول الله، وعليه فلا مجال للمقارنة.

(٢) النقاخ: الماء العذب الصافى البارد. ٢٠

(٣) استفهام انكارى، يريد به أنه عرف عليا بجميع أدوات التعريف، حتى لا تخطئه اللعنة.

السفاح فى دولة بنى هاشم ، فذمهم وسبهم ، وقال له حمّاس[١] الشاعر مولى عثمان ابن عفان : يا أمير المؤمنين : أيشتم بنى عمك وعمالهم وعمالك رجلٌ اجتمع هو والخرّيتُ فى نسب؟ إن بنى أمية لحمك ودمك ، فكلهم ولا تؤكّلهم[٢]. فقال له : صدقت . وأمسك إسماعيل فلم يُحِرْ جوابا .

سليمان يضربه مائة سوط

وقال ابن الكلبى : كان خالدُ بن عبد الله أميرا على مكة فأمر رأس الحجبة أن يفتح له الباب[٣] وهو ينظر ، فأبى فضربه مائة سوط . فخرج الشيبىّ[٤] إلى سليمان ابن عبد الملك يشكوه فصادف الفرزدقَ بالباب ، فاسترفده[٥]. فلما أذن للناس ، ودخلا شكا الشيبىُّ ما لحقه من خالد ، ووثب الفرزدق ، فأنشأ يقول :

سلُوا خالداً لا أكرم الله خالداً ... متى وليَتْ قسراً قريشاً تَدينُها[٦]

أقبلَ رسول الله أم ذاك بعدَه ! ... فتلك قريشٌ قد أغثّ سمينُها[٧]

رَجَونا هُدَاه لا هدَى الله خالداً ... فما أمُّه بالأم يُهْدَى جنينُها

فحمِيَ سليمان وأمر بقطع يد خالد ، وكان يزيد بن المهلّب عنده ، فما زال

(١) كذا بالأصل ، وفى بعض الأصول جماس — بالجيم المعجمة وتشديد الميم — ولعل هذا وذاك محرفان عن الجاز الشاعر المعروف .

(٢) يريد أن يقول له : تول أنت بيدك عقوبتهم ، ولا تكل ذلك إلى غيرك ، على حد قول الشاعر :

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى ... وإلا فأدركنى ولما أمزق

وقد تمثل بهذا البيت الخليفة عثمان بن عفان فى خطاب بعث به إلى على بن أبى طالب ، يستعديه فيه على الثائرين عليه .

(٣) يريد برأس الحجبة رأس حجبة الكعبة ، وبالباب باب الكعبة .

(٤) الشيبى : نسبة إلى بنى شيبة الذين كانوا يقومون بسدانة الكعبة .

(٥) استرفده : استعان به .

(٦) تدينها : تخدمها ، وتذلها ، وفى هج : « تهينها » بدل « تدينها » .

(٧) أغث سمينها : هزل ما كان سمينا من إبلها وشائها .

يُفَدِّيه[1] ، ويقبّل يده ، حتى أمر بضربه مائةَ سوط ، ويُعفَى عن يمينه ، فقال الفرزدق في ذلك :

لعمرى لقد صُبَّتْ على ظهر خالد شآبيبُ ما استهللْنَ من سَبَل القَطْر[2]

أيَضْرَبُ في العِصيان من كان طائعاً ويَعصِى أميرَ المؤمنين أخو قَسْرِ ؟[3]

فنفسَك لُمْ فيما أتيتَ فإنما جُزِيتَ جزاءً بالمُحَدْرَجة السُّمْرِ[4] ٥

وأنتَ ابنُ نصرانيّةٍ طال بَظْرُها غَذَتْك بأولاد الخنازير والخمر

فلولا يزيدُ بن المهلّب حَلَّقَتْ بكفّك فتخاءُ إلى الفرخ في الوكرِ[5]

لَعمرِى لقد صالَ ابنُ شيبةَ صولةً أرتْك نجومَ الليل ظاهرةً تسرى[6]

فقدها خالد على الفرزدق فلما وُلّى ، وحفر نهر العراق[7] بواسط قال فيه الفرزدق

أبياتاً يهجوه منها : ١٠ هجو الفرزدق

وأهلكتَ مَالَ الله في غير حقِّهِ على النَّهَر المشئوم غيرِ المباركِ

وتضرب أقواماً صِحاحاً ظهورَهم وتترُكُ حقّ الله في ظهر مالك[8]

(١) يفديه : يقول له : جعلنى الله فداءك .

(٢) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر ، والسبل : المطر .

(٣) يريد أن خالداً يضرب الطائعين ، ويعصى هو . وفى المختار : « أيضرب فى الإسلام » . ١٥

(٤) المحدرجة السمر : السياط .

(٥) الفتخاء : العقاب اللينة الجناحين ، يريد : لولا يزيد لقطعت يدك ، فالتقطتها عقاب لينة الجناحين ، وجعلت منها غذاء لفرخها فى وكره .

(٦) يريد أن هذه الصولة أرقتك ، فجعلت تراقب النجوم فى مساريها .

(٧) فى هد ، هج : « وحفر نهر المبارك بالعراق » ٢٠

(٨) تقدم هذان البيتان فى ترجمة الفرزدق .

وقال، ويقال: إنها للفرج بن المرقع[1] .

كأنك بالمبارك بعد شهر يخوض غماره نقع الكلاب[2]
كذبت خليفة الرحمن عنه وكيف يرى الكذوب جزا الكذاب[3]

فأخذ خالد الفرزدق فحبسه، واعتل عليه بهجائه إياه فى حفر المبارك، فقال الفرزدق فى السجن :

أبلغ أمير المؤمنين رسالة فعجل هداك الله نزعك خالدا[4]
بنى بيعة فيها الصليب لأمه وهدم من بغض الإله المساجدا

فبعث هشام إلى خالد بن سويد[5] يأمره بإطلاق الفرزدق، فأطلقه، فقال الفرزدق يهجو خالداً القسرى :

ألا لعن الرحمن ظهر مطية أتتنا تخطى من بعيد بخالد[6]
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد ؟

ابن عيّاش

أخبرنا الحسن، قال: حدثنا أحمد بن الحارث، قال: حدثنا المدائنى، قال: شتم عبد الله بن عيّاش المنذانى خالد بن عبد الله فى أيام منصور بن جمهور، فسمعه رجل من لخم، فقدمه إلى منصور واستعداه عليه، فقال له منصور: ما تريد؟

(١) فى بعض النسخ : « المربع » .
(٢) نقع الكلاب : جيف الكلاب المنقوعة فى الماء ، وفى هج ، هد : « بقع الكلاب »
(٣) فى هد ، هج « وسوف » « بدل » « وكيف » جزا : مقصور جزاء ، الكذاب : الكذب .
(٤) تقدم هذان البيتان أيضا فى ترجمة الفرزدق .
(٥) ابن سويد مفعول « بعث » وفى «نسخة» :فبعث هشام إلى خالد رسولا » .
(٦) تقدم البيتان أيضا فى ترجمة الفرزدق ، وفى هد ، هج « من دمشق » بدل « من بعيد » . وفى الكامل : «تهادى » بدل « تخطى » .

فقال ابن عيّاش : أمرنا أيها الأمير برقية العقرب . وفيه[1] عجب ، لخمىٌّ يد تنصر كلبيٍّ على همذانىٍّ لبجلىٍّ دعىٍّ .

وقال المدائنى فى خبره : كان خالد بن عبد الله قريباً من هشام بن عبد الملك مكيناً عنده فأدلّ ، وتمرّغ[2] عليه ، حتى إنه التفت يوما إلى ابنه يزيدَ بن خالد عند هشام ، فقال له : كيف بك يابنىّ إذا احتاج إليك بنو أمير المؤمنين ؟ قال : أواسيهم ولو فى قميصى . فتبين الغضب فى وجه هشام[3]، واحتملها .

يدل على هشام

قال المدائنى : حدثنى بذلك عبد الكريم مولى هشام : إنه كان واقفاً على رأس هشام ، فسمع هذا من[4] خالد ، قال : وكان[5] إذا ذُكر هشامٌ قال له : ابنُ الحمقاء فسمعها رجل من أهل الشام ، فقال لهشام : إن هذا البَطِرِ الأشِر الكافر لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك يذكرك بأسوأ الذكر ، فقال : ماذا يقول ؟ لعله يقول : الأحول قال : لا والله ، ولكن مالا تنشق به الشفتان قال : فلعله قال : ابن الحمقاء ، فأمسك الشامى ، فقال : قد بلغنى كل ذلك عنه .

[illegible] هشاما بابن الحمقاء

واتخذ خالد ضياعاً كثيرة حتى بلغت غلّتهُ عشرة آلاف ألف درهم ، فدخل عليه دِهقانٌ كان يأنس به فقال له : إن الناس يحبون جسمك ، وأنا أحِبُّ جسمك

[illegible] نفوذه فى تضاعف دخله

(١) فى العبارة التواء ، ونرجح أن قوله : « وفيه عجب » تحريف « والرقية عجب » ويقصد بالعقرب خالدا ، وبالرقية الأسجاع التالية ، اللخمى هو الواشى ، والكلبى هو منصور بن جمهور ، والهمذانى هو المتكلم ، أى الذى شتم خالدا ، والبجلى الدعى هو خالد ، والكلام مسوق مساق التهكم .

(٢) تمرغ عليه : تابع عنده ، وأطال الترداد عليه .

(٣) سبب الغضب أن السؤال يؤذن بحاجة بنى أمية وزوال ملكهم .

(٤) هذا : هذا الخبر ، ونرجح أن « من » هنا تحريف عن ، أى سمع رواية الشامى لهذه القصة .

(٥) عبارة هج : « وكان إذا ذكر هشام قال : ماقال لكم ابن الحمقاء ؟ » .

وروحك ، قد بلغت غَلَّةُ ابنك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلّتك[1] ، وإن الخلفاء لا يصبرون على هذا ، فاحذر ، فقال له خالد : إن أخى أسد بن عبد الله قد كلمنى بمثل هذا ، أفأنت أمرته ؟ قال : نعم ، قال : ويحك ! دعه ، فرُبَّ يومٍ كان يطلُب فيه الدرهم ، فلا يجده .

٥ وقال المدائنى فى خبره : كان خالد بنُ عبد الله بخيلا على الطعام ، فوفد إليه رجل له به حرمة ، فأمر أن يكتبَ له بعشرة آلاف درهم[2] ، وحضر الطعامُ ، فأُتِىَ به ، فأكل أكلاً منكراً ، فأغضبه ، وقال للخازن : لا تعرض علىّ صكّه ، فعرّفه الخازن ذلك ، فقال له : ويحك ! فما الحيلة ؟ قال : تشترى غداً كل ما يُحتاجُ إليه فى مطبخه ، وتهبُ الطبّاخَ دراهم ، حتى لا يشترىَ شيئا ، وتسألُه ١٠ إذا أكل خالد أن يقول له : إنك اليومَ فى ضيافة فلان ، فاشترى كل ما أراد ، حتى الحطب ، فبلغَ خمسمائة درهم ، فأكل خالد ، فاستطاب ما صُنِعَ له . فقال له الطبّاخ : إنك كنتَ اليومَ فى ضيافة فلان ، قال له : وكيف ذاك ؟ فأخبرَه ، فاستحيا خالد ودعا بصكّه ، فصيَّره ثلاثين ألفًا ، ووقع فيه ، وأمر الخازن بتسليمها إليه .

١٥ قال : وكان لبعض التجار على رجل دينٌ ، فأراد استعداء خالدٍ عليه ، فلاذ الرجل ببواب خالد ، وبرّه ، فقال له : سأحتال لك فى أمر هذا بحيلة ، لايُدخِلُه عليه أبداً ، قال : فافعلْ ، فلما جلس خالد للأكل أذن البواب للتاجر فدخل ، وخالد يأكل سمكاً ، فجعل يأكل أكلا شنيعًا كثيراً ، فغاظ ذلك خالداً ، فلمّا خرج قال

كان بخيلا بطعامه

مراة يحن الما تاجر عليه

(١) فى هج : « قد بلغت غلتك أكثر من عشرة آلاف ألف سوى غلة ابنك » .

٢٠ (٢) فى هج : « بعشرين ألف درهم » .

لبوابه : فيم أتانى هذا ؟ قال : يستعدى على فلان فى دَين يدعيه عليه . قال : والله إنى لأعلم أنه كاذب ، فلا يدخلن علىّ . وتقدّم إلى صاحب الشرطة بقبض يده عن صاحبه[1] ،

وقال المدائنى فى خبره :

تعبير بلغة الحمير

كان خالد يوما يخاطب على المنبر . وكان لُحَنَةً ، وكان له مؤدب يقال له : الحسين بن رهمة[2] الكلبىّ ، وكان يجلس بإزائه ، فإذا شك فى شىء أومأ إليه ، وكان لخالد صديق من تغلب زنديق يقال له زمزم ، فلما قام يخطب على المنبر قام إليه التغلبى فى وسط خطبته ، وقال : قد حضرتنى مسألة ، قال : ويحك ! أما ترى الشيطان عينه فى عينى ، يعنى حُسينا ، قال : لابد والله منها ، قال : هاتها، قال: أخبرنى ، قَلْمسانُ[3] إذا ساف[4] ، ثم رفع رأسه وكرف[5] أىّ شىء يقول ؟ قال : أراه يقول : ما أطيبه يا رباه ، قال : صدقتَ ما كان ليستشهد على هذا سوى ربه .

رأيه فى حفظة القرآن

قال المدائنى : وقال خالد يومًا على المنبر : هذا كما قال الله عزوجل : أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم ثم أُرتِجَ عليه ، فقال للتغلبى : قم فافتح علىّ يا أبا زمزم سورة كذا وكذا ، فقال : خفِّضْ عليكَ أيها الأمير ، لا يهولنَّك ذاك ، فما رأيت قط عاقلاً حفظ القرآن ، وإنما يحفظه الحمقى من الرجال ، قال : صدقتَ ، يرحمُك الله .

يهب النفسية للقصاص

وقال المدائنىّ : حدّثنى أبو يعقوب الثقفىّ ، قال :

قال خالد بن عبد الله للعُريان : ياعُريانُ ، أعجزت عن الشُّرَط ، حتى أولى

---

(١) فى هد ، هج « بأن يقبض يده عن خدمه » ولعل المراد أنه خلى بين التاجر والمدين ، ومنع الشرطة أن تحمى الثانى من الأول .

(٢) فى بعض النسخ : دهمة .

(٣) كذا بالأصل ، والذى فى هج ، هد : أخبرنى عن الحمار إذا ساف وكرف ، ثم رفع رأسه ، وكرف ، أى شىء يقول ؟ » وليس بين أيدينا من المعاجم ما يفيد أن كلمة « قلمسان » تطلق على الحمار أو غيره .

(٤) ساف : شم .

(٥) كرف الحمار وغيره : شم بول الأتان ، ثم رفع رأسه ، وقلب جحفلته .

غيرك ! فإن الغناء قد فشا وظهر قال : لم أعجز ، وإن شئت فاعزلنى ، فقال له : جئنى بالمغنيات ، فأحضره خمسا منهن أو ستا ، فأدخلهن إليه ، فنظر إلى واحدة منهن بيضاء دعجاء ؛ كأنها أشربت ماء الذهب ، فدعا لها بكرسى ، فجلست . ثم قال لها : أين البربط[1] الذى كانت تضرب به ؟ فأحضر ، ثم سوته ، فغنت :

٥ إلى خالد حتى أنخن بخالد فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

فقال : اعدلى عن هذا إلى غيره ، فغنت :

أروح إلى القصاص كل عشية أرجى ثواب الله فى عدد الخطا

قال : وأقبل قاص المصر . فقال له خالد : أكانت هذه تروح إليك ؟ قال : لا ، وما مثلها يروح إلى ، قال : خذ بيدها فهى لك ، ومولاها بالباب ، فسأل عنها فقيل : وهبها للقاص ، فتحمل[2] عليه بأشراف الكوفة ، فلم يردها ، حتى اشتراها منه بمائتى دينار .

١٠

هشام يضيق به ذرعا فيقرعه

وقال المدائنى : قال خالد فى خطبته : والله ما إمارة العراق مما يشرفنى ، فبلغ ذلك هشاما ، فغاظه جدا ، وكتب إليه :

بلغنى يا بن النصرانية أنك تقول : إن إمارة العراق ليست مما يشرفك ، صدقت والله ، ماشىء يشرفك ، وكيف تشرف وأنت دعى إلى بجيلة القبيلة القليلة الذليلة ، أما والله إنى لأظن أن أول ما يأتيك صفن من قيس[3] ، فيشد يديك إلى عنقك .

١٥

هشام ينكل به تنكيلا

وقال المدائنى : حدثنى شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأهتم

(١) البربط — كجعفر — العود ، وهو لفظ معرب عن « بر » ، «بط» بمعنى صدر الإوز ، لأن شكل العود يشبه شكل صدر الأوز .

٢٠ (٢) تحمل : توسل .

(٣) صفن : حاقد عليك من قيس الذين لا تفتأ تنال منهم .

قال : لم تزل أفعالُ خالد به[1]، حتى عزلَه هشام ، وعذَّبه ، وقتل ابنَه يزيد بن خالد ، فرأيتُ فى رِجْلِهِ شريطًا قد شُدَّ به ، والصبيان يجرونه ، فدخلتُ إلى هشام يومًا ، فحدثته ، وأطلت ، فتنفس . ثم قال : ياخالدُ ، رُبَّ خالدٍ كان أحبَّ إلىَّ قربا ، وألذَّ عندى حديثا منك ، قال : يعنى خالداً القسرى ، فانتهزتها ، ورجوت أن أشفع له فتكون لى عند خالدٍ يدٌ ، فقلت : يا أمير المؤمنين، فما يمنعك من استئناف الصنيعة عنده ؟ فقد أدَّبْتَه بما فَرَطمنه ، فقال : هيهات ، إن خالداً أوجف[2] فأعجف ، وأدل[3] فأملّ ، وأفرط فى الإسَاءة فأفرطْنا فى المكافأة ، فحَلِم الأديمُ[4] ، ونَغِلَ الجرح[5] ، وبلغ السيلُ الزُّبى[6] والحزام الطُّبْيين[7] ، فلم يبق فيه مُسْتَصْلح ، ولا للصنيعة عنده موضع ، عُدْ إلى حديثك .

عود إلى تخنثه ودورانه فى فلك عمر بن أبى ربيعة

فأمَّا أخباره فى تخنثه وإرسال عمرَ بن أبى ربيعة إياه إلى النساء ، فأخبرنى به علىّ بن صالح بن الهيثم عن أبى هِفّان، عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى ، عن عثمان بن إبراهيم الحاطبى ، وأخبرنى الحَرَمىُّ بن أبى العلاء ، قال : حدثنى الزبير بن بكار ، قال :

(١) متعلق الجار والمجرور محذوف ، تقديره « عالقة » أو مزرية به ، أو نحو ذلك .

(٢) لعله يريد بقوله : « أوجف فأعجف » أسرع فى الإساءة ، وتمادى فيها ، فأصاب منزلته عندنا بالهزال والعجف .

(٣) أدل فأمل ، أكثر من الإدلال ، فسبب لنا السامة والإملال .

(٤) الأديم : الجلد ، حلم : كثر دوده ، حتى تثقب وفسد .

(٥) نغل الجرح : تعفن ، وفسد .

(٦) الزبى : جمع زبية ، وهى الربوة لايصل اليها الماء ، فإذا وصل إليها كان ذلك نذيرا بخطر السيل ، وجملة « بلغ السيل الزبى » مثل يضرب عند تفاقم الخطر ، وبلوغه مداه .

(٧) الطبى – بضم الطاء وكسرها – حلمة ثدى الناقة ونحوها ، وجملة « جاوز الحزام الطبيين » كسابقتها تضرب مثلا فى تفاقم الأمر ، وبها تمثل عثمان بن عفان فى خطابه إلى على بن أبى طالب ، مبديا استعداده على الثائرين عليه » .

حدثنى محمد بن الحارث بن سعد السيدى، عن إبراهيم بن قُدامة الحاطبى، عن أبيه، واللفظ لعلى بن صالح فى خبره، قالا [١] : قال الحاطبى :

أتيت عمر بن أبى ربيعة بعد أن نَسَك بسنين، فانتظرته فى مجلس قومه، حتى إذا تفرق القومُ دنوتُ منه، ومعى صاحب لى، فقال لى صاحبى : هل لك فى أن تُرِيغَه [٢] عن الغزل، فننظر هل بقى منه شىء عنده ؟ فقلت له : دونك. فقال : يا أبا الخطاب أحسنَ والله رَيْسَان العذرى - قاتله الله - قال : وفيم أحسن ؟ قال : حيث يقول :

لو جُزَّ بالسيف رأسى فى مودّتها ... لمالَ لا شك يَهوِى نحوَها راسى

فقال : نعم أحسن، فقلت : يا أبا الخطاب، وأحسنَ واللهِ تحيَّةُ بنُ جُنادة العذرىّ، قال : فى ماذا ؟ قلت : حيث يقول :

سرت لعينيك سَلْمى بعد مغفاها ... فبتّ مستوهنًا من بَعْدِ مسراها

فقلت : أهلاً وسهلاً من هَدَاكِ لنا ... إن كنتِ تمثالَها أو كنتِ إيّاها

وفى رواية الزبيرى خاصة :

تأتى الرياحُ التى من نَحْـوِ أرضكم ... حتى أقول : دنَتْ منّا بريّاها

وقد تراخت بها عنّا نوًى قَذَفٌ ... هيهاتَ مُصْبَحُها من بعدِ مُمْساها[٣]

مِنْ حُبّها أتمنّى أنْ يلاقِيَنِى ... من نحو بلدتها ناعٍ فينعاها

كيما أقولَ : فِراقٌ لا لقاءَ له ... وتُضمِرَ اليأسَ نفسى ثم تَسلاها

(١) ضمير « قالا » لعلى بن صالح والحرمى بن أبى العلاء.

(٢) تريغه : من أراغه عن الأمر وعليه : طلبه منه.

(٣) قذف : بعيدة تتقاذف بمن تسير به ، مصبح وممسى : مصدران ميميان ، أو اسما مكان أو زمان من أصبح وأمسى ، وفى هد ، هج « هيهات مصبحها عنا وممساها ».

ولو تموت لراعتني وقالت لها : يا بؤسَ للدهر ليتَ الدهرَ أبقاها

ويروى :

... لراعتني منيّتها وقالت يا بؤسَ ليتَ الدهرَ أبقاها

فضحك عمر ثم قال : يا ويحه أحسن والله ، لقد هيّجتَا عليّ ما كان ساكنًا منى فلأحدّثنّك حديثًا حلوًا : بينا أنا أوّل أعوامى جالس إذا بخالد الخريت ، قال : ٥ مررت بأربع نسوة قُبَيْل[1] ، يردْنَ ناحية كذا وكذا من مكة ، لم أر مثلهن قط ، فيهن هند ، فهل لك أن تأتيهن متنكرًا فتسمع من حديثهن ، ولا يعلمن ؟ فقلت : وكيف لى بأن يخفى ذلك ؟ قال : تلبس لبسة الأعراب ، ثم تقعدُ على قعود ، كأنك تنشدُ ضالة ، فلا يشعُرْنَ حتى تهجمَ عليهن ، قال : فجئت على قعود . ثم أتيتُهنّ فسلمت عليهن ، فآنسْنني ، وَسَألنني أن أنشدهن ، فأنشدتهن لكُثيِّر ١٠ وجميل وغيرهما ، وقلن: يا أعرابى ، ما أملحك ، لو نزلت ، فتحدثت معنا يومنا هذا ، فإذا أمسيت انصرفت ، فأنخت قعودى ، وجلست معهن ، فحدثتهن ، وأنشدتهن ، فدنت هند ، فمدّت يدها ، فجذبت عمامتى ، فألقتها عن رأسى ، ثم قالت : تالله أظننت أنك خدعتنا ، نحن والله خدعناك ، أرسلنا إليك خالدًا الخرّيت فى إتياننا بك على أقبح هيئتك ، ونحن على أحسن هيئتنا . ثم أخذنَ بنا فى الحديث ، فقالت ١٥ إحداهن : يا سيدى لو رأيتنى[2] منذ أيام ، وأصبحت عند أهلى ، فأدخلت رأسى

(١) قبيل : مقابلات

(٢) فى هد « لقد رأيتنى » بضم التاء .

فى جيبى ، فنظرت إلى حجرى ، فرأيته ملء العُسِّ والقَسّ[1] فصرختُ : يا عمراه! فصحتَ[2] : لبيك لبيك ، ولم أزل معه فى أحسن وقت إلى أن أمسينا ، فتفرقنا عن أنعم عيش ، فذلك حين أقول :

ألم تعرفِ الأطلالَ والمتربَّعا ببطن حُلَيَّات دوارسَ بَلْقَعا[3]

وذكر الأبيات .

انقضت أخبار خالد لعنة الله عليه أبداً .

(١) العس : القدح الكبير ، أما القس فلا مكان له هنا ، ونرجح أنهما تحريف « العين والنفس » .
(٢) تاء « صرخت » الأولى ضمير المرأة المتحدثة ، وتاء « صحت » الثانية ضمير ابن أبى ربيعة .
(٣) مضى هذا البيت وما بعده فى حديث سابق ، كما مضى الحديث كله فى هذه الترجمة نفسها مع اختلاف فى الرواية .

صوت

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتِها لنا عجبٌ لو أنَّ رؤياكِ تصدُقُ
أنائلُ ما للعيش بعدكِ لذةٌ ولا مشربٌ نلقاه إلا مُرَنَّقُ[1]
أنائلُ إنِّى والذى أنا عبدُه لقد جعلتْ نفسى من البين تُشفِق
لعمرُكِ إن البين منك يشوقنى وبعضُ بُعادِ البين والنأىِ أشوقُ ٥

الشعر لصخر بن الجعد الخُضرىّ

أخبرنا بذلك محمد بن مزيد، عن الزبير بن بكار أن عمه أنشده هذه القصيدة لصخر ابن الجعد الخضرى، وأنا أذكرها بعقب أخبار صخر. ومن الناس من يروى هذه الأبيات لجميل، ولم يأت ذلك من وجه يصحّ، والزبيرُ أعلم بأشعار الحجازيين.

والغناء لعريب خفيف ثقيل عن الهشامى، وفيه لابن المكى ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. ١٠

(١) مشرب مرنق: مشوب غير صاف.

أخبار صخر بن الجعد ونسبه

نسبه

صخرُ بنُ الجعدِ الخُضْرِىّ، والخُضرُ ولدُ مالك بن طريف بن محارب بن خصفة بن قيس ابن عَيْلان بن مُضَر، وصخر أحد بنى جحاش بن سَلَمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف، قال: وسُمِّى ولد مالك بن طريف الخُضْر لسوادِهم، وكان مالك شديد الأُدْمة (١). وخرج ولدُه إليه فقيل لهم الخُضْر، والعرب تسمى الأسودَ الأَخْضَرَ.

ابن ميادة يترفع عن مهاجاته

وهو شاعر فصيح من مُخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وقد كان يَعْرِض لابن ميادة لمَّا انقضى ما بينه وبين حَكَمٍ الخُضْرىّ (٢) من المهاجاة، ورام أن يهاجيَه، فترفَّع ابنُ ميّادة عنه.

أخبرنى بخبره علىُّ بنُ سليمان الأخفشُ، عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيات، عن الزبير بن بكار مجموعاً، وأخبرنى بأخْبار له متفرقة الحَرَمىُّ بن أبى العلاء، عن الزبير ابنِ بكار.

وحدثنى بها غيرُهما من غير رواية الزبير، فذكرت كلَّ شىء من ذلك مفرداً، ونسبته إلى راويه

قصته مع محبوبته كأس

قال الزبيرُ فيما رواه هارون عنه:

حدثنى مَنْ أثق به عن عبد الرحمن بن الأحول بن الجَون قال:

كان صخرُ بن الجَعْد مغرما بكأسٍ بنت بُجَيْر بن جُنْدب، وكان يشبب بها، فلقيه أخوها وقَّاصٌ، وكان شجاعا، فقال له: يا صخرُ، إنك تشبب (٣) بابنة عمك وشَهَرْتَها، ولعمرى ما بها عنك مذهبٌ؛ ولا لنا عنك مرغَب، فإن كانت لك فيها حاجة فهلم أزوّجْكَها، وإن لم تكن لك فيها حاجة فلا أعلمَنْ ما عرضت لها

(١) الأدمة: السواد.

(٢) فى هج «الحكم» بدل «حكم».

(٣) فى بعض النسخ: إنك نسبت «بدل» إنك تشبب، وهذه الرواية أنسب.

بذكر ، ولا أسمعته منك . فأقسمُ بالله لئن فعلتَ ذلك ليخالطنّك سيفى ، فقال له : بل والله إن لى لأشدّ الحاجة إليها ، فوعده موعدًا وخرج صخرٌ لموعِدِه ، حتى نزل بأبياتِ القوم ، فنزل منزل الضيف ، فقام وقّاصٌ فَذَبَح ، وجمع أصحابَه . وأبطأ صخر عنهم ، فلما رأى ذلك وقّاص بعث إليه : أن هلمّ لحاجتك ، فأبطأ[1] ، ورجع الرسولُ فقال مثلَ قوله[2]، فغضب . وعمِدَ إلى رجل من الحيِّ ليس يُعْدَلُ بصخر ، يقال له حِصْنٌ ، وهو ٥ مُغْضَبٌ لما صنع ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، وزوّجه كأسَ ، وافترق القوم ، ومروا بصخر ، فأعلموه تزويجَ كأسٍ بحصن، فرحل عنهم من تحت الليل ، واندفع يهجوها بالأبياتِ التى قذَفها فيها فيما قذفَها ، وذلك قوله حين يقول :

وأنكحتها عشرًا لِيَطْمِسَ حَمْلَها وقد حملَتْ من قبلِ حصنٍ وجرّتِ

أى زادت على تسعة أشهر ، قال : وترافع القومُ إلى المدينة ، وأميرُها يومئذ طارق ١٠ مولى عثمان ، قال : فتنازعوا إليه . ومعهم يومئذ رجل يقال له حَزْمٌ ، وكان من أشد الناس على صخر شرًّا . قال : وفيه يقول صخر :

كفى حَزَنًا لو يعلمُ النّاسُ أنّنى أدافعُ كأسًا عند أبوابِ طارقِ[3]

أتنسينَ أيامًا لنا بسُوَيقَةٍ وأيامَنا بالجِزع جِزْعِ الخلائقِ

ليالىَ لا نخشى انصداعًا من الهوى وأيامَ حزمٌ عندنا غيرُ لائقِ[4] ١٥

(١) ضمير « أبطأ » يصح أن يكون عائدا على صخر ، وعلى الرسول .

(٢) فى العبارة التواء فلم يتقدم مرجع الضمير « قوله » .

(٣) يريد بالمدافعة المقاضاة ، وتنوين « كأسا » ليس ضرورة ، فهو مؤنث ثلاثى ساكن الوسط يجوز تنوينه ومنعه من الصرف .

(٤) يريد حزما عدوه الذى تقدمت الإشارة اليه ، و« حزم » مرفوع على الابتداء ، وأيام مضافة ٢٠ إلى الجملة بعدها .

إذا قال: لا تفشى حديثى تعجرفت زياداً لودٍّ ما هنا غير صادق[1]

قال: فأقاموا عليه البيّنة بقذف كأس، فضُرب الحدّ، وعاد إلى قومه، وأيئس على مافاته من تزويج كأس، فطفق يقول فيها الشعر.

قال الزبير: فأنشدنى عمّى وغيره لصخر قوله:

لقد عاود النفسَ الشقيّةَ عيدُها ... نعم إنّهُ قد عاد نحساً سُعودُها[2]

وعاوده من حُبِّ كأسٍ ضمانةٌ ... على النأى كانت هيضةً تستقيدها[3]

وأنّى ترجّيها وأصبح وصلها ... ضعيفا وأمست همّةً لا يكيدها[4]

وقد مرّ عَصْرٌ وهى لا تستزيدنى ... لما استودعت عندى ولا أستزيدها

فما زلتَ حتى زلّتِ النعلُ زلّةً ... برجلك فى زوراء وعثٍ صعودها[5]

ألا قل لكأسٍ إن عرضتَ لبيتها ... فأين بكا عينى وأين قصيدُها؟

لعل البكا يا كأسُ إن نفع البكا ... يقرِّب دنيانا لنا فيعيدها

وكانت تناهت لوعةُ الودِّ بيننا ... فقد أصبحت يُبْساً وأذبل عودُها[6]

(1) تعجرفت: تكبرت، زيادا: مفعول لأجله، أى تكبرت لتزيد ودا بيننا غير صادق، وفى هد، هج: «ديارا» بدل «زيادا» ولا معنى له.

(2) العيد هنا: ما يعتاد الأنسان.

(3) الضمانة: العلة، الهيضة: المرض بعد المرض، فاعل «تستقيدها» ضمير كأس، يريد أن كأسا تأخذ القود منه، وتثأر لنفسها بما أصابته به من علة بعد علة.

(4) أمست همه لا يكيدها، أى أمست كأس وليس من همه أن يضمر لها كيدا.

(5) زوراء: أرض بعيدة، وعث صعودها: من وعث الطريق وعثا: تعسر سلوكه، يريد أنه كان مع كأس على وفاق، حتى زلت به النعل زلة لا إقالة منها.

(6) فى هد، هج «زرعة» بدل «لوعة» والمعنى يستقيم على روايتهما

ويروى : وقد ذَاء عودُها يقال: ذبل وذأى وذوى بمعنى واحد .

ليالىَ ذاتُ الرمْسِ لا زال هيْجُها جنوبا ولا زالت سحابٌ تجودُها (١)
وعيشٌ لنا فى الدهر إذ كان قلبُه يطيب، لديه بُخْلُ كأسٍ وجودُها (٢)
تذكَّرْتُ كأساً إذ سَمِعْتُ حمامةً بكت فى ذُرَا نخلٍ طِوالٍ جريدُها
دعت ساقَ حُرٍّ فاستجبتُ لصوتها مولَّهةً لم يبقَ إلا شريدُها (٣)
فيا نفسُ صبرًا كلُّ أسبابِ واصلٍ ستنمِى لها أسباب هَجْرٍ تُبيدُها

قال أبو الحسن الأخفش :

ستنمى لها أسباب صَرْمٍ تُبيدها أجود .

وليلٍ بَدَتْ للعين نارٌ كأنها سَنا كوكبٍ للمستبين خُمودها (٤)
فقلت : عساها نارُ كأسٍ وعلَّها تَشكَّى فأمْضِى نحوَها وأعودُها (٥)
فتسمع قولى قبل حتف يُصِيدُنى تُسَرُّ به أو قبلَ حتفٍ يبيدها
كأن لم نكُنْ يا كأسُ إلْفَى مودةٍ إذِ الناسُ والأيامُ تُرْعَى عهودُها

من شعره فى تجواله

أخبرنى عبد الله بن مالك النحوى ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، قال :

لما ضربَ صخرُ بن الجعد الحدَّ لكأسٍ ، وصارت إلى زوجها نَدِمَ على ما فرط منه ،

(١) ليالى مضاف إلى الجملة بعدها ، ذات الرمس : مكان ، الهيج : الريح ، يقول : إن زرعة الود كانت تناهت بينهما ليالى كانت تهب الريح فيها جنوبا ، وكانت السحاب تمطر فيها ، والسحاب يذكر ويؤنث .

(٢) عيش : معطوف على « ذات الرمس »

(٣) ساق حر : ذكر القمارى ، وفى رواية « فاستحثت » وفى الأصل « فاستحث » وفى هد : « فاستجبت » وهذا هو الذى نرجحه ، يريد أن الحمامة دعت القمرى فاستجبت أنا لندائها حال كونها مولهة ..... الخ .

(٤) وليل واورب ، ورابط جملة الخبر محذوف ، تقديره بدت للعين نار فيه . وفى هج « لا تستبين » بدل « للمستبين » أى أنها نار لا ترى العين لها خمودا ، بل هى متقدة دائما .

(٥) رفع « أمضى » و« أعود » لضرورة الشعر ، فالقياس النصب .

واستجيا من الناس للحدّ الذى ضُرِبَه ، فلحِقَ بالشام ، فطالت غيبتُه بها ، ثم عاد فمرّ بنخل كان لأهله ولأهل كأسٍ ، فباعوه ، وانتقلوا إلى الشام ، فمر بها صخر ورأى المبتاعين لها يصرمونها[1] ، فبكى عند ذلك بكاء شديداً ، وأنشأ يقول :

مررتُ على خَيماتِ كأسٍ فأسبلتْ ... مدامعُ عينى والرياحُ تُذيلُهـا

وفى دارهمْ قومٌ سواهم فأسبلتْ ... دموعٌ من الأجفان فاض مسيلُها

٥

كذاكَ الليالى ليسَ فيها بسالمٍ ... صديقٌ ولا يبقى عليها خليلُها

وقال وهو بالشام :

ألا ليتَ شعرى هل تغيَّرَ بعدَنا ... عن العهدِ أم أمسَى على حاله نجدُ ؟

وعهدِى بنجدٍ منذ عشرين حِجَّةً ... ونحن بُدُنيا ثَمَّ لمْ نَلْقَهَا بعدُ

به الخوصَةُ الدهماء تحت ظلالها ... رياضٌ بها الحَوْذان والنَّفَل الجعدُ[2]

١٠

قال: ومرّ على غديرٍ كانت كأس تشرب منه ويحضره أهلها ويجتمعون عليه، فوقف طويلا عليه يبكي وكان يقال لذلك الغدير جَنان فقال صخر :

بَلِيتُ كما يَبْلَى الرِّداءُ ولا أرَى ... جَنانًا ولا أكنافَ ذِرْوَةَ تَخْلَقُ[3]

ألوِّى حيازيمى بهنَّ صبابةً ... كما تتلوَّى الحيَّةُ المُتَشَرِّقُ[4]

تموت كأس فيرثيها

أخبرنى عبدُ الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال السعيدىّ[5] : حدثنى سَبرةُ مولى يزيدَ بن العوّام ، قال :

١٥

(١) صرم النخلة : جذها .

(٢) الخوص : ورق النخل والمقل والنار جيل وما شاكلها ، الحوذان : نبات عشبى ، النفل : نبت طيب الرائحة أصفر الزهر ، وفى الأصل « بقل » وهو تصحيف .

٢٠

(٣) جنان ، وذروة : مكانان .

(٤) الحيزوم : الصدر أو وسطه ، الحية المتشرق : التى تحاول الدفء عند شروق الشمس .

(٥) فى هج : « السعدى » بدل « السعيدى » .

كان صخر بن الجعد المحاربى خِدْنًا لعوّام بنِ عقبة ، وكان عوّام يهوَى امرأة من قومه ، يقال لها : سوداء ، فماتت ، فرثاها ، فلما سمع صخرُ بن الجَعْد المرثية ، قال : ودِدتُ أن أعيش حتى تموت كأْس ، فأرثيَها ، فماتت كأس ، فقال :

على أمِّ داودَ السلامُ ورحمةٌ من الله يجرى كلَّ يوم بشيرُها

غداةَ غدا الغادون عنها وغُودِرَتْ بلمّاعةِ القِيعان يستنُّ مورُها[1]

وغُيِّبتُ عنها يوم ذاك وليْتَنى شهِدت فيحوِى مَنْكِبِىَّ سريرُها[2]

ويروى : فيعلو منكبى .

نزَت كبدِى لمّا أتانى نعيُّها فقلت : أدانٍ صدعُها فمُطيرُها ؟[3]

أمير المؤمنين يسأل عن قائل شعره

أَخبرنى الحَرَمِىُّ بن أبى العلاء ، قال : حدثنى الزبير ، قال : حدثنى خالد بن الوضاح قال : قال عَبْدُ الأعلى بن عبيد بن محمد بن صفوان الجُمَحِىُّ لعبد الله بن مصعب : سألنى أمير المؤمنين اليوم فى موكبه : مَنِ الذى يقول :

ألا يا كأسُ قد أفنيتُ شِعْرى فلستُ بقائلٍ إلا رجيعا ؟[4]

ولم أدر لمن الشعر ؟ فقال عبد الله بن مصعب : هو لصخرٍ الحَضْرِىِّ ، وأنشدَ باقىَ الأبيات ، وهى :

(١) لمّاعة القيعان : فلاة يلمع السراب أو البرق فى قيعانها ، يستن : يسرع ، المور : الغبار تطير به الرياح كل مطار .

(٢) يكنى بقوله : « يحوى منكبى سريرها » عن احتضانها أو حملها إلى القبر ، ويؤيد المعنى الثانى رواية « فيعلو » التى أشار إليها المؤلف ، وهى أجود

(٣) فى رواية « برت » بدل « نزت » وفى أخرى « أدام » بدل « أدان » وهى أجود ، مطيرها : اسم فاعل من أطار ، والنعى – بالتشديد – كالنعى – بالتخفيف .

(٤) فى الأصل « فلست بنائل بالا رجيعا » . وهو تحريف « فلست بقائل إلا رجيعا » ويعين ذلك قوله : « أفنيت شعرى » .

تُرجِّى أنْ تلاقَ آلَ كأسٍ   كما يرجو أخو السنةِ الربيعا[١]

فما تدع ابنَ أيمٍ إلا بحزنٍ   ولا متيقظًا إلا مَرُوعا

فإنَّكَ لو نظرتَ إذا التقينا   إلى كبدِى رأيتَ بها صُدوعا

من شعره حينما ندم على عدم زواجها

قال ابن حبيب في رواية عبد الله بن مالك : لما زُوِّجَتْ كأسٌ جزع صخرُ بن الجعد
٥ لما فرط منه وندِم وأسِفَ ، وقال في ذلك :

هنيئًا لكأسٍ قطعُها الحبلَ بعدما   عقدْنا لكأس موثِقًا لا نخونُها

وإشماتُهَا الأعداءَ لمّا تألَّبوا   حوالىَّ واشتدَّت علىَّ ضُغُونُها

فإن حَرامًا أنْ أخونَكِ مادعا   بيليَلَ قُمْرِىُّ الحمام وجُونُها[٢]

وقد أيقنَتْ نفسى لقد حِيل دونها   ودونكَ لو يأتى بيأسٍ يقينُها[٣]

١٠ ولكن أبَتْ لا تستفيقُ ولا ترى   عزاءً ولا مجلودَ صبرٍ يعينُها[٤]

لو أنَّا إذ الدنيا لنا مطمئنةٌ   دَحَا ظِلُّها ثم ارجحنَّت غُصونها[٥]

لهونا ولكنا بغرَّة عيشِنا   عجِبنَا لدُنيانا فكِدنا نعيبُها[٦]

(١) السنة هنا : الجدب والمحل .

(٢) يليل - بياءين مثناتين - اسم موضع ، الجون : جمع جوناء ، وهى الناقة السوداء ، والمعنى : ١٥ لن أخونك ماناح الحمام ، أو أرزمت الإبل بهذا المكان ، وفى النسخ اضطراب كثير فى هذا البيت .

(٣) لو هنا للتمنى لا شرطية : يتمنى لو أن يقينه بالحيلولة بينه وبينها أراح قلبه باليأس منها وسلوة حبها .

(٤) مجلود : من جلده على الأمر : أكرهه عليه ، وإضافة «مجلود» إلى «صبر» من إضافة الموصوف إلى الصفة ، أى الصبر الذى أكره نفسى عليه .

٢٠ (٥) دحا الظل : استرخى وامتد ، ارجحنت : تمايلت .

(٦) لهونا : خبر لوانا فى البيت السابق ، عجبنا لدنيانا : أنكرناها : يقول : ليتنا نعمنا بالحياة ، وهى مواتية ، ولكننا تنكرنا لها ، فكدنا نعيبها على إساءتها لنا .

وكنا إذا نحن التقينا وما نرى علينا عيونا إلا من حجاب يصونها[1]
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وأوساطها حتى ترقّ فنونها[2]

تراه كأس فى النوم

قال ابن حبيب : أرسلت كأسٌ بعد أنْ زُوِّجت، إلى صخر بن الجعد تخبره أنها رأته فيما يَرَى النائم : كأنه يلبسها خماراً ، وأنَّ ذلك جدّد لها شوقًا إليه وصبابة ، فقال صخر :

أنائلُ ما رؤيا زعمتِ رأيتِها لنا عجبٌ لو أنّ رؤياكِ تَصْدُق ٥
أنائلُ لولا الودُّ ما كان بيننا نضا مثل ما ينضو الخضابُ فيخلُق[3]

يشترى نسيئة ثم يهرب من البائع

أخبرنا حبيب بن نصر ، قال : حدثنا عبد الله بن شبيب ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله البكرى ، قال :

قدم صخر بن الجعد الخضرىّ المدينة ، فأتى تاجراً من تجارها ، يقال له سيّارٌ فابتاع منه بُرًّا وعطراً ، وقال: تأتينا غُدوة فأقضيك ، وركب من تحت ليلته ، فخرج إلى البادية، ١٠
فلما أصبح سيّار سأل عنه ، فعرف خبرَه ، فركب فى جماعة من أصحابه فى طلبه ، حتى أتوا بئرَ مُطّلِب ، وهى على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحرّ ، فنزلوا عليها ، فأكلوا تمراً كان معهم ، وأراحوا دوابّهم وسقوْها ، حتى إذا بَرَد النهار انصرفوا راجعين ، وبلغ الخبرُ صخرَ بن الجعد ، فقال :

أهْونْ علىّ بسيّارٍ وصفوته إذا جعلتُ صِراراً دون سيّار[4] ١٥

(١) جواب إذا فى البيت التالى ، ويريد بقوله : « وما نرى . . الخ » أنهما كانا مستترين من العيون ، فلا تقع عليهما إلا من وراء حجاب .

(٢) فى «هد ، هج : « حتى ترق فنونها » .

(٣) بيننا : فراقنا ، نضا : نصل ، يخلق : يبلى ، يقول : إن الفراق يؤثر فى الود ، ولكن ودنا متين ، ولولا متانته ما وهى أثر الفراق ، كما يبلى الخضاب وينصل . ٢٠

(٤) صرار : موضع قرب المدينة ، يقول : ماذا عساه يفعل هو وعترته إذا تجاوزت المدينة ، وكان بينى وبينه هذا الموضع .

إنّ القضاء سيأتى دونه زمن فاطوِ الصّحيفةَ واحفَظها من العار[1]

يسائل الناسَ هل أحسستُمُ جَلَباً محاربيًّا أتى من نحو أظفار[2]

وما جَلَبتُ إليهمْ غيرَ راحلة وغيرَ رحل وسيف جَفنُهُ عار

وما أريتُ لهم إلا لأدفعهم عنى ويخرجُنى نقضى وإمرارى[3]

٥ حتى استغاثُوا بأرْوَى بئر مُطّلِب وقد تحرّق منهم كلُّ تمّار[4]

وقال أوّلهم نصحًا لآخرِهم: ألا ارجِعُوا واتركوا الأعرابَ فى النار

أخبرنى عبد الله بن مالك ، عن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا ابن الأعرابى ، قال : جاريته تخدعه

كان الجعد المحاربىّ أبو صخر بن الجعد قد عُمِّرَ حتى خَرِف ، وكان يكنى أبا الصّموت ، وكانت له وليدة[5] يقال لها سمحاء ، فقالت له يوماً : يا أبا الصّموت ، زعم

١٠ بَنُوكَ أنك إن متّ قَتَلُونى ، قال : ولِمَ ؟ قالت : مالى إليهم ذنب غير حبّى لك ، فأعتِقها على أن تكون معه ، فسكتَ يسيراً ، ثم قالت له : يا أبا الصّمُوت ، هذا عَرابةُ من أهل المدِين يَخطُبنى ، قال : أيْنَ هذا مما قلتِ لى ؟ قالت : إنّهُ ذو مال ، وإنما أردت مالَهُ لك ،

(١) يريد بالقضاء قضاء الدين ، وبالعار فشل سيار فى إدراكه .

(٢) فاعل يسائل ضمير سيار ، الجلب : ما جلب من متاع وشاء وإبل ونحو ذلك ، محاربيا : منسوبا

١٥ إلى محارب : يعنى نفسه ، أظفار : طائفة من الكواكب ، وقوله : « أتى من نحو أظفار » كلام مسوق مساق التهكم ، وفى الأصل « احششتم » بدل « أحسستم » وهو تحريف ، والمثبت من هد ، هج .

(٣) ضمير « لهم » يعود على الناس ، الإمرار : فتل الحبل ونحوه ، النقض : ضد الفتل ، ويريد بالنقض والإمرار : المراوغة والخداع ، يريد أننى كنت أظهر نفسى للناس ، ثم أغير الطرق ، لأضلل المقتفين أثرى ، وفى هد : « وما أريتهم » بدل « وما أريت لهم » .

٢٠ (٤) الأروى : إناث الوعول ، وبئر مطلب : المكان الذى نزل فيه سيار ورفقته ، والكلام مسوق مساق التهكم ، أى أنهم نزلوا بئر مطلب ، وأكلوا فيه التمر ، وجعلوا يسألون الوعول عنه ، وقد تحرق من الغيظ كل آكل تمر منهم .

(٥) وليدة : جارية .

قال : فأتنى[1] به، فأتته فزوّجه إياها، فولدت له أولاداً، وقوّتهُ بما كانت تصيبُه من الصيد، وكانت تأتى الجدَ فى أيام، فتمسح رأسه، ثم قطعته، فأنشأ الجد يقول :

أمسى عَرابةُ ذا مال وذا ولدٍ من مالِ جَحْدرٍ وجدٌ غيرُ محمود

تظل تُمْشِطُهُ الكافورَ مُتّكئاً على السرير وتصطبى على العُود

قال والجد هو القائل لامرأته :

من قوله لامرأته

تُعالجنى أمّ الصّموت كأنما تُداوى جناناً أوهنَ العظمَ كاسِرُه[2]

فلا تعجبى أمّ الصموت فإنه لكل جواد عثرة هو عاثِره

وقد كنتُ أم طاد الظباء مُوَطّئا وأضرب رأسَ القِرن والرمحُ شاجِره[3]

فأصبحتُ مثل العش طارت فراخُه وغودر فى رأس الهشيمة سائره[4]

أولاده يرثونه حيًّا

فلما كبر جَحْدَرٌ بنوه، فأتوا به مكة، وقالوا له : تعبّدْ هاهنا، ثم اقتسموا المال، وتركوا له منه ما يُصلحُه، فقال : ١٠

ألا أبلغ بنى جَحْدرٍ رسولا وإن حالت جبالُ الغَوْرِ دُونى

فلم أرَ معشراً تركوا أباهم من الآفاق حيث تركتمونى

فإنى والرّوافِص حول جَمْعٍ ومَحْطِمهُنّ من شعبا الحجون[5]

(١) «فأتتنى» كذا بالأصل، والقياس «فأتينى» بإثبات ياء المؤنثة .

(٢) الهاء من كاسره تعود على الجنان لا على العظم .

(٣) موطئا : منحدرا ، شاجره : داخل فيه مشتبك به

(٤) الهشيمة : الشجرة البالية ، سائره : باقيه .

(٥) فى هد ، هج «الرواقص» بدل «الروافص» ويريد بها الإبل التى تحمل الحجيج ، والواو : واو القسم ، جمع : علم على المزدلفة ، محطمهن : من الحطم بمعنى الازدحام ، الحجون : جبل بمعلاة مكة ، يقسم بجموع الحجيج المزدحمة فى المزدلفة وفى صحراء الحجون ، وتتمة الكلام فى البيتين التاليين .

لو أنّى ذو مدافعةٍ وحولٍ كما قد كنت أحياناً كمُونى[1]
إذا أعطيتُكُمْ مالِى ونفسى بنصلِ السيفِ أو اقتلتُمونِى

وأخبرنى الحرمى بن أبى العلاء ، قال : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنا محمدُ ابن عبد الله بن عثمان البكرىّ ، عن عروة بن زيد[2] الضمرى ، عن أبيه ، قال :

يمنيا وعبده حاضر البديهة

٥ كنتُ فى ركبٍ فيهم صخر بن الجعد ، ودرنٌ مولى الضمريين معنا ، ونحن نريد حيبر ، فنزلنا منزلا تعشّينا فيه ، فهيّجنا إبلَ صخر ، فلما ركبنا ساق بنا واندفع يَرجُزُ[3] ، ويقول :

* لقد بعثت حاديا قراصِفا[4] *

فردّده قِطَعاً من الليل لا يُنْفِده[5] ، ولا يقول غيرَه ، ثم قال لنا : إنى نسيت ١٠ عِقالا ، فرجع يطلبه فى المتعشّى ، ونزل دَرَنٌ يسوق بالقوم ، فارتجز دَرَن يجيب صخرا ، وقال :

لقد بعثتُ حادياً قُراصِفا من منزلٍ رَحَلْتُ عنه آنفا
يسوق خُوصًا رجّفاً حواجفا مثلَ القِسِىّ تقذف المقاذفا[6]

(١) الحول : القوة ، كونى : بدل من التاء فى « كنت » والمراد كمونه لعدوه ، كى يأخذه على ١٥ غرة : يقسم أنه لو بقيت له قوته وحيله فى مداورة أعدائه ما استطاع أبناؤه أن يؤذوه فى نفسه وماله ، ولو هلك فى سبيل الدفاع عنهما .
(٢) فى هج : « عن محمد بن يزيد » بدل « عن عروة بن زيد » .
(٣) يرجز : ينشد شعرا من الرجز .
(٤) قراصفا : مسرعا .
٢٠ (٥) فى بعض النسخ : « شطرا من الليل » بدل « قطعا من الليل » . ضمير ينفده يعود على البيت « لقد بعثت حاديا قراصفا » وهو من مشاطير الرجز ، ويريد بقوله « لا ينفده » : لا يجعله ينفد : وينتهى لكثرة ترداده .
(٦) خوصا : جمع خوصاء ، وهى الناقة ونحوها غارت عينها ، رجفا : مهتزة ، وفى هد ، هج « حراجفا » بدل « حواجفا » وليس لكليهما من المعنى ما يناسب المقام ، فلعلها محرفة عن « خرانف » ٢٥ بمعنى الإبل الغزيرة ، أو « خذارف » بمعنى القطيع من الإبل .

حتى ترى الرَّباعِىَ العُتارِفا من شدة السير يُزَجَّى واجفا[1]

قال : فأدركه صخر ، وهو فى ذلك ، فقال له : يا بن الخبيثة أتجترىء على أن تنفذ بيتا أعيانى ؟ فقاتله ، فضربه ، حتى نزلنا ، ففرقنا بينهما .

(١) الرباعى : من ربعت الإبل : سرحت فى المرعى ، العتارف : لعله من العترفة ، وهى فى الجمل بمعنى الشدة والقوة ، والذى فى المعاجم «عتريف» و «عتروف» يزجى : يساق ، واجفا : مسرعا ، يقول : وهذا الرجز من التفاهة بحيث لا يستحق أن يغضب من أجله صخر على غلامه .

صوت

إذا سَرَّها أمر وفيه مساءتى قضيتُ لها فيما تُحِبُّ على نفسى[1]

وما مرَّ يومٌ أرتجى منه راحةً فأذكره إلا بكيتُ على أمسى

الشعر لأبى حفص الشِّطرنجىّ ، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

(١) فى هد ، هج «تريد» بدل «تحب» .

أخبار أبي حفص الشطرنجي ونسبه

نشأته

أبو حفص: عمر بن عبد العزيز، مولى بني العباس، وكان أبوه من موالي المنصور فيما يقال، وكان اسمه اسماً أعجمياً، فلما نشأ أبو حفص وتأدب، غَيَّرَهُ وسَمَّاه عبد العزيز.

أخبرني بذلك عمي، عن أحمد بن الطيب، عن جماعة من موالي المهدي.

ونشأ أبو حفص في دار المهدي ومع أولاد مواليه، وكان كأحدهم، وتأدب، وكان لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به، فلُقِّب به لغلبته عليه.

انقطاعه إلى علية بنت المهدي

فلما مات المهدي انقطع إلى عُلية، وخرج معها لما زوجت، وعاد معها لما عادت إلى القصر، وكان يقول لها الأشعار فيما تريده من الأمور بينها وبين إخوتها وبني أخيها من الخلفاء، فتنتحل[1] بعض ذلك، وتترك بعضه، ومما ينسب إليها من شعره ولها فيه غناء، وقد ذكرنا ذلك في أغانيها وأخبارها:

* تحبَّبْ: فإن الحبَّ داعيةُ الحبِّ *

وهو صوت مشهور لها.

يتخامرون عليه في الأوصاف

حدثني الحسن بن علي الخفاف، قال: حدثني أحمد بن الطيب السَّرخَسِي قال: حدثني الكنديّ، عن محمد بن إبراهيم البرمكيّ، قال:

رأيت أبا حفص الشطرنجيّ الشاعر، فرأيته إنسانا يُلهيك حضورُه عن كل غائب، وتُسليك مجالسته عن هموم المصائب، قُرْبُهُ عُرْس، وحديثُه أُنس، جِدُّه لَعِب، ولَعِبه

(1) تنتحله: تنسبه إلى نفسها.

جد ، دين ما جد[1] ، إن لابستَهُ على ظاهره لبستَ موموقاً لا تمله ، وإن تتبعته اقتبطن خبرته وقفت على مُرُوَّة[2] لا تطير الفواحشُ بجنباتها ، وكان فيما علمته أقل ما فيه الشعر ، وهو الذى يقول :

صوت

تجنَّب : فإن الحبَّ داعيه الحب · وكم من بعيدِ الدارِ مُستوجِب القُرب[3]

إذا لم يكن فى الحب سخطٌ ولا رضاً · فأين حلاوات الرسائل والكُتب ؟

تفكَّرْ فإن حُدِّثتَ أنَّ أخا هوًى · نجا سالماً فارجُ النجاة من الكرب[4]

وأطيبُ أيامِ الهوى يومُك الذى · تُرَوَّعُ بالتحريش فيه وبالعتب[5]

قال : وفى هذه الأبيات غناء لعُلَيَّةَ بنتِ المهدىّ ، وكانت تأمره أن يقول الشعر فى المعانى التى تريدها ، فيقولها ، وتغنى فيها .

قال : وأنشدنى لأبى حفص أيضاً :

صوت

عَرِّضَنْ للذى تُحِبُّ بحُبٍّ · ثم دَعْهُ يَرُوضُهُ إبليسُ

فلعَلَّ الزَّمانَ يُدْنيك منه · إن هذا الهوى جليلٌ نفيسُ

(١) فى هد ، هج « دين ماجن »

(٢) فى هد ، هج « مروة » كما أثبتناها ، وفى الأصل كتبت هكذا « مرواة » منقوطة بكسر الميم وسكون الراء ، ولم نجد لها معنى ، و « مروة » : تخفيف « مروءة » .

(٣) فى هج : « فإن القرب داعية الحب » .

(٤) هكذا ورد فى هد ، وفى الأصل : فارج النجاة من الحب .

(٥) التحريش : الحك والدلك بمشط ونحوه ، وقد استعير هنا لما يحدث بين المحبين من تجن ودلال وملاحاة .

صابِرِ الحبَّ لا يَصْرِفَنْكَ فيه من حبيب تجهُّمٌ وعبوسُ[1]
وأقِلِّ اللَّجاجَ واصبرْ على الجهـ ـد فإن الهوى نعيمٌ وبُوسُ

فى هذه الأبيات لداود هزج ذكره لى جحظة وغيرُه عنه .

وأمّا قوله :

* تحبَّبْ فإن الحبّ داعية الحبّ *

فقد مضت نسبته فى أخبار عُلَيَّة .

مساجلة بينه وبين الرشيد على لسان ماردة

أخبرنى الحسن بن على ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك ، وأخبرنى به محمد بن خلف بن المرزبان ، قال : حدثنى أبو العباس الكاتب ، قال :

كان الرشيد يحب ماردةَ جاريتَه ، وكان خلّفها بالرَّقّة ، فلما قدم إلى مدينة السلام اشتاقها ، فكتب إليها :

صوت

سلامٌ على النازح المغتربْ تحيةَ صبٍّ به مكتئبْ
غزالٌ مراتعُه بالبليخِ إلى دَيْرِ زَكّى فقصرِ الخشبْ
أيا مَنْ أعان على نفسه بتخليفه طائعًا مَنْ أحبّ[2]
سأستر والسِّترُ من شيمتى هوى من أحبُّ بمن لا أحبّ[3]

(١) فى هج : « لايغرنك » بدل « لايصرفك » ، وفى المختار : « تجشم » بدل « تجهم » ويريد الشاعر بهذا البيت ما أراده بشار بقوله :

لا يؤيسنّك من مخدّرة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

(٢) من فى المصراع الثانى مفعول تخليفه ، ويريد بإعانتها على نفسها أنها تسببت فى هجر الخليفة إياها .

(٣) يريد أنه سيتظاهر بحب من لا يحب ليستر حبها هى فى نفسه على حد قول الشاعر :

أصافح من لاقيت فى البيت غيرها وكل هوى نفسى لمن لا أصافح

فلما ورد كتابُه عليها أمرت أبا حفص الشِّطرنجيّ صاحب عُلَيَّة، فأجاب الرشيد عنها بهذه الأبيات، فقال:

أتانى كتابُك يا سيدى ... وفيه العجائبُ كلّ العجَبْ

* أتزعُم أنّك لى عاشقٌ ... وأنك بى مُستهامٌ وصبّ

فلو كان هذا كذا لم تكن ... لتتركنى نُهزَةً للكُرَبْ

وأنت ببغدادَ ترعى بها ... نباتَ اللّذاذةِ مَعْ مَنْ تُحِبّ

فيا مَن جفانى ولم أجفُه ... ويا مَن شجانى بما فى الكتبْ

كتابُك قد زادنى صَبوةً ... وأسعَرَ قلبى بحرّ اللهَبْ

فهَبْنى نعَمْ قد كتمتُ الهوى ... فكيف بكتمانِ دمعٍ سَرَبْ

ولولا اتقاؤك يا سيدى ... لوافتك بى النّاجياتُ النُّجُبْ[(1)]

فلما قرأ الرشيد كتابها أنفذ من وقته خادماً على البريد، حتى حَدَرَها[(2)] إلى بغداد فى الفرات، وأمر المغنين جميعاً، فغنَّوْا فى شعره.

قال الأصبهانى: فممّن غنّى فيه إبراهيم الموصلّى؛ غنى فيه لحنَيْن، أحدهما ماخوريّ، والآخر ثانى ثقيل عن الهشامى. وغنى يحيى بن سعد[(3)] بن بكر بن صُغَير العين فيه رملا. ولابن جامع فيه رمل بالبنصر، ولفليح بن العوراء ثانى ثقيل بالوسطى، وللمعلّى خفيف رمل بالوسطى، ولحسين بن محرز هزج بالوسطى، ولأبى زكار الأعمى هزج بالبنصر، هذه الحكايات كلها عن الهشامى، وقال: كان المختار من هذه الألحان كلها عند الرشيد الذى اشتهاه منها وارتضاه لحن سليم.

(١) الناجيات النجب: الإبل الأصيلة السريعة.

(٢) حدر الشيء: دحرجه من علو إلى أسفل، والمراد هنا أنه استقدمها من الرقة.

(٣) فى هد، هج: «يحيى بن صفر».

أخبرنى جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ، قال :

تصالح بين الرشيد وعلية بأبياته

حدثنى محمد بن يزيد النحوى ، قال : حدثنى جماعة من كتّاب السلطان : أن الرشيد غضب على عُلَيّة بنت المهدى ، فأمرت أبا حفص الشِّطْرنجىّ شاعرَها أن يقول شعراً يعتذر فيه عنها إلى الرشيد ، ويسأله الرضا عنها ، فيستعطفه لها فقال :

صوت

لو كان يمنعُ حسنُ العقل صاحِبَه من أن يكون له ذنبٌ إلى أحدِ

كانت عُلَيّةُ أبرا الناس كلِّهمُ من أن تُكافَا بسوء آخرَ الأبدِ[1]

مالى إذا غِبْتُ لم أذكَر بواحدةٍ وإن سَقِمْتُ فطال السُّقْمُ لم أُعَدِ[2]

ما أعجبَ الشىءَ ترجوه فتُحْرَمُه قد كنتُ أحسبُ أنى قد ملأْتُ يدى[3]

فأتاها بالأبيات ، فاستحسنتها ، وغنت فيها ، وألقت الغناء على جماعة من جوارى الرشيد ، فغنَّيْنَه إيّاه فى أول مجلس جلس فيه معهن ، فطرِبَ طرَباً شديداً ، وسألهن عن القصة ، فأخبرنه بها ، فبعث إليها ، فحضرت ، فقبّل رأسَها ، واعتذرت ، فقَبِل عُذرَها ، وسألها إعادةَ الصوت ، فأعادته عليه ، فبكى ، وقال : لاجرم أنى لا أغضب أبداً عليك ما عشت .

بيتان فى دنانير بمائتى دينار

حدثنى محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنا الحسين بن يحيى ، عن عمرو بن بانة ، قال : دخل أبو حفص الشِّطرنجىّ على يحيى بن خالد ، وعنده ابن جامع ، وهو يلقى على

(١) أبرا : كذا فى هد ، وهج والمختار من البراءة ، وفى النسخ : أربى . تكافا : من المكافأة وبالتخفيف أيضا .

(٢) هذا البيت منقول من هد والمختار وساقط من الأصل ، وقولها : «بواحدة» تعنى بواحدة من الذكريات .

(٣) تريد بملء اليد الثقة بمودة الرشيد .

دنانيرَ صوتاً أمره يحيى بإلقائه عليها ، وقال لأبي حفص : قل في دنانير بيتين يُغنِّي فيهما ابنُ جامع ، ولك بكل بيت مائة دينار[1] إن جاءت كما أريد ، فقال أبو حفص :

٧٢
١٩

صوت

أشبهكِ المسكُ وأشبهتِهِ ... قائمةً في لونه قاعدَه

لاشكَّ إذْ لونُكما واحدٌ ... أنكما من طينةٍ واحدَه

٥

قال : فأمر له يحيى بمائة دينار ، وغنى فيهما ابنُ جامع .

قال الأصبهاني : لحن ابن جامع في هذين البيتين هزج .

أخبرني جعفر بن قدامة ، قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

صديق بعض الأسرة الخليفة

كان أبو حفص الشِّطرنجيّ ينادم أبا عيسى بنَ الرشيد ، ويقول له الشعر ، فينتحله ، ويفعل مثل ذلك بأخيه صالح وأخته ، وكذلك بعُلَيَّة عمتهم ، وكان بنو الرشيد جميعاً يزورونه ويأنسون به ، فمرض ، فعادوه جميعاً سوى أبي عيسى فكتب إليه :

١٠

يعاتب ابن الرشيد لأنه لم يعده في مرضه

إخاءُ أبي عيسى إخاءُ ابنِ ضَرَّةٍ ... ووُدِّيَ وُدٌّ لابنِ أمٍّ ووالدِ[2]

ألمْ يأته أنّ التأدّبَ نسبةٌ ... تلاصق أهواءَ الرجالِ الأباعدِ

فما بالُه مُستعذِباً من جفائنا ... مواردَ لم تَعذُبْ لنا من مواردِ

أقمتُ ثلاثاً حاذِراً حُمّى مُضِرَّةٍ ... فلم أرَه في أهل ودّي وعائدي

١٥

فلا هي الدنيا قروضٌ وإنما ... أخوكَ مُديمُ الوصلِ عند الشدائد

(١) في هج : « ولك بكل بيت ديناران » .

(٢) في هج : « وودى له ود ابن أم ووالد » ، وكلتا الروايتين سليمتان .

حدثنى جعفر بن الحسين ، قال : حدثنى ميمون بن هارون ، قال : حدثنا أبى عن أبى حفص الشطرنجى : قال :

قال لى الرشيد يوماً : يا حبيبى ، لقد أحسنتَ ما شئتَ فى بيتين قلتَهما ، قلت : ما هما يا سيدى ؟ فمِنْ شرفهما استحسانُك لهما ، فقال : قولك :

صوت

لم ألقَ ذا شَجَنٍ يبوح بحُبِّه إلا حَسِبتُك ذلك المحبوبَا
حذرًا عليك وإننى بكِ واثقٌ ألّا ينالَ سواىَ منكِ نصيبَا

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، ليسا لى ، هما للعباس بن الأحنف ، فقال : صدقْتَ والله أعجبُ إلىّ ، وأحسنُ منهما بيتاك حيث تقول :

إذا سرَّها أمرٌ وفيه مساءتى قضيتُ لها فيما تريد على نفسى
وما مرَّ يوم أرتجِى فيه راحةً فأذكُرَه إلا بكيتُ على أمسِى

فى البيتين الأولين اللذين للعباس بن الأحنف ثقيل لإبراهيم الموصلى ، وفيهما لابن جامع رملٌ عن الهشامى ، الروايتان جميعاً لعبد الرحمن ، وفى أبيات أبى حفص الأخيرة لحن من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّس .

أخبرنى محمد بن يحيى الصولى ، قال : حدثنى الحسين بن يحيى ، قال : حدثنى عبد الله ابن الفضل ، قال :

دخلتُ على أبى حفص الشطرنجى شاعرِ عُلَيّة بنتِ المهدىّ أعوده فى علّته التى مات فيها ، قال : فجلستُ عنده فأنشدنى لنفسه :

صوت

نعى لك ظلَّ الشبابِ المشيبُ ... ونادتك باسمٍ سواكَ الخطوبُ (١)

فكُن مستعدًّا لداعي الفناء ... فإن الذى هو آتٍ قريبُ

ألسنا نرى شهواتِ النفو ... س تَفنَى وتبقى عليها الذنوبُ

وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ ... فعاش المريضُ ومات الطبيبُ

يخاف على نفسه من يتوبُ ... فكيف ترى حال من لا يتوب؟

٧٣
١٩

غنى فى الأول والثانى إبراهيم هزجا .

انقضت أخباره .

(١) يريد بمناداة الخطوب إياه باسم سواه أن موت لداته نذير موته .

صوت

أبَى لَيْلِىَ أن يذهبْ ونِيطَ الطَّرفُ بالكوكبْ
ونجمٍ دونه النَّسرا نِ بين الدَّلوِ والعقرَبْ[1]
وهذا الصُّبحُ لا يأتى ولا يدنو ولا يَقربْ

الشعر لأمية بنت عبد شمس بن عبد مناف ، والغناء لإسحاق هزج بالوسطى . ٥

تسرق لحن إسحاق وهو سكران

أخبرنا محمد بن يحيى ومحمد بن جعفر النحوى ، قالا : حدثنا محمد بن حماد ، قال :

التقيتُ مع دِمَن جارية إسحاق بن إبراهيم الموصلى يوما ، فقلت لها : أسمعينى شيئاً أخذتِه من إسحاق ، فقالت : والله ما أحدٌ من جواريه أخذ منه صوتا قط [٢] ولا ألقى علينا شيئاً قط[٢] وإنما كان يأمر من أخذ منه من الرجال مثل مخارق وعلّويه ووجه القرعة الخزاعىّ وجوارى الحارث بن بسخنّر أن يلقوا علينا ما يختارون[٣] من أغانيهم ، ١٠ وأما عنه فما أخذت شيئاً قط إلا ليلة، فإنه انصرف من عند المعتصم ، وهو سكران ، فقال للخادم القيِّم على حُرَمه : جئنى بدِمَن ، فجاءنى الخادم ، فدعانى ، فخرجت معه ، فإذا هو فى البيت الذى ينام فيه ، وهو يترنم فى هذا الشعر :

أبَى لَيْلِىَ أن يَذْهَبْ ونِيطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ

وهو يتزايد فيه ، ويقومه ، حتى استوى له ، ثم قام إلى عُودٍ مصلَح معلّق كان يكون ١٥ فى بيت منامه ، فأخذه ، فغنى الصوت ، حتى صحّ له ، واستقام عليه ، وأخذته عنه ، فلما

(١) النسران : مجموعتان من النجوم تقعان فى النصف الشمالى من القبة السماوية ، والدلو والعقرب : برجان من بروج السماء .

(٢ - ٢) ما بين القوسين تكملة من هد .

(٣) فى هد ، هج « ما يختاره » . ٢٠

فرغ منه قال : أين دمن ؟ فقالت : هو ذا[1] أنا هاهنا ، فارتاع ، وقال : مُذْ كَمْ أنتِ هاهنا ؟ قلت : مذ بدأت بالصوت وقد أخذته بغير حمدِك ، فقال : خذى العود ، فغنيه ، فأخذته ، فغنيته ، حتى فرغت منه ، وهو يكاد أن يتميّز غيظاً ، ثم قال : قد بقى عليك فيه شىء كثير ، وأنا أصلحه لك ، فقالت : أنا مستغنية عن إصلاحك ، فأصلِحه لنفسك ، فاضطجع فى فراشه ونام ، وانصرفت ، فمكث أياما إذا رآنى قطّب[2] وجهه .

وهذا الشعر تقوله أُميمة بنت عبد شمس بن عبد مناف ترثى به من قُتِلَ فى حروب الفِجار[3] من قريش .

(١) كذا فى النسخ ، والقياس « هى ذى أنا » بدل « هو ذا أنا » وربما صح أن يكون : هو ضمير الشان .

(٢) فى هد ، هج : « قطب فى وجهى » بدل « قطب وجهه » والظاهر أن سبب هذا التحريف أعاها اللحن عنه دون أن يشعر .

(٣) الفجار – بكسر الفاء – جمع فجرة ، وإنما سميت بذلك لأنها كانت فى الأشهر الحرم ، ولأن قيسا لما انهزمت فيها قالت : « قد فجرنا » .

ذكر الخبر فى حروب الفجار و حروب عكاظ
ونسب أمية بن عبد شمس

نسب أمية

أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها تفخر(١) بنت عبيد بن رواس بن كلاب، وكانت عند حارثة بن الأوقص(٢) بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان السلمى، فولدت له أمية بن حارثة.

وكانت هذه الحرب بين قريش وقيس عيلان فى أربعة أعوام متواليات، ولم يكن لقريش فى أولها مدخل، ثم التحقت بها.

فأما الفجار الأول فكانت الحرب فيه ثلاثة أيام، ولم تسم باسم لشهرتها(٣).

٧٤ / ١٩

وأما الفجار الثانى فإنه كان أعظمها؛ لأنهم استحلوا فيه الحرم، وكانت أيامه يوم نخلة، وهو الذى لم يشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وشهد سائرها، وكان الرؤساء فيه حربَ بن أمية فى القلب، وعبدَ الله بن جُدْعان، وهشام بن المُغيرة فى المجنبتين ثم يوم شمطة(٤)، ثم يوم العبلاء، ثم يوم عكاظ، ثم يوم الحرة.

الشرارة الأولى فى حرب الفجار

قال أبو عبيدة: كان أول أمر الفِجار أنّ بَدْرَ بن معشر الغِفارى أحد بنى غِفار بن مالك بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان رجلا منيعا مستطيلا بمنعته على من ورد عكاظ، فاتخذ مجلسا بسوق عكاظ، وقعد فيه وجعل يَبذخ(٥) على الناس ويقول:

نحن بنو مدركةَ بنِ خِنْدِف ... مَن يطعنوا فى عينه لا يَطْرِف(٦)

(١) فى هد، هج: «هجر» بدل «تفخر».
(٢) فى هج: «الأرقم» بدل «الأوقص».
(٣) فى الأصل «تشهر بها» وهو تحريف «لشهرتها» والمثبت من هج.
(٤) فى هد: «سمطة»، وفى هج «سخطة» بدل «شمطة».
(٥) يبذخ: يفخر، ويغالى فى فخره، وفى ب «يبرح» وفى هد «يبزخ» وكلاهما تحريف.
(٦) لا يطرف: من طرف البصر: تحرك جفناه.

ومَنْ يكونوا قومه يَغطرِف كأنهم لُجَّةُ بحرٍ مُسْدِفِ[1]

وبدر بن معشر باسط رجليه، يقول: أنا أعزّ العرب ، فمن زعم أنه أعزُّ منى فليضرب هذه[2] بالسيف ، فهو أعز منى ، فوثب رجل من بنى نصر بن معاوية ، يقال له الأحمر[3] ابن مازن بن أوس بن النابغة ، فضربه بالسيف على ركبته ، فأنْدَرَها[4] ، ثم قال : خذها

٥ إليك أيها الخندِف ، وهو ماسك[5] سيفه ، وقام أيضاً رجل من هَوازِنَ ، فقال :

أنا ابن هَمْدَانَ ذوى التَّغطرفِ بحرٌ بحورٍ زاخرٌ لم يُنْزَفِ[6]

نحن ضربنا ركبةَ الخندِفِ إذ مدّها فى أشهر المُعَرَّفِ[7]

وفى هذه الضربة أشعار لقيس كثيرة لا معنى لذكرها .

اليوم الثانى من أيام الفجار الأول

ثم كان اليوم الثانى من أيام الفجار الأول ، وكان السبب فى ذلك أن شبابا من

١٠ قريش وبنى كنانة كانوا ذوى غرام ، فرأوا امرأة من بنى عامر جميلةً وسيمةً ، وهى جالسة بسوق عكاظ فى درع وهى فُضُل[8] عليها برقع لها ، وقد اكتنفها شباب من العرب ، وهى تحدثهم ، فجاء الشباب من بنى كنانة وقريش ، فأطافوا بها ، وسألوها أن تُسْفِر ، فأبت ، فقام أحدهم ، فجلس خلفها ، وحل طرف ردائها[9] ، وشدّهُ إلى فوق

(١) يتغطرف : من الغطرفة بمعنى التيه والخيلاء ، مسدف : من الإسداف بمعنى الظلام ، وذلك

١٥ كناية عن كثرة الامواج .

(٢) هذه : إشارة إلى رجليه ، والعرب كثيرا ما تعيد الضمير على المثنى مفردا فى مثل يدين وعينين ورجلين .

(٣) فى بعض النسخ : « الأحمر » بالصغير بدل الأحمر .

(٤) أندرها : أسقطها ، وفصلها .

٢٠ (٥) كذا فى النسخ ، والمسموع ممسك سيفه ، أو ماسك بسيفه .

(٦) الشعر من الرجز — وفى هد ، هج « أنا أبو الدهقان ذو التغطرف » ولا يستقيم الوزن ، والتغطرف : التيه والخيلاء ، لم ينزف : لم ينضب ماؤه .

(٧) فى أشهر المعرف : فى أشهر الوقوف بعرفات .

(٨) فضل : يقال : امرأة فضل — بضمتين — أى مختالة تسبل من فضل ردائها .

٢٥ (٩) فى هد ، هج : « طرف درعها » .

حُجْزتها[1] بشوكة ، وهى لا تعلم ، فلما قامت انكشف درعها عن دبرها ، فضحكوا ، وقالوا : منعتِنا النظر إلى وجهك ، وجُدْت لنا بالنظر إلى دبرك ، فنادت : يا آل عامر ! فثاروا ، وحملوا السلاح ، وحملته كنانة ، واقتتلوا قتالا شديداً ، ووقعت بينهم دماء ، فتوسط حربُ بنُ أمية ، واحتمل دماء القوم ، وأرْضَى بنى عامر من مُثْلَةِ[2] صاحبتهم .

اليوم الثالث من أيام الفجار الأول

٥ ثم كان اليوم الثالث من الفِجار الأول ، وكان سببه أنه كان لرجل من بنى جُشَم ابن بكر بن هوازنَ دَيْن على رجل من بنى كنانة فلواه[3] به ، وطال اقتضاؤُه إياه ، فلم يُعطِه شيئاً ، فلما أعياه ، وافاه الجشمى فى سوق عكاظ بقِرْدٍ ، ثم جعل ينادى : من يبيعنى مثل هذا الرُّبَّاح[4] بما لِىَ على فلان بن فلان الكنانى ؟ من يعطينى مثل هذا بما لِىَ على فلان بن فلان الكنانى ؟ رافعاً صوته بذلك ، فلما طال نداؤه بذلك وتعييرُه به

١٠ كنانةَ مرّ به رجل منهم فضرب القردَ بسيفه ، فقتله ، فهتف به الجشمىّ : يا آل هوازنَ ، وهتف الكنانىّ : يا آل كنانة ، فتجمع الحيان فاقتتلوا ، حتى تحاجزوا ، ولم يكن بينهم قتلَى ، ثم كفوا ، وقالوا : أفى رُبَّاحٍ تريقون دماءكم ، وتقتلون أنفسكم ؟ وحمل ابنُ جُدْعانَ ذلك فى ماله بين الفريقين .

اليوم الأول من أيام الفجار الثانى

قال : ثم كان يوم الفِجار الثانى ،وأول يوم حروبه يوم نخلة ، وبينه وبين مبعث النبى

١٥ صلى الله عليه وسلم ست وعشرون سنة ، وشهد النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم مع قومه ، وله أربعَ عشْرةَ سنةً ، وكان يناول عمومتَه النَّبل ، هذا قول أبى عبيدة . وقال غيره : بل شهدَها ، وهو ابن ثمانٍ وعشرين سنة .

٧٥
١٩

قال أبو عبيدة : كان الذى هاج هذه الحرب يومَ الفجار الآخرَ ، أن البراض بن قيس بن رافع ، أحَد بنى ضَمْرةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة كان سكِّيراً فاسقاً ، خلعه

٢٠ (١) الحجزة : معقد تكة السراويل ، وفى هج : « فوق عجزها » بدل « فوق حجزتها » .
(٢) من مثلة صاحبتهم : من تنكيلهم وتمثيلهم بها .
(٣) لواه : ماطله .
(٤) الرباح : الذكر من القرود .

قومُه ، وتبرءوا منه فشرب فى بنى الدِّيل ، فخلعوه ، فأتى مكة ، وأتى قريشاً ، فنزل على
حرب بن أمية ، فحالفه فأحسن حَرْبٌ جواره ، وشرب بمكة ، حتى همّ حربٌ أن يخلعه ،
فقال لحرب : إنه لم يبق أحد ، ممن يعرفنى إلّا خلعنى سواك ، وإنك إن خلعتنى لم ينظر
إلىّ أحد بعدك ، فدعنى على حِلْفِك ، وأنا خارج عنك ، فتركه . وخرج ، فلحق
٥ بالنعمان بن المنذر بالحيرة .

من يجيز اللطيمة النعمان

وكان النعمان يبعث، إلى سوق عكاظ فى وقتها بلطيمة[1] يُجيزُها له سيّدُ مُضَر ،
فتباع ، ويُشترى له بثمنها الأدَمُ والحريرُ والوِكاء والحِذاءُ والبرُودُ من العَصْب[2]
والوشى والمُسيَّر[3] والعَدَنى[4] ، وكانت سوق عكاظ فى أول ذى القعدة ، فلا تزال
قائمة يباع فيها ويشترى إلى حضور الحج ، وكان قيامها فيما بين النخلة[5] والطائف
١٠ عشرة أميال ، وبها نخل وأموال لثقيف ، فجهز النعمان اللطيمة له ، وقال : من يجيزها ؟
فقال البرّاض : أنا أجيزها على بنى كِنانة ، فقال النعمان : إنما أريد رجلا يجيزها على أهل
نجد ، فقال عروة الرحال[6] بن عتبة بن جعفر بن كلاب ، وهو يومئذ رجل من هوازن :
أنا أجيزها — أبيت اللعن — فقال له البراض : مِن[7] بنى كنانة تجيزها يا عروة ؟
قال : نعم ، وعلى الناس جميعاً أفَكلْبٌ خليع يجيزها[8] ! .

البراض يقتل عروة

١٥ قال : ثم شخص بها ، وشخص البرّاض ،وعروة يرى مكانه ، لا يخشاه على ما صنع ،
حتى إذا كان بين ظَهْرَىْ غطفان إلى جانب فَدَك ، بأرض يقال لها أُوارةُ قريب من

(١) اللطيمة : عير تحمل المسك والبز وغيرهما للتجارة .
(٢) كذا فى النسخ ، ولعل «العصب» تحريف «القصب» بالقاف لا بالعين ، وهو ثياب رقيقة منسوجة من الكتان .
٢٠ (٣) المسير : ثوب به خطوط من القز والحرير ونحو ذلك .
(٤) العدنى ، لعله نوع من عروض التجارة ينسب إلى عدن .
(٥) فى هد، هج: « نخلة » بدون أداة التعريف .
(٦) فى هج :« عروة الرجال » بالجيم لا بالحاء .
(٧) فى هد ، هج :« وعلى بنى كنانة تجيزها يا عروة ؟ »
٢٥ (٨) يقصد بالكلب البراض نفسه .

الوادى الذى يقال له تَيْمَنُ نام عروة فى ظلّ شجرة ، ووجد البرّاضُ غفلتَه ، فقتله وهرب فى مغاريط[1] الركاب ، فاستاق الركاب ، وقال البراض فى ذلك :

وداهيةٍ يُهال الناسُ منها شددتُ لها بنى بكر ضلوعى[2]

هتكتُ بها بيوتَ بنى كلاب وأرضعتُ الموالى بالضروع[3]

جمعتُ لها يدىَّ بنصل سيفٍ أفلّ فخرّ كالجِذْع الصّريع[4]

وقال أيضاً فى ذلك :

قتلتُ على المرء الكلابىّ نخوَه وكانت قديماً لا أُقِرُّ فخارا

علوتُ بحدّ السيف مفرقَ رأسه فأسمع أهلَ الواديين خُوارا

قال : وأمُّ عروة الرحّال تُغَيْرَةُ بنت أبى ربيعة بن نَهِيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فقال لبيد بن ربيعة يحض على الطلب بدمه :

فأبلغْ إن عرضتَ بنى نُمَيرٍ وأخوالَ القتيل بنى هِلال

بأنّ الوافدَ الرحّال أضحى مقيما عند تَيْمَنَ ذى الظِّلال[5]

قال أبو عبيدة : فحدثنى أبو عمرو بن العلاء ، قال : لقى البرّاضُ بشرَ بن أبى خازم ، فقال له : هذه القلائص لك على أن تأتى حربَ بن أمية وعبد الله بن جُدْعانَ وهِشاماً والوليد ابنى المغيرة ، فتخبرَهم أن البرّاض قتل عروة ، فإنى أخاف أن يسبق الخبرُ إلى

(١) المغاريط : جمع عضروط ، وهو الخادم أو الأجير .

(٢) بنى بكر : منادى ، ضلوعى : مفعول « شددت » ، وقد يصح اعتبار بنى بكر مفعول « شددت » وعليه تكون « ضلوعى » بدلا من بنى بكر ، بمعنى أنصارى وأعوانى .

(٣) فى ب : الرضوع ، تحريف « الضروع » ، كما فى هج ، له ، والمراد أننى بهذه الداهية أو هتكت بنى كلاب ، وأرضعت قومى لبان المجد والفخار من ضروعها .

(٤) لها : للداهية ، وفى نسخة « له » أى لعروة القتيل ، أفل : به فلول من كثرة الصراع .

(٥) يريد بقوله : « مقيما » أنه دفين هناك .

٧٦
١٩

قيس أن يكتموه . حتى يقتلوا به رجلا من قومك، عظيما . فقال له : وَمَا يؤمنك، أن تكون أنت ذلك القتيل ؟ قال : إنّ هوازن لا ترضى أن تقتل بـ سيدها رجلاً خليعاً طريداً من بنى ضَمْرَة ، قال : ومرّ بهما الحُلَيْسُ بنُ يزيدَ أحدُ بنى الحارث بن عبد مناة بن كِنانة ، وهو يومئذ سيدُ الأحابيش من بنى كنانة . والأحابيشُ[1] من بنى الحارث بن عبد مناة ابن كنانة وهو نُفاثة بن الدِّيل ، وبنو لحيان من خزاعة ، والقارة ، وهو أثيع بن الهون بن خزيمة ، وعَضَل[2] بن دَمَس بن محلِّم بن عائذ[3] بن أثيع بن الهون كانوا تحالفوا على سائر بنى بكر بن عبد مناة ، فقال لهم[4] الحليس : مالى أراكم نَجِيًّا[5] ؟ فأخبروه الخبر ، ثم ارتحلوا ، وكتموا الخبر على اتفاق منهم .

وفاء ابن جدعان

قال : وكانت العرب إذا قدمت عكاظ دفعت أسلحتها إلى ابن جُدْعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ثم يردّها عليهم إذا ظعنوا ، وكان سيداً حكيماً مثرياً من المال . فجاءه القوم ، فأخبروه خبر البرّاض وقتلِه عُروةَ ، وأخبروا حربَ بن أمية وهشاما والوليد ابنى المغيرة ، فجاء حرب إلى عبد الله بن جُدْعان ، فقال له : احتبس[6] قِبلك سلاح هوازن ، فقال له ابنُ جُدعان : أبِالغَدْرِ تأمرنى يا حرب ؟ والله لو أعلم أنه لا يبقى منها سيف إلا ضُرِبتُ به ، ولا رمحٌ إلا طُعِنتُ به ما أمسكتُ منها شيئاً[7] ، ولكن لكم

(١) ليس قوله والأحابيش عطفا على ما قبله ، بل هو كلام مستأنف ، وسموا بذلك لأنهم تحالفوا على أن يكونوا يدا على من سواهم ما أقام حبشى ، وهو جبل معروف .

(٢) فى هد ، هج : « وعقيل بن دلس » بدل « وعضل بن دمس » .

(٣) فى هد : « محلم بن عائذة » بدل « محلم بن عائذ » .

(٤) كان السياق يقتضى أن يقول « لهما » بدل « لهم » لأن الحليس إنما يخاطب البراض وبشر ابن أبى خازم فلعله أنزل الاثنين منزلة الجمع .

(٥) نجيا : فعيلا من النجوى : بمعنى متناجين ، أى مختلين فى حديث سرى .

(٦) إنما طلب ذلك إليه حتى لا تطالب هوازن بدم عروة .

(٧) نقول : وهذا مثل من أمثلة الوفاء العربى ، يغطى على ما ينسب إلى السموءل بن عادياء اليهودى .

مائة درع ، ومائة رمح ، ومائة سيف ، في مالي تستعينون بها ، ثم صاح ابنُ جُدْعان في الناس : مَن كان له قِبَلي سلاح فليأتِ ، وليأخذه ، فأخذ الناس أسلحتهم .

يخدعون هوازن فلا تجدى الخديعة

وبعث ابنُ جُدعان وحربُ بن أميّة وهشامٌ والوليدُ إلى أبي بَرَاء[1] : إنه قد كان بعد خروجنا حرب ، وقد خفنا تفاقم الأمر ، فلا تُنكروا خروجنا ، وساروا راجعين إلى مكة ، فلما كان آخرَ النهار بلغ أبا براء قتلُ البراض عُرْوَة ، فقال: خدعني حربٌ وابنُ جُدعان ، وركب فيمَن حضر عكاظ من هوازن في أثر القوم ، فأدركوهم بنخلة ، فاقتتلوا حتى دخلت قريش الحرَم ، وجنّ عليهم الليل، فكفّوا، ونادى الأدْرَمُ بن شعيب، أحَدُ بني عامر ابن ربيعة بن صعصعة : يامعشر قريش، ميعادُ ما بيننا هذه الليلة[2] من العام المقبل بعكاظ، وكان يومئذ رؤساء قريش حربُ بن أميّة في القلب، وابنُ جُدعان في إحدى المجنّبتين ، وهشامُ ابنُ المغيرة في الأخرى، وكان رؤساء قيس عامرُ بن مالك، ملاعب الأسنّة على بني عامر ، وكدّامُ بن عُمَير على فَهْم وعدوان ، ومسعودُ بن معتب على ثقيف ، وسبيعُ بن ربيعة النصرى[3] على بني نصر بن معاوية ، والصِّمّةُ بن الحارث، وهو أبو دُرَيْدِ بن الصمة على بني جُشَم ، وكانت الراية مع حرب بن أميّة ، وهي راية قُصَيّ التي يقال لها العُقاب .

شعر خداش بن زهير في هذه الحرب

فقال في ذلك خِدَاشُ بن زهير :

يا شِدّةً ما شددْنا غيرَ كاذبةٍ ... على سَخِينَةَ لولا الليلُ والحَرَمُ[4]

(١) يبدو من سياق الحديث أن أبا براء هذا كان صاحب رأي في هوازن .

(٢) في هد ، هج : « هذه الليالى » .

(٣) في هد : « النضرى» بالضاد المعجمة .

(٤) الشدة : يريد بها الهجوم ، ماشددنا : ما شددناها ، سخينة : لقب يطلق على قريش ، وهو في الأصل طعام كانت تتخذه ، فأطلق عليها ، يريد أننا هجمنا على قريش هجمة صادقة ، فلم ينقذها من أيدينا إلا هجوم الليل واعتصامها بالحرم .

إذ يتّقينا هشامٌ بالوليد ولو … أنّا ثقفنا هشاماً شالت الخدَم[1]

بين الأراكِ وبين المرج نبطحُهم … زُرقُ الأسنّة فى أطرافها السُّهُم[2]

فإن سمعتم بجيش سالكٍ سَرِفاً … وبطنَ مُرّ فأخفوا الجرس واكتتموا[3]

عبدالملك يستنشد شعر خداش

وزعموا أن عبد الملك بن مروان استنشد رجلا من قيس هذه الكلمة ، فجعل يحيد[4] عن قوله : « سخينة » ، فقال عبد الملك : إنا قوم لم يزل يعجبنا السُّخن ، فهات ، فلما فرغ قال : يا أخا قيس ، ما أرى صاحبك زاد على التمنى والاستنشاء[5] .

البراض يقدم باللطيمة

٧٧ / ١٩

قال: وقدِمَ البرّاض باللطيمة مَكّةَ ، وكان يأكلها ، وكان عامر بنُ يزيدَ بن الملوّح بن يعمُرَ الكنانىُّ نازلا فى أخواله من بنى نُمَير بن عامر ، وكان ناكحاً فيهم ، فهمّت بنو كلاب بقتله ، فمنعه بنو نمير ، ثم شيّعوا به حتى نزل فى قومه ، واستغوَتْ[6] كنانةُ بنى أسد وبنى نمير[7] واستغاثوا بهم ، فلم تغثهم ، ولم يشهد الفِجارَ أحدٌ من هذين الحيّين . ١٠

(١) هشام : هو هشام بن المغيرة ، والوليد : هو أخوه ، ويريد بذلك أن الدائرة كانت على قريش ، حتى كان أحدهم يتقى الموت بأخيه ليقتل بدله ، ثقفه : أدركه ، شالت : ارتفعت ، الخدم : جمع خدمة ، وهى الحلقة المحكمة ، وجملة « شالت الخدم » كناية عن الهزيمة ، يقال : فض الله خدمتهم : فرق جمعهم .

١٥ (٢) السهم – بضم السين والهاء – الحرارة الغالبة ، يريد أننا كنا نبطحهم بطعن الأسنة الزرقاء الحامية الاطراف بين هذين المكانين .

(٣) سرف ، وبطن مر : مكانان ، يريد أنهم ينبغى عليهم حين يسمعون بجيشهم أن يختفوا عن العيون ، ويكفوا عن الهمس ، حتى لا يعرف مكانهم .

(٤) ظاهر أن القيسى كان يحيد عن قوله « سخينة » لأنها لقب على قريش ، والخليفة من قريش .

٢٠ (٥) استنشاء : طلب إنشاء الشئ ، وعبارة عبد الملك لا تخلو من غموض ، فالشعر صريح فى هزيمة قريش ، وانتصار أعدائهم عليهم ، فما معنى قوله : ما أرى صاحبك زاد على التمنى والاستنشاء ، لعله أراد بذلك التمنى قول خداش : « ولو أنا ثقفنا هشاما شالت النعم » . ومعروف أن «لو» حرف امتناع لامتناع .

(٦) استغوت كنانة بنى أسد : جروهم إلى الحرب ، وفى ب « استغوث » بالثاء المثلثة ، ٢٥ وهو تصحيف .

(٧) فى هد : « وبنى تميم » .

اليوم الثانى من الفجار الثانى

ثم كان اليوم الثانى من الفِجار الثانى؛ وهو يوم شمطة، فتجمعت كنانة وقريش بأسرها وبنو عبد مناة، والأحابيش، وأعطت قريشٌ رءُوسَ القبائل أسلحةً تامَةً (١وأعطى عبدُ الله بن جُدعان خاصة من ماله مائة رجل من كنانة أسلحة تامة١) وأداة، وجمعت هوازن، وخرجت، فلم تخرج منهم كلابٌ ولا كعبٌ، ولا شهد هذان البطنان من أيام الفجار إلا يومَ نخلة مع أبى براء عامرِ بن مالك، وكان القوم جميعا متساندين، على كل قبيلة سيِّدُهم.

قوّاد قريش ومن معهم

فكان على بنى هاشم وبنى المطلب ولَفِّهم[٢] الزبيرُ بن عبد المطلب، ومعهم النبى صلى الله عليه وسلم، إلا أن بنى المطلب — وإن كانوا مع بنى هاشم — كان يرأسهم الزبيرُ بن عبد المطلب بن هاشم ورجل منهم، وهو عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ابن عبد مناف، وأم الزبير الشفاء بنت هاشم بن عبدمناف، وكان على بنى عبد شمس ولِفِّها حربُ بن أمية ومعه أخواه أبو سفين[٣] وسفيان، ومعهم بنو نوفلِ بن عبد مناف، يرأسهم بعدحرب مُطعمُ بن عدىّ بن نوفل، وكان على بنىعبد الدار ولِفِّها خويلدُ بن أسد وعثمان بن الحويرث، وكان على بنى زُهرةَ ولِفِّها مَخْرمةُ بنُ نوفل بن وهيب ابن عبد مناف بن زهرة وأخوه صفوان، وكان على بنى تيم بن مرة ولِفِّها عبدُ الله ابنُ جُدْعان، وعلى بنى مخزوم هشامُ بن المغيرة، وعلى بنى سَهمِ العاصى بن وائل، وعلى بنى جُمَح ولِفِها أميَّةُ بن خلف، وعلى بنى عدىٍّ زيدُ بن عمرو بن نفيل، والخطابُ ابن نفيل عمّه، وعلى بنى عامر بن لؤى عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ أبو سُهيلِ ابن عمرو، وعلى بنى الحارث بن فِهْر عبدُ الله بن الجَرّاح أبو أبى عبيدة عامر

(١-١) تكملة من هد.

(٢) اللف: الجماعة والأخلاط من الناس.

(٣) فى بعض النسخ: «أبو سفيان».

قوّاد هوازن يوم ... م

ابنِ عبد الله بن الجراح ، وعلى بنى بكر بَلْعَاءُ بن قيس ، ومات فى تلك الأيام ، وكان جثّامة بن قيس أخوه مكانه ، وعلى الأحابيش الحُلَيْسُ بن يزيد .

وكانت هوازن متساندين كذلك ، وكان عطيةُ بن عفيف النّصْرىّ على بنى نصر ٥ ابن معاوية ، وقيل : بل كان عليهم أبو أسماء بن الضّريبة ، وكان الخُنَيْسق الجشمى على بنى جُشَم وسعدِ ابنى بكر ، وكان وهب بن مُعَتِّب على ثقيف ، ومعه أخوه مسعود ، وكان على بنى عامر بن ربيعة وحلفائهم من بنى جسر بن محارب سلمةُ ابن إسماعيل[1] : أحد بنى البكّاء ، ومعه خالد بن هوذَةَ : أحدُ بنى الحارث بن ربيعة ، وعلى بنى هلال بن عامر بن صعصعة ربيعةُ بن أبى ظبيان بن ربيعة بن أبى ربيعة ابن نُهيك بن هلال بن عامر .

هوازن تسبق قريشا وترجح كفتها

١٠ قال : فسبقت هوازنُ قريشا ، فنزلت شَمْطَةَ من عكاظ ، وظنوا أن كنانة لم توافهم[2] ، وأقبلت قريش ، فنزلت من دون المسيل ، وجعل حربٌ بنى كنانة فى بطن الوادى ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم ، ولو أُبِيحت[3] قريش ، فكانت هوازن من وراء المسيل .

قال أبو عبيدة : فحدثنى أبو عمرو بنُ العلاء : قال :

١٥ كان ابن جُدعان فى إحدى المجنّبتين ، وفى الأخرى هشام بن المغيرة ، وحرب فى القلب ، وكانت الدائرة فى أول النهار لِكنانة ، فلما كان آخر النّهار تداعت[4] هوازن ، وصبروا واستحرّ[5] القتل فى قريش ، فلما رأى ذلك بنو الحارث بن كنانة

(١) فى هد ، هج : « سلمة بن يعلى » .

(٢) فى هد ، هج : « لن توافيهم» بدل « لم توافهم » ، وفى نسخة أخرى : « ظنوا أن كنانة توافيهم » وكلها معان محتملة .

٢٠

(٣) ولو أبيحت : ولو دارت الدائرة عليها .

(٤) تداعت : دعا بعضها بعضا .

(٥) استحر : صار حارا شديدا .

٧٨
١٩

— وهم فى بطن الوادى مالوا إلى قريش ، وتركوا مكانهم ، فلما استحرّ القتل بهم قال أبو مُساحق بلعاءُ بن قيس لقومه : ألحقوا برَخَم — وهو جبل — ففعلوا ، وانهزم الناس .

الرسول صلى الله عليه وسلم يحضر هذه الحرب

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصير فى فئة إلا انهزم من يحاذيها[1] ، فقال حرب بن أمية وعبد الله بن جُدعان : ألا ترون إلى هـذا الغلام ما يَحمِل على فئة إلا انهزمت ؟ ٥

خداش يسجل المعركة بشعره

وفى ذلك يقول خِدَاشُ بن زهير فى كلمة له :

فأبلغ إن عرضْتَ بنا هِشاما وعبدَ الله أبلغْ والوَليدا
أولئك إن يكن فى الناس خيرٌ فإن لديهمُ حَسَبًا وجُودا
همُ خير المعاشرِ من قريشٍ وأوْرَاها إذا قُدِحت زُنودا ١٠
بأنّا يومَ شَمطةَ قد أقمنا عمودَ المجدِ إنّ له عمودا
جلبنا الخيلَ ساهمةً إليهم عوابسَ يَدَّرِعْنَ النقَع قودا[2]
فبِتْنا نعقِدُ السِّيما وباتوا وقلنا : صبِّحوا الأُنسَ الحديدا[3]
فجاءُوا عارضا بَرِداً وجئنا كما أضرمتَ فى الغاب الوقودا[4]
ونادوا : يا لعمرٍو لا تفِرّوا فقلنا : لا فِرارَ ولا صُدُودَا ١٥

(١) فى هج : « من يحاربها » بالراء لا بالذال ، وكلاهما سديد .
(٢) ساهمة : ضامرة ، يدرعن النقع : يلبسن الغبار درعا ، قودا : جمع أقود ، وهو الذى يلين القياد ، أو الطويل العنق والظهر .
(٣) صبحوا القوم الحديد : اسقوهم فى الصباح الحديد بدل اللبن أو الخمر .
(٤) العارض : السحاب ، البرد : ذو البرد — بفتح الراء — وهو ماء يسقط متجمدا من السماء على شكل حبيبات صغيرة . ٢٠

قوله : نمتها السيما أى العلامات :

فعاركنا الكماة وعاركونا عراكَ النمْر عاركتِ الأسودا[1]

فولّوا نضربُ الهامات منهم بما انتهكوا المحارمَ والحدودا

تركنا بطن شَنْظَةَ من علاء كأنّ خلالها معزًا[2] شريدا

ولم أرَ مثلهم هُزِموا وفُلُّوا ولا كذيادِنا عنقًا مذودا[3]

قوله : يا لعمرو ، يعنى عمرَو بن عامرِ بنِ ربيعة بنِ عامرِ بن صعصعة .

اليوم الثالث يوم العبلاء

ثم كان اليوم الثالث من أيام الفجار ، وهو يوم العبلاء ، فجمع القوم بعضهم لبعض ، والتقَوْا على قَرْن الحول بالعبلاء — وهو موضع قريب من عكاظ — ورؤساؤهم يومئذ على ما كانوا عليه يوم شَنْظَةَ ، وكذلك مَنْ كان على المجنَّبتين ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزمت كنانة ، فقال خداشُ بن زهير فى ذلك :

خداش يفتخر فى التسجيل بشعره

ألم يبلغْك بالعبلاء أنّا ضَرَبْنا خِندِفًا حتى استقادوا[4]

نُبَنِّى بالمنازل عِزَّ قيسٍ وودُّوا لو تَسِيخُ بنا البلادُ[5]

وقال أيضا :

ألم يبلغْك ما لاقت قريشٌ وحىُّ بنى كنانة إذ أُبِيرُوا

(١) النمر : ككتف : ضرب من السباع ، والجمع أنمر وأنمار ونمر ونمر ونمار ، وأكثر كلام العرب نمر كقفل جمع نمر .

(٢) معز – بفتح العين أو سكونها ، أومعزى – بكسر الميم وسكون العين – كما فى بعض النسخ ، كل هذا بمعنى واحد .

(٣) فلوا : ضعفوا وانهزموا ، وفى رواية : «قلوا» بالقاف المثناة ، والمعنى متقارب ، ذيادنا : مصدر ذاد : دفع وصد ، العنق : الجماعة من الناس ، يقول : لم أر مثلهم فى الشجاعة انهزموا ، ولم أر مثل صدنا لجموعهم وتغلبنا عليهم .

(٤) استقادوا : انقادوا ، وخضعوا .

(٥) نبنى : مضعفة ، «بنى» بالتخفيف ، تسيخ بنا البلاد : تنخسف .

دهمناهم بأرعَنَ مكفهرٍّ فظلّ لنا بعقوتهم زئير[١]

نقوِّمُ مارِنَ الخطِّىِّ فيهم يجىء على أسنتنا الجزير[٢]

اليوم الرابع يوم عكاظ

ثم كان اليوم الرابع من أيامهم ، يوم عُكاظَ ، فالتقوا فى هذه المواضع على رأس الحول ، وقد جمع بعضُهم لبعض ، واحتشدوا ، والرؤساء بحالهم ، وحمل عبد الله

العنابس من أولاد أمية

٥

ابن جُدعان يومئذ ألفَ رجل من بنى كنانة على ألف بعير . وخشيت قريش أن يجرىَ عليها مثلُ ما جرى يومَ العبلاء ، فقيد حربٌ وسفيانُ[٣] وأبو سفيان بنو أمية[٤] ابنِ عبد شمس أنفسهم ، وقالوا : لا نبرح حتى نموتَ مكاننا ، وعلى أبى سفيان يومئذ درعانِ قد ظاهر بينهما[٥] ، وزعم أبو عمرو بن العلاء أنّ أبا سفيان بن أمية خاصة قيّد نفسه ، فسُمِّى هؤلاء الثلاثةُ يومئذ : العنابس وهى الأسودُ واحدها عَنْبَسَةٌ —

٧٩
١٩

١٠

فاقتتل الناس يومئذ قتالا شديدا ، وثبَتَ الفريقان ، حتى همّت بنو بكر بن عبد مناةَ وسائرُ بطون كنانة بالهرب ، وكانت بنو مخزوم تَلِى كِنانة ، فحافظت حفاظا شديدا ، وكان أشدَّهم يومئذ بَنُو المغيرة ، فإنهم صَبَرُوا ، وأبلَوْا بلاء حسنا ، فلما رأت ذلك بنو عبد مناة من كنانة تذامروا[٦] فرجعوا وحمل بلعاء بن قيس وهو يقول :

---

(١) أرعن . يقال : جيش أرعن : عظيم جرار ، العقوة : المكان المتسع أمام المحلة .

١٥

(٢) مارن الخطى : الرماح اللدنة ، الجزير : فعيل بمعنى مفعول من الجزر ، وفى رواية «الخرير» بالخاء : يعنى خرير الدم المنبثق من أثر الطعنة .

(٣) ضبطنا سفيان بضمة واحدة على اعتبار أنه مأخوذ من السفى ، فتكون نونه زائدة ، ويصح اعتباره مأخوذا عن « السفون » فتكون نونه أصلية ، وحينئذ لا يمتنع صرفه .

(٤) بنو أمية : نعت للأعلام الثلاثة السابقة .

٢٠

(٥) ظاهر بينهما : جعل كلا منهما مقوية للأخرى .

(٦) تذامروا : حض بعضهم بعضا على القتال .

إنَّ عُكاظَ مأوانا فخلُّوهْ   وذا المجاز بعد أن تَحُلُّوهْ(١)

مبارزة يهزم فيها رئيس الأحابيش

وخرج الحُلَيسُ بن يزيد(٢): أحدُ بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة — وهو رئيس الأحابيش يومئذ — فدعا إلى المبارزة فبرز إليه الحدثانُ بنُ سعد النصرى، فطعنه الحدثان، فدق عضده وتحاجزا.

الدائرة تدور على قيس

واقتتل القوم قتالا شديدا، وحملت قريشٌ وكنانةُ على قيس من كل وجه(٣)، فانهزمت قيسٌ كلها إلا بنى نصر فإنهم صبروا، ثم هربت بنو نصر وثبت بنو دُهمان، فلم يغنوا شيئاً، فانهزموا، وكان عليهم سُبَيْعُ بن أبى ربيعةَ — أحدُ بنى دُهْمان، فعقَل نفسه ونادى: يا آل هَوازن، يا آل هَوازن، يا آل نصر! فلم يعرج عليه أحد، وأجفلوا منهزمين، فكرّ بنو أمية خاصة فى بنى دُهمان ومعهم الخُنَيْسِقُ وقومه الجشميّانِ، فقاتلوا فلم يغنوا شيئا، فانهزموا.

من استجير بخباء سبيعة

وكان مسعود بن مُعتِّب الثقفىّ قد ضرب على امرأته سُبَيْعةَ بنتِ عبد شمس ابن عبد مناف خِباء، وقال لها: مَنْ دخله من قريش فهو آمن، فجعلت تُوصِل فى خبائها ليتسع(٤)، فقال لها: لا يتجاوزنى(٥) خباؤك فإنى لا أمضى لك إلا من أحاط به الخباء، فأحْفَظَهَا(٦) فقالت: أما والله إنى لأظن أنك ستودّ أن لو زدتُ فى توسعته(٧)، فلما انهزمت قيس دخلوا خباءها مستجيرين بها فأجار لها حرب بن أمية جيرانها،

---

(١) البيت من المنسرح، وهاء القافية فى المصراعين ساكنة، وعكاظ وذو المجاز: مكانان مشهوران فى الجاهلية، وبكل منهما كانت تقام سوق للشعر والتجارة.

(٢) فى هد: «الحليس بن زيد».

(٣) ف: «من كل جانب».

(٤) إنما فعلت ذلك على اعتبار أن الدائرة تدور على قومها من قريش، فينتفع بالخباء لأكبر عدد ممكن.

(٥) فى هد، هج «لا يجاوزنى خباءك».

(٦) أحفظها: أغضبها، وأوغر صدرها.

(٧) تريد بعبارتها هذه أن الدائرة ستدور على قومه هو، لا على قومها هى، فيلوذ بهذا الخباء المنهزمون من رجاله، وحينئذ يود لو اتسع لأكبر عدد ممكن، وهذا هو ما حدث فى نهاية الموقعة.

وقال لها : يا عمة ، مَن تمسّك بأطناب خبائك ، أو دار حولَه فهو آمن ، فنادت بذلك ، فاستدارت قيس بخبائها ، حتى كثروا جدا ، فلم يبق أحد لا نجاة[1] عنده إلا دار بخبائها فقِيلَ لذلك الموضع : مَدارُ قيس ، وكان يُضرب به المثلُ ، فتفضب قيس منه ، وكان زوجُها مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف ابن قيس — وهو من ثقيف — قد أخرج معه يومئذ بنيه من سُبَيعة ، وهم عروة ولوحة[2] ، ونُوَيْرَة ، والأسود ، فكانوا يدورون — وهم غلمان — فى قيس يأخذون بأيديهم إلى خباء أمهم ، ليجيروهم ، فيسودوا ، بذلك أمرتهم أمهم أن يفعلوا .

رواية أخرى لخبر خباء سبيعة

فأخبرنى الحرمى والطوسى : قالا : حدثنا الزبير بن بكار ، قال : حدثنى محمد ابن الحسن ، عن المحرز بن جعفر وغيره :

أنّ كنانة وقيسا لما تَوافَوْا من العام المُقْبِل من مقتل عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب ضرب مسعودٌ الثقفيّ على امرأته سبيعةَ بنت عبد شمس أمِّ بنيه خِباء ، فرآها تبكى حين تدانى الناس ، فقال لها : ما يبكيك ؟ فقالت : لما[3] يُصاب غدا من قومى ، فقال لها : من دخل خباءك فهو آمن ، فجعلت تُوصِل فيه القطعة بعد القطعة والخِرقَةَ والشىء ليتسع ، فخرج وَهْب بن مُعتب حتى وقف عليها ، وقال لها : لا يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلا ربطتُ به رجُلا من بنى كنانة ، [4]فلما صفّ القوم بعضهم لبعض خرجت سبيعة[4] فنادت بأعلى صوتها : إن وهبا يأتلى ويحلف ، ألّا يبقى طُنُب من أطناب هذا البيت إلا ربط به رجلا من كنانة ، فالجدّ الجدّ ، فلما هُزِمت قيس لجأ نفر منهم إلى خباء سبيعة بنت عبد شمس ، فأجارهم حَربُ بنَ أميّة .

(١) فى هد ، هج : « فلم يبق أحد أراد نجاة عنده إلا دار بخبائها » .
(٢) فى هد ، هج : « الأوحد » .
(٣) كان القياس أن يقول : « لمن يصاب غدا من قومى » ولكن هكذا فى جميع النسخ التى بأيدينا ، فلعلها اعتبرت أن الاصابة تقع على المحاربين والخيول والإبل ونحوها ، ومعلوم أن « ما » تقع على العاقل مع غيره .
(٤—٤) التكملة من هد ، ويبدو أن نداءها كان موجها إلى قومها من قريش ، لا إلى قوم بعلها من قيس.

أخبرنى هاشم بن محمد، قال: حدثنا أبو غسان دماذ، عن أبى عبيدة، قال:

لما هزمت قيس لجأت إلى خباء سبيعة، حتى أخرجوها منه، فخرجت، فنادت: من تعلق بطنب من أطناب بيتى فهو آمن فى ذمتى، فداروا بخبائها، حتى صاروا حلقة، فأمضى ذلك كله حرب بن أمية ابنته، فكان يضرب فى الجاهلية بمدار قيس المثل، ويعيرون بمدارهم يومئذ بخباء سبيعة بنت عبد شمس، قال:

قيس تلجأ إلى خباء سبيعة فيجيرها حرب بن أمية

وقال ضرار بن الخطاب الفهرى قوله:

شاعران يسجلان الموقعة

ألم تسألِ الناسَ عن شأننا ... ولم يُثبتِ الأمرَ كالخابرِ

غداةَ عُكاظ إذ استكملتْ ... هوازنُ فى كفِّها الحاضر[1]

وجاءت سُلَيمٌ تهزّ القنا ... على كل سَلْهبةٍ ضامر[2]

وجئنا إليهم على المضمراتِ ... بأرْعَنَ ذى لَجَبٍ زَاخِرِ[3]

فلما التقينا أذقناهمُ ... طِعانًا بِسُمْرِ القنا العائر[4]

ففرّت سُلَيمٌ ولم يصبروا ... وطارت شَعاعًا بنو عامر[5]

وفرت ثقيفٌ إلى لاتِها ... بمُنْقَلَب الخائبِ الخاسرِ[6]

وقاتلت العَنْسُ شَطْرَ النها ... ر ثم تولّت مع الصادر[7]

(١) كفها: لعله من الكف بمعنى ضم الشىء بعضه إلى بعض، والمراد ضم جيوشها، وفى بعض النسخ «لفغلها» ولا معنى له.

(٢) السلهبة من الخيل: العظيم الطويل العظام.

(٣) بأرعن: بجيش أرعن: عظيم جرار.

(٤) فى هد، هج: «بصم القنا»: بالقنا المصمت، العائر: الذى يصيب العين بالعور.

(٥) الشعاع: المتفرق المنتشر.

(٦) إلى لاتها: إلى صنمها «اللات» الذى تعبده.

(٧) العنس: إحدى القبائل المحاربة، وفى هد، هج: «العير».

على أن دُهمانَها حافظٌ ... أخيراً لدى دارةِ الدائرِ

وقال خِداشُ بن زهير :

أتتنا قريشٌ حافلين بجمعهم ... عليهم من الرحمن واقٍ وناصرُ

فلما دنونا للقِبابِ وأهلِها ... أُتيحَ لنا ريبٌ مع الليل ناجرُ[1]

أُتيحت لنا بكرٌ وحول لوائها ... كتائبُ يخشاها العزيزُ المكاثر

جثت دونهم بكرٌ فلم تستطعهمُ ... كأنهمُ بالمشرفيَّة سامر

وما برحت خيلٌ تثور وتدَّعى ... ويَلْحقُ منهم أولون وآخر

لدن غدوة حتى أتى وانجلى لنا ... عَمايَةُ يومٍ شرُّه متظاهر[2]

وما زال ذاك الدأب حتى تخاذلت ... هوازنُ وارفضَّت سُلَيمٌ وعامر

وكانت قريشٌ يَفْلِقُ الصخرَ حدُّها ... إذا أوهن الناسَ الجدودُ العواثرُ

اليوم الخامس يوم حريرة

ثم كان اليوم الخامس ، وهو يوم الحُرَيْرَة[3] ، وهى حرَّةٌ إلى جانب عُكاظَ ، والرؤساء بحالهم إلا بلعاء بن قيس ؛ فإنه قد مات فصار أخوه مكانه على عشيرته ، فاقتتلوا ، فانهزمت كنانةُ وقُتِل يومئذ أبو سُفيانَ[4] بنُ أميَّةَ وثمانيةُ رَهْطٍ من بنى كنانة ، قتلهم عُثمان بن أسدٍ من بنى عمرو بن عامر(٥ بن ربيعة ، وقتل ورقاءُ ابنُ الحارث : أحدُ بنى عمرو بن عامر من بنى كنانة٥) وخمسة نفر .

(١) ناجر : شديد الحرارة ، وفى هد : «أتيح لنا ريب من الدهر ناصر» وفى هج : «أتيح له حسب مع الليل فاخر» .

(٢) شره متظاهر : هجومه قوى ، وفى هد ، هج بدل المصراع الأول «لدن غدوة حتى أتى الليل وانجلت» .

(٣) الحريرة : تصغير حرة – بفتح الحاء وتشديد الراء مع فتحها – وهى الأرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت .

(٤) هو غير أبى سفيان أبى معاوية ، فالقتيل عمه .

(٥–٥) التكملة من هد .

خداش يسجل هذه الموقعة

وقال خداش بن زهير ، فى ذلك :

لقد بَلَوْكُمْ فأبلَوْكُمْ بلاءَهمُ يوم الحُرَيرة ضرباً غيرَ تكذيبِ
إن تُوعدونى فإنى لَابْنُ عمِّكمُ وقد أصابوكُمُ منه بشُؤْبوب(١)
وإن ورقاء قد أردَى أبا كنَفٍ وابنَىْ إياسٍ وعمراً وابنَ أيّوب
وإن عثمانَ قد أردى ثمانيةً منكم وأنتم على خُبْرٍ وتجريبِ

٨١
١٩

خداش يفقد أباه فى حادثة الشويعر الليثى

ثم كان الرجل منهم بعد ذلك يلقى الرجلَ ، والرجلان يلقيان الرجلين ، فيقتل بعضُهم بعضاً . فلقى ابن مَحْمِيَةَ بن عبد الله الدِّيلىّ زهيرَ بن ربيعة أبا خداش ، فقال زهير : إنى حرامٌ جئت معتمرا ، فقال له : ما تُلْقَى(٢) طِوَالَ الدهر إلا قلت : أنا معتمر ، ثم قتله ، فقال الشويعر الليثى ، واسمه ربيعةُ بن عَلَس(٣) :

تركنا ثاوياً يزقو صداهُ زهيراً بالعوالى والصِّفاحِ(٤)
أُتيح له ابنُ مَحْمِيَةَ بنِ عبدٍ فأعجله التَّسوُّم بالبِطاحِ(٥)

١٠

صلح لا يتم

ثم تداعَوْا إلى الصلح على أن يَدِىَ(٦) مَنْ عليه فضلٌ فى القتلى ، الفضلَ إلى أهله ، فأبى ذلك وَهْب بن مُعَتِّب ، وخالف قومه ، واندسّ إلى هوازن ، حتى أغارت

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والمراد هنا شؤبوب من الدماء .

(٢) هذه رواية هد ، هج ، والذى فى ب : « ما تبقى » .

١٥

(٣) فى ب « عبس » .

(٤) يزقو : يصوت ، الصدى : طائر نزعم العرب أنه يخرج من رأس القتيل ، فما يزال يقول : « اسقونى » حتى يؤخذ بثأره ، الصفاح : السيوف .

(٥) التسوم : الإغارة ، أو سوق الخيل المسومة .

(٦) فى رواية « يؤدى » بدل « يدى » ، وعلى الرواية الأولى يكون المراد بالفضل المال المتبقى ، وعلى الرواية الثانية يكون المراد بالفضل القتلى الزائدين .

٢٠

على بنى كنانة ، فكان منهم بنو عمرو بن عامر بن ربيعة ، عليهم سلمةُ بن سُعْدَى(1) البكائى ، وبنو هلال عليهم ربيعة بن أبى ظَبْيان الهلالى ، وبنو نصر بن معاوية ، عليهم مالكُ بن عوف ، وهو يومئذ أَمْرَدُ ، فأغاروا على بنى ليث(2) بن بكر بصحراء الغُميم ، فكانت(3) لبنى ليث أول النهار ، فقتلوا عبيد بن عوف البكائى ، قتله بنو مدلج وسبيع بن المؤمل الجسرى حليف بنى عامر ، ثم كانت على بنى ليث آخرَ النهار ، فانهزموا ، واستحرَّ(4) القتل فى بنى الملوِّح بن يعمَرَ بن ليث ، وأصابوا نَعَمًا ونساء حينئذ ، فكان(5) ممن قُتِل فى حروب الفِجار من قريش العوَّامُ بنُ خويلد ، قتله مُرَّةُ بن مُعتِّب ، وقُتِل حِزام بن خويلد ، وأحيحةُ بن أبى أُحَيحةَ ، ووهب ابن حبيب الجُمَحى ، وجُرِح حرب بن أمية ، وقتل من قيس الصِّمَّةُ أبو دريد بن الصِّمَّة ، قتله جعفر بن الأحنف(6) .

صلح يتم برهائن

ثم تراضَوا بأن يعدُّوا القتلى ، فيدُوا مَن فضل ، فكان الفضل لقيس على قريش وكنانة ، فاجتمعت القبائل على الصلح ، وتعاقدوا ألّا يعرضَ(7) بعضُهم لبعض ، فرهن حربُ بن أميّة ابنه أبا سفيانَ بنَ حرب ، ورهن الحارثُ بن كَلَدةَ العبدىّ(8) ابنَه النضرَ ، ورهن سفيانُ بن عوف أحدُ بنى الحارث بن عبد مناة ابنَه الحارث ،

(1) فى هد ، هج : « بن سعلى » .

(2) فى هد ، هج : « ليث بن كعب بن بكر » .

(3) فكانت ، أى الغلبة .

(4) استحر القتل : اشتد .

(5) فى الأصل : فكان من قتل ، وقد صوبناها بزيادة حرف الجر « من » ولعلها : فكان من قتل حروب الفجار ... الخ .

(6) فى هد ، هج : « حفص بن الأحنف » .

(7) فى بعض النسخ : « فتعاقدوا على أن يرهن بعضهم لبعض » وهى أنسب لما يرد بعد .

(8) فى هج : « العبدرى » — نسبة إلى عبد الدار — بدل « العبدى » والنضر المشار اليه هنا هو أخو قتيلة التى قتله النبى صلى الله عليه وسلم فى بدر ، فرثته أخته بالأبيات القافية المعروفة .

حتى وُدِيت[١] الفضولُ ، ويقال : إن عتبةَ بن ربيعةَ تقدم يومئذ ، فقال : يا معشر قريش ، هلمُّوا إلى صلة الأرحام والصلح ، قالوا : وما صلحكم هنا ، فإنّا موتورون[٢] ؟ فقال : عَلَى أن نَدِيَ قتلاكم ، ونتصدق عليكم بقتلانا فرضُوا بذلك ، وساد[٣] عتبة مذ يومئذ ، قال : فلما رأت هوازن رهائن قريش بأيديهم رغبوا فى العفو ، ٥ فأطلقوهم .

النبى شهد الفجار

قال أبو عبيدة : ولم يشهد الفِجَار من بنى هاشم غيرُ الزبير بنِ عبد المطلب ، وشهد النبى صلى الله عليه وسلم وآلِهِ سائرَ الأيام إلا يومَ نخلة ، وكان يناول عمَّه وأهله النَّبلَ ، قال : وشهدها صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشرين سنة ، وطعن النبى صلى الله عليه وسلم وآلِهِ أبا بَراء مُلاعِبَ الأسنة ، وسئل صلى الله عليه وآلِهِ عن مشهده يومئذ ، ١٠ فقال : ما سرنى أنى لم أشهده ، إنهم تعدَّوْا على قومى ، عرضوا عليهم أن يدفعوا إليهم البرَّاضَ صاحبهم ، فأبوا .

كشف حساب القتلى

قال : وكان الفضل عشرين قتيلا من هوازن ، فوداهم حرب بن أمية فيما تروى قريش ، وبنو كنانة تزعم أن القتلى الفاضلين قتلاهم ، وأنهم هم وَدَوْهم .

هل شهد أعمام النبى هذه الموقعة

٨٢ ١٩ وزعم قوم من قريش أن أبا طالب وحمزةَ والعباسَ بنى عبد المطلب — عليهما[٤] ١٥ السلام — شهدوا هذه الحروب ، ولم يردَّ ذلك[٥] أهلُ العلم بأخبار العرب .

سبيعة تجير بعلها

قال أبو عبيدة : ولما انهزمت قيس خرج مسعود بن مُعتِّب لا يُعرّج على شىء حتى أتى سُبَيْعةَ بنتَ عبد شمس زوجته ، فجعل أنفه بين ثدييها ، وقال : أنا بالله[٦]

(١) فى هد ، هج : « حتى أديت » وقد سبق نظير هذا .
(٢) فى هج أورد العبارة كما يلى : « وما صلحكم ؟ هؤلاء أصحابنا موتورون » .
٢٠ (٣) فى الأصل « وسار عتبة يومئذ على أن أقبل » ولا معنى له ، والمثبت من « ف » .
(٤) ضمير عليهما يعود على حمزة والعباس ، أما أبو طالب فقد استثناه المؤلف فيما يبدو .
(٥) فى هد ، هج : « ولم يرو ذلك أهل العلم » بدل « ولم يرد » .
(٦) متعلق الجار والمجرور محذوف ، تقديره لائذ أو معتصم ، أو مستجير ونحو ذلك .

وبك ، فقالت : كلا ، زعمت أنك ستولاً يبقى من أسرى قومى ، اجلس فأنت آمن .

عود إلى الصوت وبقيته

وقالت أميمة بنت عبد شمس ترثى ابن أخيها أبا سفيان بن أمية ومن قُتل من قومها ، والأبيات التى فيها الغناء منها :

أبى لَيلُكَ لا يذهب ونيط الطَّرفُ بالكوكب[1]

ونجم دونه الأهوا لُ بين الدَّلو والعقربْ

وهذا الصبحُ لا يأتى ولا يدنو ولا يقربْ

بعَقرِ عشيرةٍ منا كرام الخِيم والمنصب[2]

أحالَ عليهمُ دهرٌ حديدُ النَّاب والمخلبْ

فحلَّ بهم وقد أمِنوا ولم يُقْصِرْ ولم يَشْطُب[3]

وما عَنهُ إذا ما حـ لّ من مَنجًى ولا مَهربْ

ألا يا عينُ فابكيهم بدمعٍ منك مستغرِب[4]

فإن أبكِ فهم عِزّى وهم ركنى وهم مَنكِبْ

وهم أصلِى وهم فرعى وهم نسبى إذا أُنْسَبْ

وهم مجدِى وهم شرفِى وهم حصنِى إذا أَرْهَبْ

وهم رُمحِى وهم تُرسى وهم سيفى إذا أَغضَبْ

فكم من قائلٍ منهم إذا ما قال لم يكذِبْ

(١) تقدم هذا البيت والبيتان التاليان له .

(٢) فى هد ، هج : « كرام الخيم والمذهب » الخيم : الخصال والطباع .

(٣) يشطب : من شطب عن الشىء بمعنى عدل عنه .

(٤) مستغرب : غزير .

وكم من ناطقٍ فيهم خطيبٍ مِصْقَعٍ مُعْرِبْ
وكم من فارسٍ فيهم كَمِيٍّ مُعْلَمٍ مِحْرَبْ[١]
وكم من مِدْرَهٍ[٢] فيهم أريبٍ حُوَّلٍ قُلَّبْ[٣]
وكم من جَحْفَلٍ فيهم عظيمِ النَّارِ والموكِبْ
وكم من خِضْرِمٍ فيهم نجيبٍ ماجدٍ مُنْجِبْ[٤]

(١) المعلم من الفرسان : من يتخذ لنفسه فى الحرب علامة تميزه ، المحرب : الخبير المضطلع بأمور الحرب .

(٢) المدره : خطيب القوم ، أو سيدهم .

(٣) الحول القلب : المحتال الحازم الذى يلبس لكل حال لبوسها ، وفى الأصل «حوله مغلب» بدل « حول قلب » وهو تحريف ، والمثبت من هد ، هج .

(٤) الخضرم : السيد الجواد ، المنجب : من ينجب أولاده .

صـــوت

أحبُّ هبوطَ الواديين وإننى *** لمشتهرٌ بالواديين غريبُ

أحقًّا عبادَ الله أنْ لستُ خارجًا *** ولا والجًا إلا علىّ رقيبُ

ولا زائرًا فردًا ولا فى جماعة *** من الناس إلا قيل: أنت مُريبُ

وهل ريبةٌ فى أن تحنَّ نجيبةٌ *** إلى إلفها أو أن يحنّ نجيبُ

الشعر فيما ذكره أبو عمرو الشيبانى فى أشعار بنى جعدة، وذكره أبو الحسن المدائنى فى أخبار رواها لمالك بن الصمصامة[1] الجعدى، ومن الناس من يرويه لابن الدُّمَيْنة ويدخله فى قصيدته التى على هذه القافية، والروى والغناء لإسحاق هزج بالبنصر عن عمرو.

(١) الصمصامة، والصمصام فى الأصل: السيف لا ينثنى، واستعمل هنا علما.

٨٣
١٩

أخبار مالك ونسبه

هو مالك بن الصَّمْصامة بن سعد بن مالك : أحد بنى جَنْدة بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، شاعر بدوى مُقِلّ .

أخبرنى بخبره هاشم بن محمد الخزاعىّ ومحمد بن خلف بن المرزبان ، قالا : أخبرنا أحمد بن الحارث الخراز ، عن المدائنى ، ونسخت خبره أيضاً من كتاب أبى عمرو الشيبانى ، قالوا :

يهوى جنوب ويحول بينهما أخوها

كان مالك بن الصَّمْصامة الجعدىُّ فارساً شجاعاً جوادا جميل الوجه ، وكان يهوَى جنوبَ بنتَ مِحصَن الجعديّة ، وكان أخوها الأصبغ بن مِحصَن من فرسان العرب وشجعانهم وأهل النجدة والبأس منهم ، فنُمِىَ إليه شئٌ من خبر مالك ، فآلى يمينا جزْما : لئن بلغه أنه عَرَضَ لها أو زارها ليقتلنه ، ولئن بلغه أنه ذكرها فى شعر أو عرّض بها ليأسرنه ، ولا يطلقُه إلا أن يجُزَّ ناصيته فى نادى قومه ، فبلغ ذلك مالكَ ابنَ الصَّمْصامة ، فقال :

إذا شئتَ فاقرنِّى إلى جَنْبِ عيبتى ... أجبٌّ ونِضْوِى للقلوص جنيبُ(1)

فما الحلق بعد الأسر شرٌّ بقيةً ... من الصَّدّ والهِجران وهى قريبُ

ألا أيها الساقى الذى بلّ دَلْوَه ... بقُرْيان يَسْقِى هل عليك رقيبُ(2)

(1) الخطاب لمالك بن الصمصامة أخى جنوب ، أقرنى : شدنى ، العيبة : الكساء من الصوف ، أجب : مقطوع ، النضو : الثوب الخلق ، القلوص : فى الأصل الناقة الفتية ، والعرب تكنى بالقلوص عن الفتاة ، يقول : إذا شئت أسرى فشدنى إلى رداء من الصوف بال فى بيتك بجوار جنوب أختك ، وفى ب «نجيب» بدل «جنيب» ، وهو تحريف .

(2) قريان : موضع .

إذا أنتَ لم تشرب بها ريان شربةً ... وحانيةِ الجدران ظلتَ تلوب(١)

أحبُّ هبوطَ الواديين وإننى ... لمشتهر بالواديين غريب

أحقًّا عِبادَ الله أنْ لستُ خارجا ... ولا والجا إلا علىَّ رقيب!

ولا زائرًا وحدى ولا فى جماعةٍ ... من الناس إلا قيل: أنتَ مُريبُ

وهل ريبة فى أن تَحِنَّ نجيبةٌ ... إلى إلفها أو أن يحِنَّ نجيبُ

يراها فلا يستطيع مخاطبتها

وقال أبو عمرو خاصة: حدثنا فتيان من بنى جعدة أنها أقبلت ذات يوم، وهو جالس فى مجلس فيه أخوها، فلما رآها عرفها، ولم يقدر على الكلام بسبب أخيها، فأغمى عليه، وفَطِن أخوها لما به، فتغافل عنه، وأسنده بعضُ فِتيان العشيرة إلى صدره، فما تحرك، ولا أحار جوابا ساعة من نهاره، وانصرف أخوها كالخجِل، فلما أفاق قال:

أَلَمَّتْ فما حيّت وعاجتْ فأسرعت ... إلى جرعة بين المخارم فالنّحر(٢)

خليلىَّ قد حانَتْ وفاتِىَ فاحفِرا ... برابيةٍ بين المخافر والبُتْر(٣)

لكيما تقول العبدليّةُ كلما ... رأت جدثى: سُقّيت ياقبرُ من قبر(٤)

جنوب ترعى عهده

وقال المدائنى فى خبره: انتجع أهل بيت جنوب ناحية حِمْىِ والحِمى، وقد أصابها الغيث، فأمرعت، فلما أرادوا الرحيل وقف لهم مالك بن الصمصامة، حتى إذا بلغته جَنُوبُ أخذ بخطام بعيرها، ثم أنشأ يقول:

---

(١) تحاضر ... [illegible]. وحانية الجدران: لعله قسم بجدران الكعبة الحانية، أو عطف على «قربان». وفى الأصول «وجانية» بالجيم، ولم نجد لها معنى، تلوب: من لاب يلوب: عطش، أو دار حول الماء وهو لا يستطيع الوصول إليه، يقول: إذا أنا لم أشرب من هذا الوادى فسأظل ظامئا وحق الكعبة.

(٢) عاجت: رجعت. الجرعة: الأرض ذات الحزونة، المخارم والنحر: مكانان.

(٣) فى هج: «إن حانت» بدل «قد حانت». وفى هج: «بين المحاضر والبئر» بدل «لى بالمخافر...». وفى هد: «برابية لى بالمحاضر والبئر» وكلها أسماء أماكن.

(٤) ... تعنى بها جاريته. وفى هد: «حييت» بدل «سقيت».

أريتكِ إن أزمعتمُ اليوم نيّةً وغالكِ مُصطافُ الحِمى ومرابعُه[١]

أترعَيْن ما استُودِعْتِ أم أنتِ كالذى إذا ما نأى هانت عليه ودائعُه

فبكت ، وقالت : بل أرعى والله ما استودِعْتُ ، ولا أكونُ كمن هانت عليه ودائعه ، فأرسل بعيرها ، وبكى ، حتى سقط مغشيًّا عليه ، وهى واقفة ، ثم أفاق ، وقام ، فانصرف وهو يقول : ٥

٨٤ ١٩

ألاَ إنَّ حِبًّا دونه قُلّةُ الحِمى مُنَى النفس لو كانت تُنال شرائعُه[٢]

وكيف ، ومِن دونِ الورودِ عوائقٌ وأصبغُ حامى ما أُحِبُّ ومانعُه[٣]

فلا أنا فيما صدَّنى عنه طامعٌ ولا أرتجى وصلَ الذى هو قاطعه

(١) نية : رحلة وبعدا ، غالك : أخفاك عنى .

١٠ (٢) قلة كل شىء : أعلاه ، يريد أن علية الحمى حلوا بحمى ، منى النفس : بدل من « قلة الحمى » ، شرائع : جمع شريعة ، وهى مورد الماء كالغدير ونحوه .

(٣) يريد الأصبغ أخا جنوب .

صـوت

يا دارَ هندٍ عفاها كلُّ هطّالِ بالجَبْتِ مثلُ سحيقِ اليمْنَةِ البالى[1]
أربَّ فيها ولىٌّ ما يُغَيِّرها والريحُ مما تُعَفِّيها بأذيال[2]
دارٌ وقفتُ بها صَحبى أُسائلها والدمع قد بلَّ منى جَيْبَ سِربالى
شوقاً إلى الحىِّ أيامَ الجميعُ بها وكيف يطربُ أو يشتاق أمثالى ؟[3] ٥

قوله . أرَبَّ فيها أى أقام فيها وثبت،والولى: الثانى من أمطار السنة، أولها الوسمىّ ، والثانى الولىّ ، ويروى .

* جرت عليها رياح الصيف ، فاطّرقت *

واطّرَقَتْ : تلبدت .

الشعر لعَبِيد بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم هزج بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى ١٠ عن إسحاق ، وفيه لابن جامع رَمَل بالوسطى ، وقد نسب لحنه هذا إلى إبراهيم ولَحنُ إبراهيم إليه .

(١) عفاها : محاها ، وغير معالمها ، الجبت : مكان ، اليمنة : برد مخصوص يرد من اليمن .
(٢) تولى المؤلف شرح بعض ألفاظ البيت ، الريح : معطوف على ولى ، وإثبات الأذيال للريح استعارة . ١٥
(٣) الاستفهام هنا للاستبعاد ، ولعل سبب هذا الاستبعاد يأسه من اللقاء .

أخبار عبيد بن الأبرص ونسبه[1]

اسمه ونسبه

قال أبو عمرو الشيبانى : هو عَبِيدُ بن الأبرص بن جُشَم بن عامر بن مالك ابن زهير بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر . شاعر فحل فصيح من شعراء الجاهلية ، وجعله ابن سلام فى الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية ، وقرن به طَرَفَةَ وعلقمة بن عَبَدة وعدىَّ بنَ زيد .

أخبرنا أبو خليفة ، عن محمد بن سَلّام ، قال :

هو أعرف الناس بالشعر

عبيدُ بن الأبرص قديم الذكر ، عظيم الشهرة ، وشعره مضطرب ذاهب ، لا أعرف له إلا قوله فى كلمته :

* أقفرَ من أهْلِهِ مَلْحُوبُ *

ولا أدرى ما بعد ذلك .

يتهم بأخته

أخبرنا عبد الله بن مالك النحوى الضرير ، قال : حدثنا محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابى وأبى عمرو الشيبانى ، قالا :

كان من حديث عبيد بن الأبرص أنّه كان رجلا محتاجا ، ولم يكن له مال ، فأقبل ذات يوم ومعه غُنَيْمَة له ، ومعه أخته ماوِيَّة ؛ ليوردا غنمهما الماء ، فمنعه رجل من بنى مالك ابن ثعلبة وجبَهه[2] ، فانطلق حزينا مهموما للذى صنع به المالكى ، حتى أتى شجراتٍ فاستظل تحتهن ، فنام هو وأخته ، فزعموا أن المالكى نظر إليه وأخْتُهُ إلى جنبه ، فقال :

ذاك عبيدٌ قد أصاب مَيًّا ياليتَه ألقحها صبيًّا

* فحملت فوضعت ضاويًّا[3] *

(١) جاءت ترجمته فى هذا المكان فى النسخ المخطوطة : هد ، مد ، مه ، والتجريد ، وطبعة بولاق وجاءت فى آخر الأغانى بين ترجمتى : أبى العيال ، وعمارة بن عقيل فى مخطوطة فيض الله ، وطبعة بيروت .

(٢) جبهه : صك جبهته ، أو قابله بما لا يحب .

(٣) ضاويا : مهزولا نحيفا .

[illegible] [illegible]، فرفع يديه، ثم ابتهل، فقال: اللهم إن كان فلان ظلمني، ورماني بالبهتان فأَدِلْني منه — أي اجعل لي منه دَوْلَةً، وانصُرْني عليه — ووضع رأسه فنام، ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر.

يهبط عليه الشعر من السماء في النوم

٥

فذُكِر أنه أتاه آتٍ في المنام بكُبَّةٍ[1] من شَعْر، حتى ألقاها في فيه، ثم قال: قم، فقام وهو يرتجز: يعني بني مالك؛ وكان يقال لهم بنو الزِّنْيَة يقول:

أيا بني الزِّنْيَة ما غرَّكُمُ فلكُمُ الويلُ بسربال حَجَرْ[2]

ثم استمرَّ بعد ذلك في الشعر، وكان شاعرَ بني أسد غيرَ مدافَع.

بينه وبين امرئ القيس

٨٥

١٩

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ، قال: حدّثنا أبو غسان دَماذ، عن أبي عبيدة، قال:

١٠

اجتمعت بنو أسد بعد قتلهم حُجْرَ بن عمرو والدَ امرئ القيس إلى امرئ القيس ابنه على أن يعطوه ألف بعير دية أبيه؛ أو يُقِيدوه من أيِّ رجل شاء من بني أسد، أو يُمهلَهم حولا؛ فقال: أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها على مِثْلِي، وأما القَوَدُ فلو قِيد إليّ ألفٌ من بني أسد ما رَضِيتُهم؛ ولا رأيتهم كفؤا لحُجْر، وأما النَّظِرة[3] فلكم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أُحكِّم فيكم ظُبا السيوف وشَبا الأسنّة، حتى أشفيَ نفسي، وأنالَ ثأري، فقال عبيدُ بنُ الأبرص في ذلك:

١٥

(١) الكبة: مجموعة من الخيوط ونحوها على شكل كرة.

(٢) لعله يعني بالسربال الدرع، نقول: وهل كان الوحي يأتيه في المنام بمثل هذا البيت التافه؟

(٣) النظرة — بكسر الظاء — المهلة، ومنه قوله تعالى: «فنظرة إلى ميسرة».

صوت

يا ذا المخوفنا بمقتل أبيه إذلالا وحينا[1]
أزعمت أنك قد قتلت سراتنا كذباً ومينا؟[2]
هلاّ على حُجْرِ ابن أم قطام تبكى لا علينا[3]
إنّا إذا عض الثقاف برأس صعدتنا لوينا[4] ٥
نحمى حقيقتنا وبعض الناس يسقط بين بينا[5]
هلّا سألت جموع كندة يوم وَلَّوْا أين أينا؟

— الغناء لحنين رمل فى مجرى الوسطى مطلق عن الهشامى ، وفيه ليحيى المكى خفيف ثقيل : —

قال : وتمام هذا الأبيات : ١٠

أيام نضرب هامهم ببواتر حتى انحنينا[6]
وجموع غسان الملوك أتينهم وقد انطوينا[7]
لُحُقاً أياطلهن قد عالجن أسفاراً وأينا[8]

(١) إذلالا : مفعول « المخوفنا » الحين : الهلاك .
(٢) سراتنا : أشرافنا . ١٥
(٣) حجر ابن أم قطام : هو أبو امرئ القيس ، وإنما نسبه إلى أمه سخرية به .
(٤) الثقاف : آلة تعدل بها الرماح المعوجة ، الصعدة : الرمح ، يريد أن قناتهم لا يعدلها الثقاف ، بل تلتوى عليه ، كما يقول عمرو بن كلثوم :

وإن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا
إذا عض الثقاف بها اشمأزت وولتهم عشوزنة زبونا ٢٠

(٥) الحقيقة : ما ينبغى حمايته من حريم ووطن ومال وغير ذلك .
(٦) نون الروى : ضمير البواتر ، والألف ألف الإشباع ، وليست « نا » من « انحنينا » للمتكلم .
(٧) ضمير « انطوين » يعود على الجياد المفهومة من المقام بدليل البيت التالى ، وانطوين : من الطوى بمعنى الجوع ، يعنى بذلك أنها ضامرة بدليل البيت التالى أيضا . ٢٥
(٨) الأين : التعب والمشقة .

(١)والأياطل : الخواصر أى هن ضوامرها ؟(١) :

نحن الألَى فاجمع جمو عك ثم وجِّهم إلينا(٢)

واعلم بأن جيادنا آلينَ لا يقضين دينا(٣)

ولقد أبحنا ما حميـ ـتَ ولا مُبيحَ لما حمينا

هذا ولو قَدَرَتْ عليـ ـكَ رماحُ قومى ما انتهينا

حتى تنوشَكَ نَوْشَةً عاداتِهنَّ إذا انتوينا(٤)

نُغْلِي السِّباءَ بكل عا تقةٍ شمولٍ ما صحَوْنا(٥)

ونُهينُ فى لذّاتنا عُظْمَ التلاد إذا انتشينا

لا يبلُغ البانى ولو رفعَ الدعائمَ ما بَنَيْنا

كم من رئيسٍ قد قتلـ ـناهُ وضَيمٍ قدْ أبينا

ولربَّ سيِّدِ معشرٍ ضخمِ الدسيعة قد رمينا(٦)

عِقْبانُه بظلالِ عقـ ـبانٍ تُتَمِّمُ ما نوينا(٧)

حتّى تركنا شلوَه جَزَرَ السباع وقد مضينا(٨)

(١–١) التكملة من هد .

(٢) صلة الألى محذوفة ، تقديرها « تعرفهم ، أو تدرى بأسهم ، ونحو ذلك » .

(٣) يريد أن كل دم أراقته جبار لا دية له ولا قود .

(٤) تنوشك : تتناولك ، يريد نوشة قاسية ، انتوين : نوين ، وعزمن .

(٥) العاتقة الشمول : الخمر المعتقة ، ما صحونا : مدة صحونا .

(٦) الدسيعة : الجفنة الكبيرة ، أو المائدة الكريمة ، أو العطية الجزيلة ، أو القوة العارمة ، وكل هذا يتفق مع معنى البيت .

(٧) يريد أن العقبان تتعاور جسده سربا بعد سرب تتمم فناءه الذى بدءوه ، وفى هد ، هج « تتمم » وفى المختار : « تتمم من نوينا » .

(٨) الشلو : بقية اللحم ونحوه ، جزر السباع : ما تأكله السباع من اللحم .

إنّا ا[illegible] رك ما يُغضا مُ [illegible] أبدًا لدينا

٨٦ وأوانِس مثلِ الدُّمى حُورِ العيون قد استبينا(١)

١٩

الشعر على الأفاعى

وقرأت فى بعض الكتب ، عن ابن الكلبى ، عن أبيه ، وهو خبر مصنوع ؛ يتبين التوليد فيه :

أنّ عبيدَ بن الأبرص سافر فى ركب من بنى أسد ؛ فبينا هم يسيرون إذا هم بشجاعٍ يتمعّك(٢) على الرمضاء فاتحا فاه من العطش ، وكانت مع عبيد فضلة من ماء ليس معه ماء غيرها ، فنزل فسقاه الشجاعَ عن آخره حتى رَوِىَ وانتعشَ ، فانساب فى الرمل ، فلما كان من الليل ، ونام القوم ندّت رواحلهم ، فلم يُرَ لشىء منها أثَر ، فقام كل واحد يطلب راحلته ، فتفرقوا ، فبينا عبيد كذلك ؛ وقد أيقن بالهلكة

١٠ والموت إذا هو بهاتف يهتف به :

يا أيُّها السارى المضِلُّ مذهبُهْ دونكَ هذا البَكرَ منّا فاركبُهْ(٣)

وبكرُكَ الشارد أيضًا فاجنُبُهْ حتى إذا الليلُ تَجَلّى غيهبُهْ(٤)

* فحُطَّ عنه رحلَه وسيِّبُهْ *

فقال له عبيد : يا هذا المخاطِبُ ، نشدتُك الله إلّا أخبرتنى : من أنت ؟ فأنشأ

١٥ يقول :

أنا الشّجاع الذى ألفيتَه رَمِضًا فى قفرةٍ بين أحجارٍ وأعقادِ(٥)

(١) فى هج : «شبه» بدل «مثل» وربما كان الأنسب «وأوانسا» بالنصب على أنها مفعول مقدم «لاستبينا» والتنوين هنا للضرورة .

(٢) يتمعك : يتمرغ فى التراب ، ويتقلب فيه .

٢٠ (٣) كان القياس إسكان باء «فاركبه» لانعدامها .

(٤) فى ب : «تجلى» بدل «تجلى» .

(٥) الشجاع : الثعبان ، رمضا : حار الجوف من شدة العطش ، أعقاد : لعل المراد بها الأرض الكثيرة الشجر ، ومنه العقدة بهذا المعنى .

فَجُدْتَ بالماء لما ضَنَّ حامِلُه وزِدتَ فيه ولم تبخل بإنكادِ
الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أخبثُ ما أَوْعيتَ من زادِ[1]

فركب البكرَ وجنب بكره، وسار فبلغ أهله مع الصبح، فنزل عنه، وحل رحله، وخلاه، فغاب عن عينه، وجاء من سلِمَ من القوم بعد ثلاث.

يوما المنذر بن ماء السماء

أخبرنى محمد بن عمران المؤدب وعمّى، قالا: حدثنا محمد بن عبيد: قال: حدثنى محمد بن يزيد بن زياد الكلبى، عن الشرقى بن القطامى: قال: ٥

كان المنذرُ بن ماء السماء قد نادمه رجلان من بنى أسد، أحدهما خالد بن المضلّل، والآخر عمرو بن مسعود بن كَلَدة، فأغضباه فى بعض المنطق، فأمر بأن يُحفر لكل واحد حَفِيرةٌ بظَهر الحِيرة، ثم يجعلا فى تابوتين، ويدفنا فى الحفرتين، ففعل ذلك بهما، حتى إذا أصبح سأل عنهما، فأُخبِر بهلاكهما، فندم على ذلك، وغَمَّه، وفى عمرو ١٠ ابن مسعود وخالد بن المضلل الأسديين يقول شاعر بنى أسد:

يا قبرُ بينَ بيوتِ آل محرّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ
أمّا البكاءُ فقلَّ عنك كثيرُه ولئن بُكِيتَ فَلَلْبُكاءُ خَليقُ[2]

ثم ركب المنذر، حتى نظر إليهما، فأمر ببناء الغَرِيَّيْن[3] عليهما، فبُنيا عليهما، وجعل لنفسه يومين فى السنة يجلس فيهما عند الغَرِيَّيْن، يُسمَّى أحدهما يوم نعيم، ١٥

(١) أوعيت: حملت فى وعائك. تقول: وقد نسبوا الشعر إلى آدم أبى البشر، وإلى الملائكة، وإلى الشياطين، وهاهم أولاء ينسبونه إلى الثعابين.

(٢) فللبكاء خليق: جدير بك، وفى هد، هج والمختار: «فبالبكاء» أى فأنت بالبكاء خليق.

(٣) الغريان: بناءان أقامهما المنذر على نديميه اللذين قتلهما، ونرجح أن هذه التسمية إنما جاءت من طلائهما بدماء من يقتل فى يوم بؤس المنذر، والتغرية فى اللغة بمعنى الطلاية. ٢٠

والآخر يوم بؤس ، فأولُ من يطلع عليه يوم نعيمه يعطيه مائةً من الأبل شُوما[1] أى : سودا ، وأول من يطلع عليه يوم بؤسه يعطيه رأس ظَرِبانٍ[2] أسود ، ثم يأمرُ به ، فيذبح ويغرّى بدمه الغَرِيّان ، فلبث بذلك برهة من دهره .

يقتل فى يوم بؤس المنذر

ثم إن عبيدَ بنَ الأبرص كان أول من أشرف عليه فى يوم بؤسه ، فقال : هلا كان الذبح لغيرك يا عَبِيد ؟ فقال : أتتك بحائنٍ[3] رجلاه ، فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : أوأجَلٌ بلغ إناه[4] ، فقال له[5] المنذر : أنشدنى ، فقد كان شعرك يعجبنى ، فقال عبيد : حال الجريض[6] دون القريض ، وبلغ الحزام الطُّبيين[7] فأرسلها مثلا ، فقال له النعمان : أسمعنى ، فقال : المنايا على الحوايا[8] ، فأرسلها مثلا ، فقال له آخر : ما أشدّ جزعك من الموت ، فقال : لا يرحلُ رَحْلَك مَنْ ليس معك[9] فأرسلها مثلا ، فقال له المنذر : قد أمللتَنِي ، فأرِحْنى قبل أن آمر بك ، فقال عبيد : من عَزَّ بَزّ[10] فأرسلها مثلا ، فقال المنذر : أنشدنى قولك :

٨٧
١٩

* أقفرَ مِن أهله مَلحوبُ *

فقال عبيد :

(١) شوما : لعله جمع أشيم أو شيماء بمعنى فى جسدها شامة ، وليس معنى ذلك السواد ، كما شرحه المؤلف ، وفى هد ، هج « سودا » بدل « شوما » وليس من معانيها السواد أيضا .

(٢) الظربان : حيوان دون السنور ، أصلم الأذنين ، طويل الخطم ، قصير القوائم كثير الفسو ، منتن الرائحة .

(٣) الحائن : الهالك . (٤) إناه : وقته .

(٥) يقتضى السياق أن يقول : « ثم قال له المنذر » بدل « فقال له المنذر » التى تكررت مرتين متتاليتين . (٦) الجريض : الغصة ، أو اختلاف الفكين عند الموت .

(٧) الطبيان : تثنية طبى ، وهو حلمة الضرع ، أو الضرع كله ، وهو مثل يضرب للأمر تجاوز حده .

(٨) الحوايا : ما احتوى عليه بطن الإنسان أو الحيوان ، والجملة مثل يضرب لمن يسعى إلى هلاكه بنفسه . (٩) معنى الجملة أنه لايقاسى مشقة رحلك من لم يعانها معك .

(١٠) بز : غلب ، ومعنى الجملة : من غلب أخذ السلب .

ر"

أقفر من أهله عَبِيدُ فليس يُبدِى ولا يُعيدُ[١]

عَنَّتْ له عَنَّةٌ نَكُودٌ وحان منها له ورودُ

فقال له المنذر : يا عبيد ، ويحك ، أنشدنى قبل أن أذبحك ، فقال عبيد :

والله إن مِتُّ لما ضرّنى وإن أعشْ ما عشتُ فى واحدَه[٢] ٥

فقال المنذر : إنه لا بد من الموت ، ولو أن النعمان عرض لى فى يوم بؤس لذبحته ، فاختر إن شئتَ الأكحلَ[٣] ، وإن شئتَ الأبجلَ[٤] ، وإن شئتَ الوريدَ[٥] ، فقال عبيد: ثلاث خصال كسحابات عاد واردها شرُّ ورّاد ، وحاديها شرُّ حاد ، ومعادها شرُّ معاد ، ولا خير فيه لمرتاد ، وإن كنت لا محالة قاتلى فاسقنى الخمر ، حتى إذا ماتت مفاصلى ، وذهلت لها ذواهلى فشأنَك وما تريد ، فأمر المنذر بحاجته من الخمر ، حتى إذا أخذت منه ، ١٠ وطابت نفسه، دعا به المنذر ، ليقتله ، فلما مثل بين يديه أنشأ يقول :

وخيّرنى ذُو البؤس فى يوم بؤسه خصالاً أرى فى كلها الموتَ قد بَرَقْ

كما خُيِّرت عادٌ من الدهر مَرّةً سحائبَ ما فيها لذى خِيرة أَنَقْ[٦]

سحائب ريح لم تُوكَّل ببلدةٍ فتتركها إلا كما ليلةِ الطَّلَقْ[٧]

(١) فى هد ، هج بدل المصراع الثانى : « فاليوم لا يبدى ولا يعيد » والرواية التى معنا أصوب ، ١٥ لأن الأبيات من مخلع البسيط ، أما المصراع الوارد فى هد ، هج فمن الرجز .

(٢) ليس لكلمة « واحدة » هنا معنى ، ونرجح أنها « واجدة » — بالجيم — من الجدة واليسار ، أى إن عشت فلن أعيش فى رغد من العيش .

(٣) الأكحل : وريد فى وسط الذراع .

(٤) الأبجل : عرق فى الرجل ، أو فى اليد بإزاء الأكحل . ٢٠

(٥) الوريد : عرق فى العنق .

(٦) الأنق : الحسن الرائع .

(٧) الطلق : البعد ، من طلق — بكسر اللام — بمعنى بعد .

فأمر به المنذر، ففُصِد، فلما مات غُرِّى بدمه الغَرِيَّان.

طائى يفد على المنذر فى يوم بؤسه

فلم يزل كذلك حتى مرَّ به[1] رجل من طيء، يقال له: حنظلةُ بن أبي عفراء، أو ابن أبي عُفْر، فقال له: أبيتَ اللعن، والله ما أتيتك زائرا، ولأهلي من خيرك مائرا[2] فلا تكن ميرتَهم قتلى، فقال: لا بد من ذلك، فاسأل حاجة أقضينَّها لك، فقال: تؤجِّلنى سنة أرجع فيها إلى أهلى، وأُحكِم من أمرهم ما أريد، ثم أصيرُ إليك، فأنفذْ فيَّ حكمَك، فقال: ومن يكفُلُ بك حتى تعود؟ فنظر فى وجوه جلسائه، فعرف منهم شريكَ بن عمرو: أبا الحوْفزانِ بن شريك، فأنشأ يقول:

يا شريكٌ يا بنَ عمرٍو ... ما من الموت مَحَالَهْ[3]
يا شريكٌ يا بنَ عمرو ... يا أخا من لا أخالَهْ[4]
يا أخا شَيْبان فُكَّ اليوم رهنا قد أناله[5]
يا أخا كلِّ مُضافٍ ... وحَيَا مَنْ لا حَيَا له[6]
إنَّ شَيْبانَ قبيلٌ ... أكرمَ اللهُ رجالَهْ
وأبوك الخيرُ عمرٌو ... وشراحيلُ الحَمالَهْ[7]
رَقَّياك اليوم فى المجد وفى حُسنِ المقالَهْ

(١) ضمير «به» يعود على المنذر، لا على عبيد.

(٢) مائرا: طالبا الميرة: القوت.

(٣) تنوين «شريك» للضرورة كقول الشاعر: «سلام الله يامطر عليها».

(٤) كان القياس: «لا أخ له» بدون ألف، ولكنهم قالوا فى مثل هذا وفى مثل قولهم: «لا أبا لك» أنهم افترضوا حذف اللام.

(٥) هكذا بالأصل، ونرجح أن عبارة «قد أناله» محرفة عن «قد أتى له» وضمير أتى يعود على «رهن» والمراد بيان الطائى نفسه بدليل البيت التالى.

(٦) الحيا: الغيث والمطر.

(٧) شراحيل: لعله من آباء شريك، والمراد بالحمالة حمالة الديات والديون وما إليها.

٨٨
١٩

شريك بن عمرو يفدى الطائى

فوثب شريك ، وقال : أبيت اللعن ، يدى بيده ، ودمى بدمه إن لم يعد إلى أجله[1] ، فأطلقه المنذر ، فلما كان من القابل جلس فى مجلسه ، ينتظر حنظلة أن يأتيه ، فأبطأ عليه ، فأمر بشريك ، فقُرِّب ، ليقتله .

الطائى يفى بوعده

فلم يشعر إلا براكب قد طلع عليهم ، فتأملوه ، فإذا هو حَنْظَلة قد أقبل متكفِّنا متحنِّطا معه نادِبَتُه تندبه ، وقد قامت نادبة شريك تندبه ، فلما رآه المنذر عجب من وفائهما وكرمهما ، فأطلقهما ، وأبطل تلك السُّنَّة .

رواية أخرى لهذا الحديث

أخبرنى الحسن بن على قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا علىّ بن الصباح ، عن هشام بن الكلبى ، قال :

كان من حديث عبيد بن الأبرص وقتله أنّ المنذرَ بن ماء السماء بنى الغرّيين ، فقيل له : ما تريد إليهما ؟ وكان بناهما على قبرى رجلين من بنى أسد كانا نديميه ، أحدهما خالد بن المضلل الفقعسىّ ، والآخر عمرو بن مسعود ، فقال : ما أنا بملك إن خالف الناس أمرى ، لا يَمُرَّنّ أحد من وفود العرب إلا بينهما ، وكان له يومان فى السنة يوم يسميه يوم النعيم ، ويوم يسميه يوم البؤس ، فإذا كان فى يوم نعيمه أُتِى بأول من يطلع عليه ، فحياه ، وكساه ، ونادمه يومه ، وحمله ، فإذا كان يوم بؤسه أُتِى بأول من يطلع عليه ، فأعطاه رأس ظَرِبانٍ أسودَ ، ثم أمر به فذبح وغُرِّىَ بدمه الغَرِيَّان ، فبينا هو جالس فى يوم بؤسه إذ أشرف عليه عَبِيدٌ ، فقال لرجل كان معه : من هذا الشقىّ ؟ فقال له : هذا عبيدُ بن الأبرص الأسدىّ الشاعر ، فأُتِىَ به فقال له الرجل الذى كان معه :

(١) فى ب « إلى أهله » وقد رجحنا ما أثبتناه نقلا عن هد ، هج .

اتركه — أبيتَ اللعن — فإنى أظن أنّ عنده من حُسن القريض أفضلَ مما تدرك[1] فى قتله فاسمعْ منه ، فإن سمعت حسنا استزدته ، وإن لم يعجبك فما أقدرَك على قتله . فإذا نزلتَ فادعُ به ، قال : فنزل ، وطعم وشرب ، وبينه وبين الناس حجابُ سترٍ يراهم منه ولا يرونه ، فدعا بعبيد من وراء الستر ، فقال له رَدِيفُه[2] : هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد ! فقال : أتَتْك بحائن رجلاه ، فأرسلها مثلا ، فقال : ما ترى يا عبيد ؟ قال : أرى الحوايا عليها المنايا . فقال : فهل قلتَ شيئاً ؟ فقال : حال الجريض دون القريض ، فقال : أنشدنى .

* أقفرَ من أهلِه مَلحوب *

فقال :

١٠ أقْفَرَ من أهله عبيدُ فليس يُبدى ولا يعيدُ
عنّت له خُطّةٌ نكودُ وحان منها له ورودُ

فقال أنشدْنا :

هِيَ الخمر تُكنى بأمّ الطِّلَى كما الذئبُ يكنى أبا جَعْدَه[3]

وأبى أن ينشدهم شيئاً مما أرادوا ، فأمر به ، فقتل .

١٥ فأما خبر عمرو بن مسعود وخالد بن المضلل ومقتلهما فإنهما كانا نديمين للمنذر ابن ماء السماء ، فيما ذكره خالدُ بن كلثوم — فراجعاه بعض القول على سُكْرِه ،

خبر نديمى المنذر

(١) كذا فى ب ، وفى هد : « أظن أن عنده من حسن القريض أفضل مما يترك من قتله » وفى هج تصحيح كلمة « تريد » بدل كلمة « يترك » والمعنى لا يختلف .

(٢) رديفه : رديف المنذر ، والرديف : نديم السلطان الذى يشاربه ، ويجلس بجواره ، ٢٠ وينوب عنه إذا غاب .

(٣) الطلى : اسم من أسماء الخمر ، ويطلق هذا اللفظ على اللذة ، وهذا المعنى هو المراد هنا ، لأنه لا معنى لأن يكنى الخمر بأم الخمر ، وإنما المعقول أن تكنى بأم اللذة . وأبو جعدة ، وأبو جمادة : كنية الذئب ، ولعله كنى بذلك لتجعد شعر ذنبه .

فقتلهما، فأمر بقتلهما، وقيل: بل دفنهما حيين، فلما أصبح سأل عنهما، فأُخبر خبرَهما فندم على فعله، فأمر بإبل، فنُحرت على قبريهما، وغُرِّيَ بدمائها قبراهما إعظاما لهما وحزن عليهما، وبنى الغَرِيّين فوق قبريهما، وأمر فيهما بما قدمتُ ذكره من أخبارهما، فقالت نادبةُ الأسديين:

ألا بَكَرَ الناعى بخير بنى أسدْ بعمرِو بن مسعودٍ وبالسيّد الصمَدْ ٥

٨٩ وقال بعض شعراء بنى أسد يرثى خالد بن المُضَلِّل وعمرو بن مسعود، وفيه غناء:

١٩

صوت

يا قبرُ بينَ بيوتِ آل مُحرِّقٍ جادت عليك رواعدٌ وبروقُ

أمّا البكاءُ فقلّ عنك كثيرُهُ ولئن بكيتُ فبالبكاء خليقُ[(١)]

١٠ الغناء لابن سريج ثقيل أول مطلق فى مجرى الوسطى من جامع أغانيه.

ومما يغنى به أيضا من شعر عبيد:

صوت

طاف الخيال علينا ليلةَ الوادى من أمِّ عمرو ولم يُلْمِمْ لميعادِ

أنَّى اهتديتِ لِركبٍ طال سيرهمُ فى سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ[(٢)]

١٥ اذهبْ إليك فإنى من بنى أسد أهلِ القباب وأهل الجودِ والنّادى[(٣)]

الغناء للغريض ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاقَ، وفيه ثقيل أول

(١) تقدم هذان البيتان، ورواية هد: « ولئن بكيت فبالبكاء حقيق ».

(٢) رواية هد، هج: « أنى اهتديت لركب طال سيرهم » السبسب: المفازة، الدكداك: الأرض فيها غلظ، أو فيها رمل متلبد، أعقاد: أرض شجراء.

٢٠ (٣) رجحنا رواية هد، هج، وفى ب: « الجرد » بالراء بدل « الجود » بالواو.

بالوسطى ، ذكر المثلى أنه لأبى زكار الأعمى ، وذكر حبش أنه لابن سريج .

وفى هذه القصيدة يقول يخاطب حجر بن الحارث أبا امرئ القيس ، وكان حجر يتوعده فى شىء بلغه عنه ، ثم استصلحه فقال يخاطبه :

أبلغ أبا كَرِبٍ عنّى وإخوتَه ... قولا سيذهب غَوْراً بعد إنجادِ[1]

لا أعرفنّك بعد الموت تندُبنى ... وفى حياتِىَ ما زوّدتنى زادى

إنّ أمامَكَ يومًا أنتَ مدركُهُ ... لا حاضرٌ مفلِتٌ منه ولا بادى

فانظر إلى ظلّ مُلْكٍ أنت تاركُهُ ... هل تُرسِيَنّ أواخيه بأوتاد[2]

الخيرُ يبقى وإن طال الزمانُ به ... والشرّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد[3]

عمر يبكى خالد بن الوليد بعد موته

أخبرنا عيسى بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخزاعىّ ، عن المدائنىّ ، عن أبى بكر الهذلىّ قال :

سمع عمرُ بنُ الخطابِ نساء بنى مخزوم يبكين على خالد بن الوليد ، فبكى ، وقال : ليقلْ نساء بنى مخزوم فى أبى سليمان ما شئن ، فإنهن لا يكذبن ، وعلى مثل أبى سليمان تبكى البواكى ، فقال له طلحة بن عُبيد الله : إنك وإياه لكما قال عبيدُ بنُ الأبرص[4] :

لا أُلفِيَنَّك بعدَ الموتِ تندُبنى ... وفى حياتِىَ ما زوّدتنى زادِى

عبيد فى ضيافة كلب

أخبرنى عمّى ، قال : حدثنى عبد الله بن أبى سعد : قال : حدثنى محمد بن عبد الله [illegible] ، قال : حدثنى [illegible] الكاتب ، قال :

(١) الغور : ما انخفض من الأرض ، والإنجاد : سلوك النجود المرتفعة ، يريد أن هذا القول سيعم البقاع .

(٢) الأواخى جمع الآخية وهى عروة تربط إلى وتد مدقوق ويشد فيها الشىء ، وفى ب : « أراجيه » والأواخى هنا : الأواصر والعرا .

(٣) تقدم هذا البيت على لسان الثعبان الذى عرض لعبيد ، فلعل عبيدا سرقه منه .

(٤) يشير طلحة إلى ما فرط من عمر فى حق خالد بن الوليد ، يوم عزله عن قيادة الجيش عقب توليه الخلافة بعد موت أبى بكر ، كأنه يقول له : أتعزله حيا ، وتبكيه ميتا ؟

وَلِيتُ ولايةً ، فمررتُ بصديق لى فى بعض المنازل ، فنزلت به ، قال : فنلنا من الطعام والشراب ، ثم غلب علينا النبيذُ ، فنمنا ، فانتبهتُ من نومى ، فإذا أنا بكلب ، قد دخل على كلب الرجل فجعل يبَشّ به ويسلّم عليه لا أنكر من كلامه شيئًا ، ثم جعل الكلب الداخل عليه يخبره عن طريقه بطول سفره ، وقال له : هل عندك شىء تُطْعِمنيه ؟ قال : نعم ، قد بقى لهم فى موضع كذا وكذا طعام ، وليس عليه شىء[1]، فذهبا إليه ، ٥ فكأنى أسمع وُلوغَهما فى الإناء حتى أكلا ما كان هنالك فيه ، ثم سأله نبيذاً ، فقال : نعم ، لهم نبيذ فى إناء آخَرَ ليس له غطاء ، فذهبا إليه فشربا .

ثم قال له : هل تطربنى بشىء ؟ قال : إى وعيشك ، صوت كان أبو يزيد يغنّيه ، فيجيده ، ثم غناه فى شعر عبيد بن الأبرص .

الكلاب تتغنى بشعره

٩٠
١٩

صوت ١٠

طاف الخيالُ علينا ليلةَ الوادى ... لآل أسماء لم يُلمِمْ لميعادِ

أنَّى اهتديت لركبٍ طال سيرهمُ ... فى سَبْسَبٍ بين دَكْداكٍ وأعقادِ[2]

قال : فلم يزل يغنّيه هذا الصوت ، ويشربان معًا ، حتى فنِىَ ذلك النبيذ ، ثم خرج الكلبُ الداخل، فَخِفْتُ واللهِ على نفسى أن أذكر ذلك لصاحب المنزل، فأمسكتُ ،وما أذكر أنى سمعت أحسن من ذلك الغناء . ١٥

ومما يغنى فيه من شعره قوله :

صوت

لمن جِمالٌ قُبيلَ الصّبح مزمُومَه ... ميمِّماتٌ بلادًا غيرَ معلومه

فيهنّ هندٌ وقد هام الفؤاد بها ... بيضاءُ آنسةٌ بالحسن موسومهْ

(١) يريد أن هذا الطعام ليس فى حرز . ٢٠

(٢) تقدم هذان البيتان ، نقول : ويبدو أن عبيد بن الأبرص كان رجل الخوارق ، فقد رأينا فمه يحشى بالشعر ، فراهم الشعر وهو نائم ، ورأينا الأفاعى تتعاطى الأشعار ثم ها هو ذا تتغنى بشعره الكلاب .

الغناء لابن سريج رمل عن يونس والهشامى وحبش .

ومنها[1] قوله :

صوت

دَارٌ دَرُّ الشباب والشَّعَرِ الأسـ ... ـود والضّامراتِ تحت الرِّحالِ

فالخناذيذِ كالقداحِ من الشو ... حط يحملن شِكَّةَ الأبطالِ[2]

ليس رسمٌ على الدَّفين ببالٍ ... فَلِوَى ذروةٍ فجَنْبَىْ أُثالِ[3]

تلك عرسى قد عيّرتنى خِلالى ... أَلِبَيْنٍ تريد أم لدلالِ ؟[4]

الغناء لطويس خفيف رمل لاشك فيه ، وفيه ثقيل أول ، ذكر على بن يحيى أنه لطويس أيضاً ، ووجدته فى صنعة عبد العزيز بن عبد الله بن طاهر ، وفى الثالث والرابع من الأبيات لدلال خفيف رمل بالبنصر ، عن عبد الله بن موسى والهشامى .

(١) ومنها : من الأغانى التى غنى بها من شعره ، وليس المراد أن ما يأتى تتمة الأبيات السابقة .

(٢) الخناذيذ : جمع خنذيذ : الشجاع البهمة من الفرسان ، الشوحط : شجر من الأيلاف تتخذ منه القسى والقداح ، أو هو ضرب من النبع ، الشكة : ما يلبس أو يحمل من السلاح .

(٣) أثال : اسم جبل ، والبيت لا يخلو من التواء ، والذى نراه أنه يريد أن يقول : إن منازل الأحياء تبلى ، ولكن رسوم الموتى باقية ، فلدى ذروة من الذرا ، أو فى جانب جبل أثال يكون دفنى ودفن سواى ، وهذه الأماكن لا يعفى عليها الزمن .

(٤) خلالى : خصالى ، وهو مفعول ثان « لعيرتنى » .

صوت

لمن الدّيارُ كأنها لم تُحْلَلِ بجنوبِ أسنمةٍ فقُفِّ العُنْصُلِ
درستْ معالمُها فباقٍ رسمُها خَلَقٌ كعنوان الكتاب المُحْوِلِ[1]
دارٌ لسُعدى إذ سعادُ كأنها رشأٌ غضيضُ الطّرفِ رَخْصُ المَفْصِلِ[2]

عروضه من الكامل ، جنوب أسنمة : أودية معروفة . والقُفّ : الكثيب من الرمل ليس بالمشرف ولا الممتد . والعنصل : بصل معروف .

الشعرُ لربيعةَ بنِ مَقْرومٍ الضّبيّ ، والغناء فيه لسياط هزج بالبنصر عن الهشامى .

* * *

(١) محول : أتت عليه أحوال : سنون .
(٢) رخص المفصل : لينة المفاصل .

أخبار ربيعة بن مقروم ونسبه

اسمه ونسبه

هو ربيعةُ بن مُقروم الضَّبيّ بنِ قيس بنِ جابر بن خالد بن عمرو بنِ عبد الله بنِ السِّيد ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبّة بن أدّ بن طابخةَ بن إلياس بن مُضر بن نزار .

شاعرٌ إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان ممن أصفَق[1] عليه كسرى، ثم عاش فى الإسلام زمانًا .

قال أبو عمرو الشيبانى :

هجو ضابئ بن الحارث

كان ربيعةُ بن مقرومٍ باع عَجْرَدَ بن عبد عمرو بن ضمرة بن جابرِ بن قَطَنِ بنِ نهشل بن دارم — لِقْحةً[2] إلى أجل ، فلما بايعه وجد ابنُ مقروم ضابئَ بن الحارث عند عجْرد ، وقد نهاه عن إنظاره بالثمن ، فقال ابن مقروم يُعرِّض بضابئٍ إنه أعان عليه وكان ضِلَعه[3] معه :

٩١ / ١٩

أعجْرُ ابن المليحة إنّ همّى ... إذا ما لَجّ عُذَّالى لَعانِ[4]

قوله : لعان أى عانٍ من العناء، عنانى الشيء يعنينى ، وهو لى عانٍ .

يَرى مالًا أرى ويقول قولًا ... وليس على الأمور بمستعانِ

ويحلِف عند صاحبه لَشاةٌ ... أحبُّ إلىّ من تلك الثمانِ[5]

(١) أصفق عليه : أطبق عليه وحبسه فى المشقر .
(٢) اللقحة : الناقة ذات لبن .
(٣) أى : وكان ضلع ضابئ مع عجرد .
(٤) فى هد ، هج «لعمر أبى المليحة» بدل «أعجر بن المليحة» ، وفى هج «إذا ما بح» بدل «إذا ما لج» .
(٥) المراد أنه حلاف للأيمان الباطلة .

وحامل ضِبّ ضِغنٍ لم يَضِرْنى بعيدٍ قلبُه حلوِ اللسان (١)
ولو أنى أشاء نَقَمتُ منه بِشَغْبٍ من لسانٍ تَيِّحانِ (٢)
ولكنى وصلتُ الحبل منه مواصلةً بحبلِ أبى بيانِ
ترفَّعَ فى بنى قَطَنٍ وحلّت بيوتَ الجودِ بيتُهُمُ بانى (٣)
يعنى حلّت بنو قطن بيوتَ الجود.

وضَمْرةُ إن ضمرةَ خيرُ جارٍ إلى قطنٍ بأسبابٍ متانِ (٤)
هجانُ الحىِّ كالذهبِ المصفّى صبيحةَ ديمةٍ يجنيه جانِ (٥)

قال أبو عمرو: الذهبُ فى معدنه إذا جاءه المطر ليلا لاح من غد عند طلوع الشمس فيُتَتَبَّع ويُؤْخذ.

يمدح مخلصه من الأسر

قال أبو عمرو: وأُسِرَ ربيعةُ بنُ مقروم واستِيقَ مالُه، فتخلّصه مسعود بن سالم بن أبى سلمى (٦) بن ذُبيانَ بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد، فقال ربيعة بن مقروم فيه قوله:

كَفَانِى أبو الأشوسِ المنكراتِ كفاهُ الإلهُ الذى يَحْذَرُ
أعزُّ من السِّيدِ فى منصبٍ إليه العَزازةُ والمفخرُ (٧)

(١) الضب: الضغن، وفى ب: «عبء ضغن» ولعل هذه الرواية أنسب، حتى لا يضاف الشىء إلى نفسه.
(٢) الشغب: الشر والخصام، التيحان: من يتعرض للشدائد والمكرمات.
(٣) فاعل ترفع ضمير «أبى بيان» فى البيت السابق، يعنى نفسه.
(٤) ضمرة: معطوف على بنى قطن فى البيت السابق، وفى هج: «عاقدت له بأسباب متان» بدل «إلى قطن بأسباب متان».
(٥) الهجان: الكريم الحسب، الديمة: السحابة الماطرة.
(٦) فى هج: «سلم بن أبى ليلى».
(٧) السيد: يطلق على الذئب والأسد، والمراد هنا الثانى.

وقال يمدحه أيضاً :

بَانَ الخليطُ فأمسى القلبُ معمودَا ... وأخلفتك ابنةُ الحرِّ المواعيدا (١)

كأنها ظبيةٌ بِكْرٌ أطاع لها ... من حَوملٍ تَلَعَاتُ الحيِّ أو أُودا (٢)

قامت تريك غداةَ البين مُنسدِلاً ... تخالُه فوق متنيها العناقيدا (٣)

وبارداً طَيِّبا عذبا مذاقته ... شربتُه مَزِجاً بالظلم مشهودا (٤)

وجَسْرةٍ أُجُدٍ تَدمَى مناسمُها ... أعْمَلْتُها بِيَ حتى تقطعَ البيدا (٥)

كلّفتُها ، فأتت حتماً تكلّفها ... ظهيرةً كأجيج النار صيخودَا (٦)

في مَهْمَهٍ قُذُفٍ يُخشَى الهلاكُ به ... أصداؤُه لا تَنِي بالليل تغريدا (٧)

لمّا تشكّت إليّ الأينَ قلتُ لها : ... لا تستريحِنَّ مالم ألقَ مسعودا (٨)

مالم ألاقِ امرأً جَزْلاً مواهبُه ... رحبَ الفِناء كريمَ الفعل محمُودا

وقد سمعتُ بقوم يُحمَدون فلم ... أسمع بمثلِك لا حِلْماً ولا جودا (٩)

(١) الخليط : المخالط من زوج وجار وصديق ونحو ذلك ، معمودا : مضنى مريضا .

(٢) أطاع لها : اتسعت ودانت لها . تلعات الحى : روابيه العالية ، حومل ، أود : مكانان ، وإنما جر « أود » بالفتحة على معنى بقعة .

(٣) منسدلا : شعرا منسدلا ، فاعل تخاله هى يعود على المحبوبة ، والمتنان : جانباها ، والمراد بالعناقيد عناقيد الشعر .

(٤) الظلم : ماء الأسنان وبريقها ، ويريد بالبارد الطيب ريق المحبوبة .

(٥) جسرة : ضخمة ، أى وناقة جسرة ، أجد : الناقة الأجد : القوية المتينة الأضلاع . المناسم : جمع منسم : طرف خف البعير أو الناقة .

(٦) صيخودا : شديدة الحرارة ، وهى صفة لظهيرة .

(٧) قذف : مترامى الأطراف ، يتقاذف بمن يسلكه ، أصداؤه : جمع صدى ، وهو طائر يخرج من رأس القتيل – فيما يزعم العرب – لايفتأ يصيح قائلا : « اسقونى » حتى يؤخذ بثأره .

(٨) الأين : التعب والنصب ، وفى المختار : « لا تستريحين » بلا النافية بدل لا الناهية مع التوكيد كما فى ب .

(٩) فى ب : « بحالك » بدل « بمثلك » والمثبت من هد ، هج ، وهو الصواب .

ولا عفافاً ولا صبراً لنائبة ولا أخبَّرُ عنك الباطلَ السِّيدا (١)

السِّيد : قبيل الممدوح من آل ضبة .

لاحلمُك الحلمُ موجودٌ عليه، ولا يُلفَى عطاؤُك فى الأقوام منكودا (٢)

وقد سبقتَ لغايات الجواد وقد أشبهتَ آباءك الشُّمَّ الصناديدا

هذا ثنائى بما أوليتَ من حسنٍ لازلتَ براً قريرَ العينِ محسودا (٣)

يتقاضى دينه بشعر فيقضى

قال أبو عمرو : كان لضابئ بن الحارث البُرجُمِىّ، على عَجْرَد بن عبد عمرو دينٌ بايعه به نَعَماً ، واستخار الله فى ذلك ، وبايعه ربيعة بن مقروم ، ولم يستخر الله تعالى ، ثم خانه ضابئ فاستجار بربيعةَ بن مقروم فى مطالبته إياه ، فضمن له جواره ، فوفى عَجْرَدٌ لضابئ ، ولم يف لربيعة ، فقال ربيعة :

أعَجْرَدُ إنى من أمانىِّ باطلٍ وقولِ غداً شيخٌ لذاك سؤوم (٤)

وإنّ اختلافى نصف حولٍ محرَّم إليكم بنى هندٍ علىَّ عظيم (٥)

فلا أعرفنّى بعد حولٍ محرَّم وقولٍ خلا يُشكونَنِى فألوم (٦)

ويلتمسوا وُدِّى وعطفى بعد ما تناشدَ قولى وائلٌ وتميمُ (٧)

(١) الباطل : مفعول ثان لأخبر ، والسيد : مفعول أول متأخر .

(٢) موجود عليه : من الوجد بمعنى الغضب والاضطغان .

(٣) المختار ، هد ، هج : « لا زلت عوض » بدل « لا زلت برا » وعوض : ظرف زمان بمعنى أبدا .

(٤) شيخ : خبر إنى : يريد أنه يسأم التسويف والأمانى الباطلة .

(٥) أضاف السنة إلى أول شهورها فقال : « نصف حول محرم » يقول : لقد ترددت عليكم نصف عام فى طلب دينى ، وهذا كثير .

(٦) يشكوننى : مضارع أشكاه : أزال أسباب شكواه ، يقول : لا يكن منهم أنهم ينصفوننى ، ويردون إلى دينى بعد مرور عام ، وبعد أن سار شعرى فيهم ، فألوم نفسى على ما قلت .

(٧) هذا البيت تتمة ما قبله ، أى وحينئذ يلتمسون ودى بعد أن ذهب شعرى فيهم مذهب الأمثال ، وحذفت نون « ويلتمسوا » بعد واو المعية الواقعة بعد النهى فى البيت السابق « لا أعرفنى » .

وإن لم يكن إلا اختلافي إليكم فإني امرؤٌ عِرضى علىّ كريم
فلا تفسدوا ما كان بيني وبينكم بنى قطَنٍ إنّ المُليم مُليم [(١)]

فاجتمعت عشيرةُ عجْرَد عليه ، وأخذوه بإعطاء ربيعة ماله ، فأعطاه إياه .

حماد الراوية يثرى على حسابه

أخبرنى جعفر بن قدامة ، قال : حدّثنى حمّادُ بن إسحاق ، عن أبيه ، عن الهيثم ابن عَدىّ ، عن حمّاد الرّاوية ، قال :

دخلتُ على الوليدبن يزيدَ ، وهو مُصطبِح ، وبين يديه معبد، ومالك،وابن عائشة وأبو كامل ، وحكم الوادى ، وعمر الوادى يُغنُّونه ، وعلى رأسه وصيفة تسقيه ، لم أرَ مثلها تماماً وكمالا وجمالاً . فقال لى : ياحماد ، أمرتُ هؤلاء أن يغنُّوا صوتاً يوافق صفة هذه الوصيفة ، وجملتُها لمن وافق صفتها نحلَةً [(٢)] فما أتى أحدٌ منهم بشيء ، فأنشدنى ١٠ أنت ما يوافق صفتها ، وهى لك ؛ فأنشدته قولَ ربيعةَ بن مقروم الضّبّىّ :

دارٌ لسُعْدَى إذ سُعاد كأنّها رَشأٌ غريرُ الطّرفِ رخصُ المِفْصَل [(٣)]
شمّاء واضحةُ العوارض طَفلةٌ كالبدر من خَلَل السحاب المنجلى [(٤)]
وكأنما ريحُ القرنفل نَشرُها أو حَنْوةٌ خُلِطتْ خُزامى حَوْمل [(٥)]
وكأنّ فاها بعد ما طرَق الكرى كأسٌ تُصَفَّق بالرحيق السّلسل

١٥ (١) المليم : من أتى عملا يحق عليه اللوم ، يريد أن يقول : إن المذنب هو المذنب ، فلا يلق المذنب التبعة على سواه .
(٢) نحلة : عطاء .
(٣) هذا البيت تكملة من المختار .
(٤) العوارض : جمع عارضة : الثنية من الأسنان ، أو صفحة الخد ، طفلة : ناعمة رخصة .
٢٠ (٥) الحنوة : الريحانة ، الخزامى : نبات عطرى الرائحة ، حومل : اسم مكان . يقول : كأن ريحها ريح القرنفل ، أو ريح الريحان المخلوط بخزامى حومل .

لو أنها عرضت لأشمطَ راهبٍ ... فى رأس مُشرِفةِ الذُّرا متبتّلِ (١)

جارِ الساعاتِ النِّيامِ لربِّه ... حتى تخدَّدَ لحمُهُ مُستعمِلِ (٢)

لصبا لبهجتها وحُسْنِ حديثها ... ولهمَّ من ناموسه بتنزُّلِ (٣)

، فاخترها أو ألف دينار ، اخترت الألف الدينار ،

المال

وهذه القصيدة من فاخر الشعر وجيّده وحسنه ، فمن مختارها ونادرها قوله :

صوت

بل إنْ ترَىْ شمطاً تفرَّعَ لِمَّتى ... وحَنا قناتِى وارتقى فى مِسْحَلِى (٤)

ودَلَفْتُ من كِبَرٍ كأنِّىَ خاتِلٌ ... قَنَصاً ومن يدْبِبْ لصيدٍ يختِلِ (٥)

فلقد أُرَى حَسَنَ القَناة قويمَها ... كالنَّصْل أخلصه جلاءُ الصَّيْقَلِ (٦)

أزمانَ إذْ أنا والجديدُ إلى بلىً ... تُصبِى الغوانى مِشْيَتى وتنقُّلِى (٧)

(١) الأشمط : المخالط سواد شعره ببياض ، فى رأس مشرفة الذرا : فى رأس قمة عالية ، متبتل : متعبد ، وجواب الشرط فيما يأتى .

(٢) جآر : مبالغة من جأر : رفع صوته والمراد رفع الصوت بالتسبيح ونحوه ، وهو صفة لأشمط فى البيت السابق ، تخدد لحمه : تشقق من كثرة قيام الليل ، مستعمل : مستعمل أعضاءه فى أعمال التعبد ، وربما كانت « يتعمل » بمعنى متكلف العمل ، مرغم نفسه عليه .

(٣) لصبا : جواب « لو » فى البيت الرابع ، الناموس : بيت الراهب . وخلاصة المعنى أن هذه الفاتنة لو عرضت لراهب هذه صفته لمال إليها ، وكاد يولى وجهه شطرها لا شطر القبلة .

(٤) الخطاب فى البيت لمحبوبته أو زوجته ، الشمط : البياض يخالط سواد الشعر ، تفرع لمتى : انتشر ، وتفشى فيها ، حنا قناتى : قوس ظهرى ، المسحل : جانب اللحية .

(٥) الختل : الخداع ، شبه مشيه الشيخ الوئيدة بمشية من يريد مباغتة الطير ليصيده ، فهو يتئد فى سيره ، حتى لا يحدث حركة .

(٦) البيت جواب « ان ترى شمطا » حسن القناة : مفعول ثان « لأرى » بالبناء للمجهول ، يقول : إن شوه الشيب منظرى اليوم فقد كنت بالأمس حسن القوام .. الخ .

(٧) جملة « والجديد إلى بلى » معترضة بين المبتدأ وخبره ، الميعة من كل شىء : أوله ، والمراد هنا عهد الشباب .

غنى بذلك معبد ثقيلا أول :

٩٣
١٩

ولقد شهدتُ الخيلَ يوم طِرادها ... بسَليمِ أوظفةِ القوائمِ هَيكَلِ (1)

مُتقاذفٍ شَنِجِ النَّسا عَبْلِ الشَّوى ... سبّاقِ أنديةِ الجيادِ عَمَيْثَلِ (2)

لولا أُكفكِفه لكان إذا جرى ... منه العزيمُ يدقُّ فأسَ المِسحلِ (3)

وإذا جرى منه الحميمُ رأيتَه ... يهوِي بفارسِه هُوِيَّ الأجدلِ (4)

وإذا تَعلَّلُ بالسِّياط جيادُها ... أعطاك نائيه ولم يتعلَّلِ (5)

ودعَوا: نزالِ فكنتُ أولَ نازلٍ ... وعلامَ أركبُه إذا لم أنزلِ؟

ولقد جمعتُ المالَ من جَمْع امرئٍ ... ورفعتُ نفسي عن لئيمِ المأكلِ (6)

ودخلتُ أبنيةَ الملوك عليهمُ ... ولشَرُّ قولِ المرءِ ما لم يُفعَلِ

ولرُبَّ ذي حَنَقٍ عليَّ كأنما ... تَغلِي عداوةُ صَدْرِه كالمِرْجلِ (7)

(١) سليم : صفة موصوف محذوف أى : بفرس سليم .. الخ . أوظفة : جمع وظيفة : مستدق الذراع والساق من الفرس ونحوه ، هيكل : ضخم .

(٢) متقاذف : سريع ، شنج : منقبض ، النسا : عصب الورك يمتد منه إلى الكعب ، عبل الشوى : مندمج الأطراف ، عميثل : ضخم قوى ، « أندية الجياد » نرجح أنها تحريف آبدة الجياد أى : سباق الجياد الشاردة .

١

(٣) العزيم : الجرى ، المسحل : اللجام ، فأس المسحل : حديدته التى فى حنك الفرس ، يقول : لولا أنى أزجره ، وأخففه ، من وطأة سيره لقضم فأس اللجام ، وفى هد ، هج ، والمختار : «الشكيم» بدل « العزيم » .

(٤) الحميم : العرق ، الأجدل : الصقر ، وسيلان العرق : كناية عن الحمو والإيغال فى العدو .

(٥) جيادها : جياد الخيل ، أى إذا احتاج جياد الخيل إلى السياط أعطاك هو المكان النائى دون حاجة إليها ، وفى هج : « أعطاك ثانية » بدل « أعطاك نائيه » .

٢

(٦) تنكير امرىء هنا للتعظيم ، أى : من جمع امرىء عظيم كريم وفى هج « لئيم المنزل » .

(٧) فى المختار، هد ، هج : « وألد ذى حنق » .

أزجيتُه عنّى فأبصرَ قصدَه ... وكويتُه فوق النّواظر من علِ (١)

وأخى محافظةٍ عصى عُذّاله ... وأطاع لذّته مُعِمٌّ مُخوِل

هشٌّ يُراحُ إلى النّدى نبهتُه ... والصبحُ ساطعُ لونِه لم ينجل (٢)

فأتيتُ حانوتا به فصبحته ... من عاتقٍ بمزاجها لم تُقتلِ (٣)

صهباء إلياسيّةٍ أغلى بها ... يَسرٌ كريمُ الخِيم غيرُ مُبخَّل (٤)

ومُعرَّسٍ عُرْضِ الرداء عرستُهُ ... من بعد آخرَ مثلِه فى المنزلِ (٥)

ولقد أصبتُ من المعيشة لينَها ... وأصابنى منه الزمانُ بكلكل

فإذا وذاك كأنه ما لم يكن ... إلا تذكُّره لمن لم يجهل (٦)

ولقد أتتْ مائةٌ علىَّ أعدُّها ... حَوْلاً فحولا لا بلاها مُبتلِ

فإذا الشّباب كمُبْذَلٍ أنضيتُه ... والدهرُ يُبلِى كلَّ جِدَّةِ مِبْذل (٧)

هلّا سألتِ وخَبْرُ قومٍ عندهم ... وشفاءُ غَيِّكِ خابرا أن تسألِى (٨)

هل نُكرم الأضيافَ إنْ نزلوا بنا ... ونسودُ بالمعروف غيرَ تنحُّلِ ؟ (٩)

(١) أزجيته : دفعته ، وفى بعض النسخ : « أوجيته » والمعنى واحد .

(٢) يراح إلى الندى : يرتاح إليه ، وفى المختار : « ساطع ضوئه » .

(٣) العاتق : الخمر المعتقة .

(٤) إلياسية : نسبة إلى إلياس ، ولعله اسم الخمار ، وفى هد ، هج : « صافية القذى » بدل « إلياسية » يسر : سهل سمح ، أو يلعب الميسر ؛ وفى المختار : « إبلية » .

(٥) المعرس : مكان التعريس : الإقامة ليلا ، وفى هج : « عرض الندى » بدل « عرض الرداء » .

(٦) لعل الأحسن « فإذا هذا وذاك » فحذف المعطوف عليه ، وقد تكون « فإذا » تحريف « هذا » فلا نحتاج إلى تقدير .

(٧) المبذل : الثوب يلبس فى المهنة .

(٨) جملة « وخبر قوم .. الخ البيت » اعتراض بين السؤال والمسئول عنه ، خابرا : مفعول مقدم لقوله : « أن تسألى » .

(٩) غير تنحل . غير ادعاء وكذب . ويروى : غير تبخل .

ونحُلّ بالثغر المخُوفِ عَدوُّه ونردُّ حالَ العارض المتهلِّل (١)

ونُعين غارمَنا ونمنع جارَنا ونَزِينُ مولى ذِكْرنا فى المحفِل (٢)

وإذا امرُؤٌ منا حَبا فكأنَّه مما يُخافُ على مناكب يَذْبُلِ (٣)

ومتى تَقُمْ عند اجتماع عشيرةٍ خطباؤنا بين العشيرة يُفْصَلِ (٤)

ويرى العدوُّ لنا دروءاً صعبةً عند النجوم منيعةَ المتأوّل (٥)

وإذا الحَمالةُ أثقلت حُمَّالَها فعلى سوائمنا ثقيلُ المحمِلِ (٦)

ونحُقُّ فى أموالنا لحليفنا حقًّا يبوء به وإن لم يَسْأَلِ

وهذه جملةٌ جمعتُ فيها أغانىَ من أشعار اليهود، إذ كانت نسبتهم وأخبارهم مختلطة، فمن ذلك :

(١) العارض المتهلل : السحاب المعترض فى الأفق ، ولعله يقصد به الجيش العرمرم .

(٢) المولى : من معانيه الصديق ، يريد أن الصديق إذا ذكرهم فى محفل وجد ما يقوله .

(٣) يذبل : اسم جبل .

(٤) يفصل : جواب « متى » ، يريد أن خطباءهم أرباب القول الفصل فى الخصومات التى تقع بين العشائر . وفى المختار : تفصل .

(٥) الدروء : جمع درء ، وهو النتوء فى الجبل ، المتأول : من تأول الأمر : توسمه وتحراه ، يريد أن لهم مراكب وعرة ، لا يتوسمها أو يتحرى سلوكها إنسان .

(٦) الحمالة : ما يحمل فى الديات ونحوها ، السائمة : الماشية ، يريد أن إبلهم تتكفل بأداء الحمالات المطلوبة ، وإن ثقل محملها .

صوت

أنّى تَذَكَّر زينبَ القلبُ وطِلابُ وصلِ عزيزةٍ صَعْبُ
ما رَوْضَةٌ جاد الربيع لها موشيّةٌ ما حولها جدْبُ
بألذَّ منها إذ تقول لنا سيرًا قليلا يَلْحقِ الركْبُ [1]

94
19

الشعر لأوس بن ذبّى القرظى ، والغناء لابن سريج ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وزعم عمرو أن فيه لحنا من الثقيل الأول بالوسطى لمالك ، وأن فيه صنعة لابن محرز ، ولم يجنسها .

(١) سيرا : مفعول مطلق لفعل محذوف ، أى : سيروا على مهل حتى نلحق بكم : رفقا بالقوارير .

أخبار أوس ونسب اليهود

النازلين بيثرب وأخبارهم

أوس بن دَنِىّ اليهودىُّ رجل من بنى قُرَيْظَة ، وبنو قريظة وبنو النضير يقال لهم : الكاهنان ، وهم من ولد الكاهن بن هارون بن عمران أخى موسى بن عمرانَ صلى الله على محمد وآله وعليهما ، وكانوا نزولا بنواحِى يثربَ بعد وفاة موسى ابنِ عمرانَ عليه السلام ، وقبل تفرق الأزد عند انفجار سيل العرم ونزول الأوس والخزرج بيثرب .

العمالقة فى المدينة

أخبرنى بذلك علىُّ بنُ سليمان الأخفشُ ، عن جعفر بن محمد العاصى[1] عن أبى المنهال عُيَيْنَةَ بن المنهال المهلبى ، عن أبى سليمان : جعفر بن سعد ، عن العمارى ، قال :

كان ساكنُو المدينة فى أول الدهر قبل بنى إسرائيل قوما من الأمم الماضية ، يقال لهم : العماليق ، وكانوا قد تفرقوا فى البلاد ، وكانوا أهل عز وبغى شديد ، فكان ساكنِى المدينةِ منهم بنو هف[2] وبنو سعد وبنو الأزرق وبنو مطروق ، وكان ملكَ الحجاز منهم رجلٌ يقال له : الأرقم ، يقال ما بين تَيْماء إلى فَدَك ، وكانوا قد ملئوا المدينة ، ولهم بها نخل كثير وزروع ، وكان موسى بن عمران عليه السلام قد بعث الجنود إلى الجبابرة من أهل القرى يغزونهم ، فبعث موسى عليه السلام إلى العماليق جيشا من بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يقتلوهم جميعاً إذا ظهروا عليهم ، ولا يستبقُوا منهم أحداً ، فقدم الجيشُ الحجازَ ، فأظهرهم الله عز وجل على العماليق ، فقتلوهم أجمعين إلا ابناً للأرقم ؛ فإنه كان وضيئا جميلا ، فضنُّوا به على القتل ، وقالوا : نذهب به إلى موسى بن عمران ، فيرى فيه رأيه ، فرجعوا إلى الشام ،

(١) فى هج : « محمد بن عاصم » وفى هد : « محمد العاصمى » .

(٢) فى هج : « بنو نعف » .

فوجدوا موسى — عليه السلام — قد توفى، فقالت لهم بنو اسرائيل: ما صنعتم؟ فقالوا: أظهرنا الله جل وعز عليهم، فقتلناهم، ولم يبق منهم أحد غيرُ غلام كان شابا جميلا، فنفسنا به عن القتل، وقلنا: نأتى به موسى عليه السلام، فيرى فيه رأيه، فقالوا لهم: هذه معصية: قد أُمِرتم ألا تستبقُوا منهم أحدا، والله لا تدخلون علينا الشام أبداً.

أول استيطان اليهود المدينة

فلما مُنِعوا ذلك قالوا: ما كان خيرا لنا من منازل القوم الذين قتلناهم بالحجاز، نرجع إليهم[1]، فنقيم بها، فرجعوا على حاميتهم، حتى قدموا المدينة، فنزلوها، وكان ذلك الجيش أول سكنى اليهود المدينة، فانتشروا فى نواحى المدينة كلها إلى العالية، فاتّخذوا بها الآطام[2] والأموال والمزارع، ولبثوا بالمدينة زمانا طويلا.

بنو قريظة والنضير يلحقون بإخوانهم

ثم ظهرت الروم على بنى إسرائيل جميعا بالشام، فوطئوهم، وقتلوهم، ونكحوا نساءهم، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بَهْدَل[3] هاربين منهم إلى مَنْ بالحجاز من بنى إسرائيل لمّا غلبتهم الروم على الشام، فلما فَصَلوا عنها بأهليهم بعث ملكُ الروم فى طلبهم؛ ليردهم، فأعجزوه، وكان ما بين الشام والحجاز مفاوزَ، فلما بلغ طلبُ الروم الثمر[4] انقطعت أعناقهم عطشا، فماتوا، وسمى الموضع ثمر الروم، فهو اسمه إلى اليوم، فلما قدم بنو النضير وبنو قريظة وبهدل المدينة نزلوا الغابَة، فوجدوها وَبِيَّة[5] فكرهوها، وبعثوا رائدا أمروه أن يلتمس لهم منزلا سواها، فخرج حتى أتى العالية، وهى بُطْحانُ ومَهْزُورٌ: واديان من حَرَّة على تلاع أرض عذبة، بها مياه عذبة تنبت حُرَّ الشجر، فرجع إليهم، فقال:

(١) فى بعض ب: «نرجع اليها».
(٢) الآطام: جمع أطم بضمتين، أو أطم بضم فسكون: الحصون، أو كل بناء مرتفع.
(٣) فى بعض النسخ: «هدل».
(٤) فى هد، هج: «الثمد».
(٥) وبية: تخفيف وبيئة — بالهمز — بمعنى كثر فيها الوباء.

قد وجدتُ لكم بلداً مليّاً نَزِهاً على حَرّة يصب فيها واديان على تلاع عذبة ومَدَرة[1] طيبة فى مُتأخَّر الحرة ومدافع الشَّرْج ، قال : فتحوَّل القومُ إليها من منزلهم ذلك ، فنزل بنو النضير ومن معهم على بُطحانَ ، وكانت لهم إبل نواعم ، فاتخذوها أموالا ، ونزلت بنو قريظة وبهدل ومن معهم على مهزور ، فكانت لهم تِلاعُهُ وما سقى[2] من بُعاثَ وسموات[3] ، فكان ممن يسكن المدينة — حين نزلها الأوس والخزرج — من قبائل بنى إسرائيل بنو عكرمة[4] ، وبنو ثعلبة ، وبنو محمر[5] ، وبنو زغورا[6] ، وبنو قينقاع ، وبنو زيد ، وبنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو بهدل ، وبنو عوف ، وبنو القصيص[7] ، فكان يسكن يثربَ جماعةٌ من[8] أبناء اليهود ، فيهم الشرف والثروة والعز على سائر اليهود ، وكان بنو مرانة فى موضع بنى حارثة ، ولهم كان الأُطُمُ الذى يقال له : الخال .

بطون من العرب بالمدينة

وكان معهم من غير بنى إسرائيل بطون من العرب منهم: بنو الحرمان[9] : حى من اليمن ، وبنو مَرْثد حى من بلىّ ، وبنو أُنَيْف ، من بلىّ أيضاً ، وبنو معاوية حى من بنى سليم ثم من بنى الحارث بن بَهْثَة ، وبنو الشطية : حى من غسّان ، وكان يقال لبنى قريظة وبنى النضير خاصة من اليهود: الكاهنان ، نُسبوا بذلك إلى جدهم الذى

(١) مدرة : تربة .
(٢) لعلها « وما بقى » بدل « وماسقى » .
(٣) فى ب : « سمرات » وفى أخرى : « سمران » .
(٤) فى هد ، هج : « بنو عكوة » .
(٥) فى ب : « محمم » .
(٦) فى ب : « بنو زعورا » بالعين المهملة بدل « بنوزغورا » وفى أخرى : « بنو زرعوا » .
(٧) فى هد ، هج : « بنو القصص » .
(٨) فى هد ، هج : « جماع من أمناء اليهود » .
(٩) فى هد : « بنو الحرماء » .

يقال له الكاهن ، كما يقال : العُمَران والحسنان والقمران[1] ، قال كعب بن سعد القرظى :

بالكاهنين قررتمْ فى ديارِكُمُ جمًّا ثواكم ومن أجلاكم جَدُبا[2]

وقال العبّاس بن مرداس السُّلمى يردّ على خوّات بنِ جبير لمّا هجاهم :

هجوتَ صريحَ الكاهنَيْنِ وفيكمُ لهم نِعَمٌ كانت مدى الدهر تُرْتُبا[3]

عرب آخرون يلحقون بإخوانهم

فلما أرسل الله سيلَ العرم على أهل مأرب ، وهم الأزد ، قام رائدهم فقال : من كان ذا جَمَل مِفَنّ ووطب مُدنّ وقربة وشنّ ، فليلحق عن بقرات النعم ، فهذا اليوم يومُ همّ[4] وليلحق بالثَّنِى من شنّ — قال وهو بالسراة — فكان الذين نزلوه أزد شنوءة ، ثم قال لهم : ومن كان ذا فاقة وفقر ، وصبر على أزمات الدهر فليلحق ببطن مُرّ ، فكان الذين سكنوه خزاعة ، ثم قال لهم : من كان منكم يريد الخمر والخمير ، والأمر والتأمير ، والديباج والحرير ، فليلحق ببُصْرى والحفير ، وهى من أرض الشام ، فكان الذين سكنوه غسّان ثم قال لهم : ومن كان منكم ذا همٍّ بعيد وجمل شديد ، ومزاد جديد ، فليلحق بقصر عُمَان الجديد ، فكان الذين نزلوه أزد عمان ، ثم قال : ومن كان يريد الرّاسخاتِ فى الوَحْل ، المطعماتِ فى المحْل ، فليلحق بيثرب ذات النخل . فكان الذين نزلوها الأوسَ والخزرج ، فلما توجهوا إلى المدينة ووردوها نزلوا

الأوس والخزرج يمانون ش نا. العيش بالمدينة

(١) العمران : أبو بكر وعمر ، والحسنان : الحسن والحسين ، والقمران : الشمس والقمر ، ويسمى هذا فى اللغة التغليب .

(٢) جما ثواكم : كثيرة إقامتكم ، وفى هد ، هج بدل المصراع الثانى: « إذ فرقوا هام من أجلاكو حدبا » .

(٣) ترتبا : أمرا ثابتا .

(٤) المفن : ذو الفن ، فلعله يعنى تفنن الجمل فى ضروب السير . الوطب : الإناء يسق فيه اللبن وغيره ، ولعلها « ووطب ودن » ، يوم هم : يوم همة وعزيمة .

فى صِرار[1] ثم تفرقوا ، وكان منهم من لجأ إلى عَفاء[2] من أرض لا ساكن فيه ، فنزلوا به ، ومنهم من لجأ إلى قرية من قُراها ، فكانوا مع أهلها ، فأقامت الأوس والخزرج فى منازلهم التى نزلوها بالمدينة فى جهد وضيق فى المعاش ، ليسوا بأصحاب إبل ولا شاة ؛ لأن المدينة ليست بلاد نَعَم ، وليسوا بأصحاب نخل ولا زرع ، وليس للرجل منهم إلا الأعْذَاقُ[3] اليسيرة ، والمزرعة يستخرجها من أرض موات ، والأموال لليهود ، فلبثت الأوس والخزرج بذلك حينا .

٩٦

١٩

٥

أبو جبيلة يفتك باليهود

ثم إن مالك بن العجلان وفد إلى أبى جُبَيْلة الغسانى وهو يومئذ مَلِك غسان ، فسأله عن قومه وعن منزلهم فأخبره بحالهم ؛ وضيق معاشهم ، فقال له أبو جبيلة : والله ما نزل قوم منا بلدا قط إلا غلبوا أهله عليه ، فما بالكم ؟ ثم أمره بالمضى إلى قومه ، وقال له : أعلمهم أنى سائر إليهم ، فرجع مالك بن العجلان ، فأخبرهم بأمر أبى جُبَيْلة ؛ ثم قال لليهود :

١٠

إن الملكَ يريد زيارتكم فأعِدُّوا نُزُلاً فأعدّوه ، وأقبل أبو جبيلة سائرا من الشام فى جمع كثير ، حتى قدم المدينة ، فنزل بذى حُرُض ، ثم أرسل إلى الأوس والخزرج ، فذكر لهم الذى قدم له ، وأجمع أن يمكر باليهود حتى يقتل رءوسهم وأشرافهم ، وخشى إن لم يمكر بهم أن يتحصّنوا فى آطامهم ، فيمتنعوا منه حتى يطول حصاره إياهم ، فأمر ببنيان حائر[4] واسع ، فبُنِى ، ثم أرسل إلى اليهود : أن أبا جبيلة الملكَ قد أحب أن تأتوه ، فلم يبق وجهٌ من وجوه القوم إلا أتاه ، وجعل الرجل يأتى معه بخاصّته وحشمه رجاء أن يحبُوَهم ، فلما اجتمعوا ببابه أمر رجالا من جنده أن يدخلوا الحائر ، ويدخلوهم

١٥

(١) صرار : موضع على قرب من المدينة .

(٢) عفاء : يباب .

(٣) الأعذاق : جمع عذق – بفتح العين – وهو النخلة بحملها .

(٤) الحائر : المكان المطمئن الوسط المرتفع الحروف يجتمع فيه الماء ، فيتحير ، ولا يخرج .

٢٠

رجلا رجلا ، فلم يزل الحجّاب يأذنون لهم كذلك ، ويتناولهم الجند الذين فى الحائر ، حتى

سارة القريظية ترثى قومها

أتوا على آخرهم . فقالت سارة القريظية ترثى مَنْ قُتل ، منهم أبو جُبيلة ، تقول :

بنفسى أمّةٌ لم تُغْنِ شيئًا بذى حُرُضٍ تعفّيها الرياحُ

كُهولٌ من قُريظة أتلفتْها سيوفُ الخزرجيّة والرّماحُ

رُزِئنا والرزيّة ذات ثِقْلٍ يَمُرُّ لأهلها الماء القَراحُ

ولو أرِبُوا بأمرهمُ لجالت هنالك دونهم جَأْوَا رَداحُ[1]

الرمق يمدح أبا جبيلة

وقال الرّمق[2] ، وهو عبيد بن سالم بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج يمدح أبا جُبيلة الغسانى :

لم يَقْضِ دَيْنَكَ فى الحسا نِ وقد غَنِيتَ وقد غَنِينا[3]

الرّاشقاتِ المرشقا تِ الجازياتِ بما جُزِينا[4]

أمثال غزلانِ الصرا ئمِ يأتزِرن ويرتدينا[5]

(١) أربوا : كانوا من ذوى الأرب — بفتح الهمزة وكسرها مع سكون الراء — بمعنى الفطنة والحلق ، الجأوا : مقصور الجأواء : من أوصاف الكتيبة ، رداح : كثيرة العدد ، وفى بعض المراجع ورد البيت على هذا النحو :

ولو أذنوا بحربهمو لجالت هنالك دونهم حرب رداح

(٢) فى بعض النسخ : « الوسق » وفى آخر : « الربيق » .

(٣) غنيت ، غنين : أقمت وأقمن : من غنى بالمكان أقام به ، أى : لم تنل مرادك من الحسان من غير نأى ولا بعد ، فأنت وهن فى مكان واحد .

(٤) الراشقات : الراميات بسهام العيون ، المرشقات : من أرشق الظبى : مد عنقه .

(٥) الصرائم : جمع صريمة : القطعة من الرمل .

الرَّيْطَ والدِّيباجَ والزَّرْدَ المضاعفَ والبُرِينا[1]
وأبو جُبَيْلة خيرُ من يمشى وأوفاهم يمينا
وأبرُّهم بِرًّا وأعلمُهم بعلم الصالحينا[2]
أبقت لنا الأيامُ والحربُ المهمَّةُ تعترينا
كبشًا لنا ذَكَرًا يفلُّ حسامُه الذكرَ السَّنِينا[3]
ومعاقلا شُمًّا وأسيافا يَقُمْن وينحنينا
ومحلَّة زوراء تُرجف بالرجال المُصلتينا[4]

٩٧
١٩

بقية خبر أبى جبيلة

فلما أنشدوا أبا جُبَيْلة ما قال الرمق، أرسل إليه، فجيء به، وكان رجلا ضئيلا غير وضيء، فلما رآه قال: «عسل طيب ووعاء سوء»، فذهبت مثلا، وقال للأوس والخزرج: إن لم تغلبوا على هذه البلاد بعد من قتلت من أشراف أهلها فلا خير فيكم، ثم رحل إلى الشام.

وقال الصامت بن أصرم النَّوْفليّ يذكر قَتْل أبى جبيلة اليهود:

سائل قُرَيظةَ مَن يقسِّم سَبْيَها يوم العُرَيْض ومن أفاء المغنما؟
جاءتهمُ الملحاءُ يخفق ظلُّها وكتيبةٌ خشناءُ تدعو أسلما[5]
عمِّى الذى جلب الصِّمامَ لقومه حتى أحلّ على اليهود الصَّيْلمَا[6]

(١) الريط: مفعول يرتدين فى البيت السابق، وهى الثياب اللينة الرقيقة، وفى هد، هج. «الحمل» بدل «الزرد» وهو أنسب، والحمل: القطيفة ونحوها. والبرين، جمع برة: الحلقة من سوار أو خلخال أو حلق ونحو ذلك.

(٢) فى هد، هج: «بفعل الصالحينا».

(٣) الكبش: سيد القوم المدافع عنهم، الذكر السنين: السيف المسنون، وفى ب: «الثمين» بدل «السنين» وهو تحريف.

(٤) زوراء: بعيدة، يريد بعيدة المنال، المصلتين: المجردين سيوفهم.

(٥) الملحاء: الكتيبة العظيمة، الخشناء: كثيرة السلاح.

(٦) الصمام: الداهية الشديدة، أو اسم من أسماء السيف، وفى ب: «عمى» بدل «عمى» وهو تحريف.

مالك بن العجلان يقتفى أثر أبى جبيلة

يعنى بقوله: «مَن يقسِّم سبيَها» نسوةً سباهنّ أبو جُبَيْلة من بنى قريظة، وكان رآهن فأعجبنه، وأعطى مالك بن العجلان منهن امرأة.

قال أبو المنهال أحدُ بنى المعلَّى: إنهم أقاموا زمنا بعد ما صنع، ويهود تعترض عليهم، وتُناوِشهم، فقال مالك بن العجلان لقومه: والله ما أثخنّا يهودَ غلبةً كما نريد، فهل لكم أن أصنع لكم طعاما، ثم أرسل فى مائة من أشراف من بقى من اليهود، فإذا جاءونى فاقتلوهم جميعاً، فقالوا: نفعل، فلما جاءهم رسول مالك قالوا: والله لا نأتيهم أبداً، وقد قَتَلَ أبو جُبَيْلة منا مَنْ قتل، فقال لهم مالك: إن ذلك كان على غير هوًى منا، وإنما أردنا أن نمحوه، وتعلموا حالَكم عندنا، فأجابوه، فجعل كلما دخل عليه رجل منهم أمر به مالك فقُتِل، حتى قَتَلَ منهم بضعة وثمانين رجلا، ثم إن رجلا منهم أقبل حتى قام على باب مالك، فتسمّع فلم يسمع صوتا فقال: أرى أسرعَ وِرْدٍ وأبعدَ صَدَرٍ[1]، فرجع وحَذَّر أصحابه الذين بقُوا، فلم يأتِ منهم أحدٌ، فقال رجل من اليهود لمالك بن العجلان:

فَسَفَّهْتَ قَيْلَةَ أحلامها ففيمَن بقيتَ وفيمن تَسودْ؟[2]

فقال مالك:

فإنى امرؤ من بنى سالم بن عَوْفٍ وأنت امرؤٌ من يهودْ

قال: وصَوّرت اليهود مالكا فى بِيَعِهم وكنائسهم، فكانوا يلعنونه كلما دخلوها، فقال مالك بن العجلان فى ذلك قوله:

تَحامِى اليهودِ بتَلْعانها تَحامِى الحميرِ بأبوالها[3]

(١) يريد إن دخل لا يرجع.

(٢) قيلة: أم الأوس والخزرج، أحلامها: بدل من قيلة، وفى ب بدل المصراع الأول «فسقيت قيلة أخلافها» وهو تحريف.

(٣) تحامى: مصدر تحامى، يريد أنهم يطلبون الحماية بلعنه فى الكنائس كما تحمى الحمير نفسها ببولها، وفى ب «تحانى» — بالنون — وهو تحريف.

فماذا عليَّ بأن يلعنوا وتأتى المنايا بأذلالها[١]

اليهود يذلون لله رب

قال : فلما قَتَل مالكٌ من يهود مَنْ قَتل ذلّوا ؛ وقلّ امتناعُهم؛ وخافوا خوفا شديدا ؛ وجعلوا كلما هاجهم أحدٌ من الأوس والخزرج بشىء يكرهونه لم يمش بعضهم إلى بعض ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، ولكن يذهب اليهودىّ إلى جيرانه الذين هو بين أظهرهم ٥ فيقول: إنما نحن جيرانكم ومواليكم ، فكان كل قوم من يهود قد لجئوا إلى بطن من الأوس والخزرج ، يتعززون بهم .

يهودية تعتنق الإسلام

وذكر أبو عمرو الشيبانى أن أوسَ بنَ دَنِّى القرظى كانت له امرأة من بنى قريظة أسلمت وفارقته ، ثم نازعتها نفسها إليه ، فأتته ، وجعلت ترغبه فى الإسلام ، فقال فيها :

دَعتْنِى إلى الإسلام يومَ لقيتُها فقلت لها : لا بل تعالَىْ تهوَّدِى

١٠ فنحن على توراة موسى ودينه ونِعم لعمرى الدينُ دِينُ محمد

٩٨
١٩

كلانا يرى أن الرّسالةَ دينهُ ومن يُهْدَ أبوابَ المراشد يَرْشُدِ[٢]

ومن الأغانى فى أشعار اليهود :

(١) أذلال : جمع ذل - بفتح الذال - بمعنى الطريق الممهد ، أى وماذا يضيرنى من لعنهم ، والمنايا تسير فى طرقها إليهم ؟ (أو سبهم سبا وراحوا بالإبل) .

١٥ (٢) فى هد ، هج : « الرشادة » بدل « الرسالة » .

صوت

أعاذلتى ألَا لَا تَعذِلينى ... فكم من أمرِ عاذلةٍ عَصَيْتُ

دَعينى وارشُدى إن كنتُ أغْوَى ... ولا تغوَىْ زعمتِ كما غوَيتُ

أعاذلَ قد أطلتِ اللّومَ حتّى ... لوَ آنّى مُنْتَهٍ لقد انتهيتُ

وحتى لو يكونُ فتَى أناسٍ ... بكى من عَذل عاذلةٍ بكيتُ ٥

وصفراء المعاصِم قد دعتنى ... إلى وصلٍ فقلتُ لها : أبيتُ

وزِقٌّ قد جررتُ إلى النّدامى ... وزِقٌّ قد شَرِبتُ وقد سَقيتُ

الشعر للسموءل بن عاديا — فيما رواه السكرى عن الطوسىّ — ورواه أبو خليفة عن محمد بن سلام ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسبّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق فى الأول والثانى والرابع والخامس من الأبيات ؛ وزعم ابن المكى أنه لمعبد ، وزعم عمرو ١٠ ابن بانة أنه لمالك ، ولِدَحْمان أيضا فى الأول والثانى والخامس والسادس رمل بالوسطى وزعم ابن المكى أن هذا الرمل لابن سريج ، وفى الأول والثانى والسادس رمل بالوسطى، لأبى عبيد مولى فائِد ثانى ثقيل عن يحيى المكى ، وزعم الهشامى أن الرمل لعبد العزيز الدفاف .

أخبار السموءل ونسبه

هو السموءل بن عُرَيض بن عاديا، بن حباء[1]، ذكر ذلك أبو خليفة عن محمد ابن سلام والسكرى عن الطوسى وابن حبيب، وذكر أن الناس يُدرِجون عُرَيضا فى النسب، وينسبونه إلى عاديا جده، وقال عمر بن شبة: هو السموءل بن عاديا، ولم يذكر عريضا.

وحكى عبد الله بن أبى سعد عن دارم بن عقال — وهو من ولد السموءل — أن عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء، وهذا عندى محال؛ لأن الأعشى أدرك شريح بن السموءل وأدرك الإسلام، وعمرو مزيقيا قديم، لا يجوز أن يكون بينه وبين السموءل ثلاثة آباء ولا عشرة بل أكثر، والله أعلم.

من مفاخر السموءل

وقد قيل: إن أمه كانت من غسان، وكلهم قالوا: إنه كان صاحب الحصن المعروف بالأبلق بتيماء المشهور بالوفاء، وقيل: بل هو من ولد الكاهن بن هارون ابن عمران، وكان هذا الحصن لجده عاديا، واحتفر فيه بئراً رَوِية عذبة، وقد ذكرته الشعراء فى أشعارها، قال السموءل:

فبالأبلقِ الفَردِ بيتى به ... وبيتُ النضير سوى الأبلقِ

وقال السموءل يذكر بناء جدّه الحصن:

بنى لى عاديًا حِصناً حصيناً ... وماء كلما شئتُ استقيتُ

وكانت العربُ تنزل به، فيضيفها، وتمتارُ من حصنه، وتقيم هناك سوقا.

(١) فى هد: «عاديا بن حيا»، وفى هج: «عاديا بن حيرا».

وبه يُضرب المثل فى الوفاء لإسلامه ابنه حتى قُتِل ، ولم يخن أمانته فى أدْرَاع أودِعَها .

امرؤ القيس يقصده ٩٩ ١٩

وكان السبب فى ذلك — فيما ذكر لنا محمد بن السائب الكلبى — أن امرأ القيس ابنَ حُجْر لمّا سار إلى الشام يريد قيصر نزل على السموءل بن عاديا بحصنه الأبلق بعد إيقاعه ببنى كنانة على أنهم بنو أسد وكراهةِ أصحابه لفعله ، وتفرقهم عنه ، حتى بقى ٥ وحده ، واحتاج إلى الهرب ، فطلبه المنذر بن ماء السماء ، ووجه فى طلبه جيوشا من إياد وبهراء وتنوخ وجيشا من الأساورة أمده بهم أنوشروان ، وخذلته حِمْيَر ، وتفرقُوا عنه : فلجأ[1] إلى السموءل ومعه أدراع كانت لأبيه خمسة : الفضفاضة ، والضافية ، والمحصنة والخريق ، وأم الذيول ، وكانت الملوك من بنى آكل المرار يتوارثونها ملك عن ملك[2] ، ومعه بنته هند ، وابن عمه يزيد بن الحارث بن معاوية بن الحارث ، وسلاح ١٠ ومال كان بقى معه ، ورجل من بنى فزارة يقال له : الربيعُ بن ضَبُع شاعر ، فقال له الفزارىّ : قل فى السموءل شعراً تمدحه به ، فإن الشعر يعجبه ، وأنشده الربيع شعرًا مدحه به وهو قوله :

ولقد أتيتُ بنى المصاصِ مُفاخراً وإلى السموءل زرتهُ بالأبلقِ[3]
فأتيتُ أفضلَ مَن تحمَّل حاجةً إنْ جئتَه فى غارمٍ أو مُرهَقِ[4] ١٥
عَرَفَتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ وحوى المكارمَ سابقًا لم يُسْبَقِ

(١) فلجأ ... الخ : تكرار لجملة « نزل على السموءل » التى تقدمت ، وذلك لطول الفصل .
(٢) فى بعض النسخ : « يتوارثونها ملكا عن ملك » بالنصب على الحالية ، لا بالرفع على البدلية ، كما فى ب ، وكلاهما صحيح .
(٣) المختار ، هد ، هج « بنى المضاض » بالضاد المعجمة ، لا بالصاد المهملة ، كما فى ب ، ٢٠ وفى بعض النسخ : « جئته » بدل « زرته » .
(٤) فى المختار : « فى موثق أو مرهق » .

قال : فقال امرؤ القيس فيه قصيدته :

طرقتك هند بعد طول تجنب وهنًا ولم تك قبل ذلك تطرق

قال : وقال الفزارى : إن السموءل يمنع منك حتى يرى ذات عينك ، وهو في حصن حصين ومال كثير ، فقدم به على السموءل ، وعرفه إياه ، وأنشداه الشعر ، فعرف لهما حقهما ، وضرب على هند قبة من أدم ، وأنزل القوم في مجلس له براح ، فكانت عنده ما شاء الله[1] .

امرؤ القيس يودعه ودائعه ويرحل

ثم إن امرأ القيس سأله أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى أن يوصله إلى قيصر، ففعل، واستصحب معه رجلا يدله على الطريق ، وأودع بنيه[2] وماله وأدراعه السموءل ، ورحل إلى الشام ، وخلف ابن عمه يزيد بن الحارث مع ابنته هند ، قال : ونزل الحارث بن ظالم فى بعض غاراته بالأبلق ؛ ويقال: بل الحارث بن أبى شمر الغسانى ؛ ويقال، بل كان المنذر وجه بالحارث بن ظالم فى خيل ، وأمره بأخذ مال امرىء القيس من السموءل . فلما نزل به تحصن منه ، وكان له ابن قد يفع وخرج إلى قنص له ، فلما رجع أخذه الحارث بن ظالم ، ثم قال للسموءل : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، هذا ابنى ، قال : أفتسلم ما قبلك أم أقتله ؟ قال : شأنك به ، فلست أخفر ذمتى ، ولا أسلم مال جارى ، فضرب الحارث وسط الغلام ، فقطعه قطعتين ، وانصرف عنه ؛ فقال السموءل فى ذلك :

يضحي بابنه في سبيل الوفاء بعهده

وفيت بأدرع الكندى إنى إذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يومًا بألا تهدم يا سموءل ما بنيت
بنى لى عاديا حصنًا حصينًا وماء كلما شئت استقيت

(١) فى هد : « فأقاما عنده ما شاء الله » .
(٢) فى هد : « وأودع أمته » ، وفى هج : « وأودع ابنته » .

الأعشى يستجير بابنه شريح

وقال الأعشى يمدح السموءل ويستجير بابنه شريح(١) بن السموءل من رجل كلبى كان الأعشى هجاه، ثم ظفر به ، فأسره ، وهو لا يعرفه ، فنزل بشريح بن السموءل ، وأحسن ضيافته ، ومرّ بالأَسْرَى ، فناداه الأعشى :

شُرَيحُ لا تُسْلِمَنِّى اليومَ إذا علِقتْ … حبالَك اليوم بعد القيد أظفارى(٢)

قد سرتُ ما بين بلقاءٍ إلى عدنٍ … وطال فى العُجم تَكرارى وتَسيارى(٣)

فكان أكرمَهم عهداً وأوثقَهم … عَقْداً أبوك بعُرفٍ غير إنكارِ

كالغيث ما استمطروه جاد وابلُه … وفى الشدائد كالمستأسِد الضارى

كُنْ كالسموءل إذ طاف الهمامُ به … فى جحفلٍ كسواد الليل جرّار(٤)

إذ سامه خُطَّتَىْ خسفٍ فقال له : … قل ما تشاء فإنى سامعٌ حارِ(٥)

فقال : غدرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما … فاختر ، ومافيهما حظٌّ لمختارِ

فشكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له : … اقتُل أسيرَك إنّى مانعٌ جارى

وسوف يُعْقِبُنيه إن ظفِرتَ به … ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهار(٦)

لا سِرُّهُنّ لدينا ذاهبٌ هدراً … وحافظاتٌ إذا استُودِعْن أسرارِى(٧)

فاختار أدْراعَه كَيْلا يُسَبَّ بها … ولم يكن وعدُه فيها بختّار(٨)

(١) فى هد ، هج : « شويح » بدل « شريح » .

(٢) فى هد ، هج ، المختار : « بعد القد » بدل « بعد القيد » والمعنى واحد .

(٣) المختار ، هد ، هج « بانقيا » بدل « بلقاء » .

(٤) يقصد بالهمام الحارث بن ظالم الذى تقدم ذكره ، أو المنذر الذى أرسله ، وفى هد : « فى عسكر » بدل « فى جحفل » وفى هج والمختار « كهزيع الليل » بدل «كسواد الليل» .

(٥) حار : ترخيم حارث .

(٦) يعنى « بيض ذات أطهار » زوجاته .

(٧) كان القياس أن تتكرر « لا » .

(٨) ختار : غدار .

فجاء شريح إلى الكلبي فقال له : هب لي هذا الأسيرَ المضرور فقال : هو لك ، فأطلقه ، وقال له : أقم عندي ، حتى أكرمك ، وأحبُوَك ، فقال له الأعشى : إن تمام إحسانك إليّ أن تعطيَني ناقة ناجية(1) ، وتُخلّيني الساعة ، فأعطاه ناقة ناجية ، فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أن الذي وهب لشريح هو الأعشى، فأرسل إلى شريح ، ابعث إليّ الأسيرَ الذي وهبتُ لك حتى أحبُوَه ، وأعطيَه ، فقال : قد مضى ، فأرسل الكلبيُّ في أثره ، فلم يلحقه .

(1) ناجية : سريعة ، وإنما بادر الأعشى بالهرب خشية أن يعرف الكلبي هويته فيسترده .

سعية بن عريض

سَعْيةُ[1] بن عُرَيض بن عاديا أخو السموءل شاعر ، فمن شعره الذى يُغَنَّى فيه قوله :

صوت

يادارَ سُعْدَى بمَقْصَى تلعةِ النَّعَم حُيِّيتِ دارًا على الإقواء والقِدَم[2]
عُجْنا فما كلَّمتنا الدارُ إذ سُئِلت وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صمم
وما بجزعك إلا الوحش ساكنة وهامدٌ من رماد القدر الحُمَم[3]

الشعر لسَعْيَةَ بن عُرَيض ، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيل عن الهشامى ، وله فيه خفيف ثقيل عن الهشامى ، ويقال : إنه لمالك ، وفيه لابن جُؤذرةَ رمل عن الهشامى .

وسَعْية بن عُرَيض القائل ، وفيه غناء :

صوت

لُبابُ هلْ عندكِ من نائلِ لعاشقٍ ذى حاجةٍ سائلِ
عَلَّلتِه منكِ بما لم يَنَلْ يا ربَّما عَلَّلتِ بالباطلِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالسبابة فى مجرى الوسطى ، عن إسحاق ، وفيه لابن الهربذ

(١) فى هد، هج : «سعيد» بدل «سعيه» وفى ب : سعية بن غريض وله ترجمة فى الجزء ٣/١٢٩ ط الدار.

(٢) مقصى : اسم مكان من قصا : بمعنى بعد ، وهذه هى رواية هد ، وفى ب : بمنضى « وهو تحريف » .

(٣) الجزع : منعطف الوادى ، أو وسطه ، ورواية « بجزعك » رواية هد ، هج ، و ب والحمم : الفحم والرماد ، وكل ما تخلف مما أحرقته النار .

خفيف ، رمل بالوسطى عن عمرو ، وفيه لمتيّم رمل آخر من جامعها ، وفيه لحن ليونس غير مجنس ، وأول هذه القصيدة :

لُبابُ يا أختَ بنى مالكٍ · لا تشترى العاجلَ بالآجلِ
لُبابُ داوينى ولا تقتُلى · قد فُضِّل الشافى على القاتل[1]
إن تسألى بى فاسألى خابراً · والعلمُ قد يكفى لدى السائل
يُنْبِيكِ من كان بنا عالماً · عنَّا وما العالِمُ كالجاهلِ
أنَّا إذا حارت دواعى الهوى · وأنصتَ السامع للقائل
واعتلج القومُ بألبابهم · فى المنطق الفاصل والنائل[2]
لا نجعلُ الباطلَ حقًّا ولا · نَلُظُّ دون الحق بالباطل[3]
نخاف أن تَسْفَهَ أحلامُنا · فَنُخْمِلَ الدهرَ مع الخامل

١٠١
١٩

أخبرنى محمد بن خلف وكيع[4] ، قال : حدثنى أحمد بن الهيثم الفراسى : قال : حدثنى العمرى ، عن العتبى ، قال :

معاوية يتمثل بشعره

كان معاوية يتمثل كثيراً إذا اجتمع الناس فى مجلسه بهذا الشعر :

إنا إذا مالت دواعى الهوى · وأنصت السامع للقائل
لا نجعل الباطلَ حقًّا ولا · نَلُظُّ دون الحق بالباطل
نخاف أن تَسْفَهَ أحلامُنا · فَنُخْمِلَ الدهرَ مع الخامل

(١) فى المختار : « قد فضل الساق ... »
(٢) فى المختار : « نقضى بحكم عادل فاصل » بدل : « فى المنطق الفاصل والنائل » ، وفى هد ، هج : « فى المنطق النائل والفاصل » .
(٣) لظ بالشىء وألظ به : تمسك به ، ولزمه . وفى المختار : « نلط »
(٤) فى هد : محمد بن خلف بن المرزبان .

عبد الملك بن مروان يسمع شعره قبل القضاء

أخبرنى الحرمىُّ بن أبى العلاء : قال : حدثنا الزبير بن بكار : قال : أخبرنى عبد الملك بن عبد العزيز قال :

أخبرنى خالى يوسف بن الماجشون ، قال :

كان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفا على رأسه ينشده :

إنا إذا مالت دواعى الهوى ... وأنصت السّامعُ للقائل

واصْطرعَ القومُ بألبابهم ... نقضى بحُكمٍ عادل فاصل

لا نجعلُ الباطل حقًّا ولا ... نُلِظ دون الحق بالباطل

نخاف أن تسفَهَ أحلامُنا ... فنُخْمِلَ الدّهرَ مع الخامل

ثم يجتهد عبد الملك فى الحق بين الخصمين

أصحابه يميلون مع الريح

أخبرنى وكيع والحسن بن على قالا : حدثنا أبو قلابة : قال : حدثنا الأصمعى ، عن أبى الزناد ، عن أبيه ، عن رجال من الأنصار :

أنّ سَعْيَةَ بن عُريض أخا السموءل بن عاديا كان ينادم قوما من الأوس والخزرج ، ويأتونه ، فيقيمون عنده ، ويزورونه فى أوقات قد ألفوا زيارتهم فيها ، فأغار عليه بعض ملوك اليمن ، فانتسف[1] من ماله حتى افتقر ، ولم يبق له مالٌ ، فانقطع عنه إخوانُه ، وجَفَوه ، فلما أخصب ، وعادت حاله ، وتراجعت ، راجعوه ، فقال فى ذلك :

أرى الخُلّان لما قلّ مالى ... وأجحفت النوائبُ وَدّعونى

فلما أن غَنِيتُ وعاد مالى ... أراهم لا أبالك راجعونى

(١) انتسف ماله : من نسف الشىء : اقتلعه من أصله .

وكان القوم خلاّنا لمالى وإخوانا لما خوّلتُ دونى
فلما مَرّ ما لى با عدونى ولما عاد ما لى عاودونى[١]

[٢]ومن أشعار اليهود ويُغنّى به[٢] :

صوت

هل تعرف الدار خفّ ساكنُها بالحِجْر فالمستوى إلى ثمد[٣]
دار لبهانةٍ خدَلّجةٍ تضحك عن مثل جامد البرَد[٤]
نِعْمَ ضجيعُ الفتى إذا برد الليلُ وغارت كواكبُ الأسدِ
يا مَن لقلبٍ متيّم سَدِمٍ عانٍ رهينٍ أحيها بالمُقد[٥]
أزجرهُ وهْو غيرُ مُزدجرٍ عنها وطرفى مقارنُ السُّهُد
تمشى الهوينا إذا مشت فُضُلاً مشى النزيف المبهور فى صَعَد[٦]
تظل من زَوْرِ بيت جارتها واضعةً كفها على الكبِد[٧]

(١) فى هد ، هج : « فلما شذ » بدل « فلما مر » .
(٢–٢) التكملة من هج .
(٣) فى هد ، هج : « إلى السند » .
(٤) الهنانة : الطيبة النفس والريح ، والضحوك المشرقة الروح ، الخدلجة : الممتلئة الساقين والعضدين .
(٥) سدم : يقال : عاشق سدم : شديد العشق .
(٦) فضل : مختالة فى مشيتها ، تفضل من ذيل ردائها ، النزيف : المنتشى من السكر ونحوه ، المبهور : من انقطع نفسه من الإعياء ، فى صعد : فى علو وارتفاع ، لأن مشية الصاعد أشق من مشية المنحدر ، إذ الأول ضد جاذبية الأرض بخلاف الثانى .
(٧) كنى بوضع اليد على الكبد عن الخوف من الرقباء ونحوهم .

الشعر لأبى الزّناد[1] اليهودى المديمى[2] ، والغناء لابن مسجح ثقيل أول بالوسطى فى الثلاثة الأبيات الأول ، عن الهشامى ويحيى المكى ، وفيها لمعبد خفيف ثقيل أول عن الهشامى ، وقال : أظنه منحول يحيى بن المكى ، وقد نسب قوم هذا اللحن المنسوب إلى معبد إلى ابن مسجح ، ولابن محرز فى « يا من لقلب » .

وما بعده خفيف ثقيل مطلق فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو أن فيها لحنا لمعبد لم يذكر طريقته ، وذكر ذلك فى كتاب عمله الواثق قديما غير مجنس ، وهذا الشعر يقوله أبو الزناد فى أهل تيماء يرثيهم ، وذكر ذلك عمر بن شبة :

[3]ومن الغناء فى أشعار اليهود من قُريظة والنّضير[3]:

(١) ف هج : « لأبى الذيال » .
(٢) فى هد : « القرظى » .
(٣–٣) التكملة من هد .

صوت

دورٌ عفَوْنَ بقُرَى الخابور غيَّرَهَا   بعدَ الأنيسِ سَوَافِي الرِّيح والمطرُ
إن تُمْسِ دارُكَ مِمَّنْ كان ساكنَها   وحشًا فذَلِكَ صَرفُ الدهر والغِيَرُ[1]
وقد تحُلُّ بها بِيضٌ ترائبُها   كأنها بين كُثْبَانِ النقَا البقرُ[2]

الشعر للربيع بن أبى الحُقَيق ، روى ذلك السكرى ، عن الطوسى ، وعن محمد ابن حبيب ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو ، وهو صوت مشهور ابتداؤه نشيد .

(١) فى هد ، هج « ممن كان يسكنها » .
(٢) فى بعض النسخ بدل المصراع الأول « حلت بها كل مبيض ترائبها » والترائب : عظام الصدر مما يلى الترقوتين ، أو موضع القلادة ، مفردها تريبة .

أخبار الربيع بن أبى الحقيق(١)

الربيع رئيس لبنى قريظة

كان الربيع من شعراء اليهود من بنى قريظة ، وهم وبنو النضير جميعا من ولد هارون بن عمران ، يقال لهما : الكاهنان ، وكان الربيعُ أحدَ الرؤساء فى يوم حرب بُعاثَ ، وكان حليفاً للخزرج هو وقومه ، فكانت رياسة بنى قريظة للربيع ، ورياسة الخزرج لعمرو بن النُّعمان البياضِىِّ ، وكان رئيسَ بنى النضير يومئذ سلامُ بن مِشْكَم . ٥

التقى بالنابغة الذبيانى

أخبرنى عمى ومحمد بن حبيب بن نصر المهلّبىّ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال : حدثنى محمد بن الحسن الأنصارىُّ ، قال : حدثنى الحسن بن موسى ؛ مولى بنى مازن ابن النجار عن أبى عبيدة قال :

أقبل النابغة الذبيانى يريد سُوقَ بنى قَيْنُقاعَ ، فلحقه الربيع بن أبى الحقيق نازلا من أُطُمِه ، فلما أشرفا على السوق سمعا الضَّجّة ، وكانت سوقا عظيمة ، فحاصت(٢) بالنابغة ناقته ، فأنشأ يقول : ١٠

* كادت تُهَال(٣) من الأصوات راحلتى *

ثم قال للربيع بن أبى الحقيق : أجِز يا ربيع ، فقال :

* والنَّفْرُ منها إذا ما أوجَسَتْ خُلُق *

فقال النابغة : ما رأيتُ كاليوم شِعرًا ، ثم قال : ١٥

* لولا أُنَهْنِهُها(٤) بالسّوط لاجتَذَبَتْ *

(١) خلت طبعة بولاق من هذه الترجمة ، ولكنها جاءت هنا فى النسخ : هج ، هد ، مج ، مه وكذا فى الجزء الواحد والعشرين من طبعة ليدن .
(٢) حاصت ناقته : نفرت ، وحادت .
(٣) تهال : يعتريها الهول . ٢٠
(٤) أنهنهها : أزجرها .

أَجِز يا ربيع ، فقال :

* منِّى الزمامَ وإنِّى راكبٌ لَبِق *

فقال النابغة :

* قد مَلَّتِ الحبسَ فى الآطام واشتَوَقت(1) *

٥ أَجِز يا ربيع ، فقال :

* إلى مناهِلها لو أنَّها طُلُق *

فقال النابغة : أنت يا ربيع أشعر الناس .

أبان بن عثمان يتمثل بأبياته

حدثنا أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهرى ، ومحمد بن العباس اليزيدى ، قالا : حدثنا عمرُ ابنُ شَبَّة قال : حدثنى الحِزامِىُّ قال : حدثنى سعيد بن محمد الزُّبيرىّ ، قال : حدثنا

١٠ ابن أبى الزناد ، عن أبيه قال :

قَلَّ ما جلستُ إلى أبانَ بن عثمان إلا سمعتُه يتمثل بأبيات ابن أبى الحُقَيق .

سيُنبيكُ وأُنبيكُ رهنَ الفِرا شِ منْ جُرْمِ قومى ومن مَغْرَمِ(2)

ومن سَفَهِ الرّأيِ بعد النُّهى وغَيْبِ الرشادِ ، ولم يُفْهَمِ

فلوْ أنَّ قومِى أطاعوا الحلا مَ لم يتعدَّوْا ولم يُظْلَمِ

١٥ ولكنَّ قومِى أطاعُوا الغُوَا ةَ حتى تَعكَّسَ أهلُ الدمِ(3)

(1) اشتوقت : لعل المراد بهذا الفعل أنها طالبت من يرعاها بمنازلها ، وفى نسخة : واشتعفت بالشين .

(2) فى بعض النسخ : « مغرمى » بالاضافة إلى ياء المتكلم .

(3) تعكس أهل الدم : ضنوا .

وروى البيتان فى المختار هكذا :

ولكن قومى أطاعوا الغوا ة وانتشر الأمر لم يبرم

٢٠ فأودى السفيه برأى الحليم حتى تحكم أهل الدم

فأودى السَّفِيهُ برأى الحليـ ـم وانْتَشَرَ الأمرُ لم يُبْرَم

يعاتب قوما من الأنصار

أخبرنى هاشم بن محمد الخزاعى ، قال : حدثنا مُعاذ[1] ، عن أبى عبيدة قال ، قال الربيع بن أبى الحقيق يعاتب قوما من الأنصار فى شىء بلغهم وبينه :

رأيتُ بنى العنقاء زَالُوا ومُلْكُهمْ وآبُوا بأنْفٍ فى العشيرة مُرْغَم[2]

فإن يَقْتُلُوا نَندمْ لذاك وإن يَقُوا فلا بدَّ يوماً من عُقُوقٍ ومأثَم[3] ٥

وإنّا فُوَيقَ الرأس شؤبوبُ مُزْنَةٍ لها بَرَدٌ ما يغْشَ م الأرضِ يَحْطِم[4]

(١) فى هد ، هج : « دماذ » .

(٢) فى هج : « بنى النجار » بدل « بنى العنقاء » وفى هد ، هج : « زالوا ومالهم » بدل « زالوا وملكهم » وقد جرى البيت على غير الأفصح حيث عطف على ضمير الرفع المتصل بدون فاصل ، يقول ابن مالك : ١٠

وإن على ضمير رفع متصل عطفت فافصل بالضمير المنفصل

أو فاصل ما وبلا فصل يرد فى النثر والنظم وضعفه اعتقد

(٣) يريد أنهم حلفاء ، إن أصابهم أذى عز علينا ، وإن ساءوا بغوا علينا .

(٤) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، يقول : نحن لهم كالمزن المصحوب بالبرد الذى يحطم الأرض ، يعنى أننا نفاعون ضراارون ، وفى هد ، هج : « ما يغش فى الأرض » « ما يفش م الأرض » ، ١٥ « وأصابها من الأرض » .

صوت

وإذا ما بئرٌ رَوَاءٌ جَمّةٌ ... مَن يردْها بإناءٍ يغترفْ[1]

١٠٦
١٩

تُدْلِجُ الجونُ على أكنافها ... بدِلاءٍ ذاتِ أمراسٍ صُدُفْ[2]

كلَّ حاجاتيَ قد قضّيتها ... غيرُ حاجاتيَ من بطن الجُرُفْ[3]

٥ الشعر لكعب بن الأشرف اليهوديّ، والغناء لمالك ثقيل أول عن يحيى المكي، قال: وفيه لابن عائشة خفيف ثقيل، ولمعبد ثاني ثقيل قال يحيى[4] في كتابه: وقد خلط الرواة في ألحانهم، ونسبوا لحنَ كلٍّ واحد منهم إلى صاحبه، وذكر الهشامي أن فيه لابن جامع خفيفَ رمل بالبنصر، وفيه لجُنْدُب لحن من كتاب إبراهيم غير مجنس.

(١) الرواء: الماء العذب، أو الكثير الذي يرتوى منه.

١٠ (٢) تدلج: تسير ليلا، الجون: الإبل السوداء، أكنافها: جوانبها ونواحيها، أمراس: حبال، صدف: جمع صدوف، وهي المرأة تعرض لك وجهها ثم تصدف عنك: شبه بها حبال البئر، لأنها لا تزال تظهر وتختفي عند ملء الدلاء.

(٣) بطن الجرف: موضع قرب المدينة، ولعل الشاعر كانت له ضيعة في هذا الموضع.

(٤) في هج: «قال معبد».

أخبار كعب ونسبه ومقتله

اسمه ونسبه

كعب بنُ الأشرف مُختلَفٌ فى نسبه ، فزعم ابن حبيب أنه من طيّئ ، وأمه من بنى النَّضير ، وأن أباه توفى وهو صغير ، فحملته أمه إلى أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد ، وكبر أمره ، وقيل : بل هو من بنى النَّضير .

وكان شاعراً فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره فى الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، تُذكر فى مواضعها إن شاء الله تعالى — وهو شاعر من شعراء اليهود فَحْل فصيح ، وكان عدوا للنبى صلى الله عليه وسلم يهجوه ، ويهجو أصحابَه ، ويُخَذِّل منه العربَ ، فبعث النبى صلى الله عليه وسلم نفراً من أصحابه ، فقتلوه فى داره .

ذكر خبره فى ذلك

كان كعب بن الأشرف يهجو النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، ويُحرِّض عليه كُفّارَ قريش فى شعره ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة ، وهى أخلاط ، منهم المسلمون الذين تجمعهم دعوةُ النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنهم المشركون الذين يعبدون الأوثان ، ومنهم اليهود ، وهم أهل الحلقة[1] والحصون ، وهم حلفاء الحيين الأوس والخزرج ، فأراد النبى صلى الله عليه وسلم — إذ قدم — استصلاحهم كلِّهم ، وكان الرجل يكون مسلماً وأبوه مشرك ، ويكون مسلماً وأخوه مشرك ، وكان المشركون واليهود حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم يؤذونه وأصحابَه أشدّ الأذى ، فأمر الله نبيه والمسلمين بالصّبر على ذلك والعفو عنهم ، وأنزل فى شأنهم : ﴿ ولَتَسْمَعُنَّ من الذين أُوتُوا الكتابَ من قبلِكم[2] ﴾ الآية . وأنزل فيهم : ﴿ وَدَّ كثير من أهل الكتاب لو يردُّونكم من بعد إيمانكم[3] ﴾

(١) الحلقة : يراد بها حلقة القوم ، أو حلقة البئر .
(٢) سورة آل عمران الآية ١٨٦ .
(٣) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

إلى قوله : ﴿ واصفحوا ﴾ فلما أبى كعبُ بنُ الأشرف أن ينزع عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمر النبي صلى الله عليه وسلم سعدَ بن معاذ أن يبعث إليه رهطا ، فيقتلوه ، فبعث إليه محمد بن مسلمة وأبا عبس بنَ جُبير ، والحارث بن أخي سعد ، في خمسة رهط ، فأتوه عشيَّة ، وهو في مجلس قومه بالعوالي ، فلما رآهم كعب أنكر شأنهم ، وكان يُذْعَر منهم ، فقال لهم : ما جاء بكم ؟ فقالوا : جئنا لنبيعك أدراعا نستنفق أثمانها ، فقال : والله لئن فعلتم ذلك لقد جُهِدتم[1] مُذْ نزل بكم هذا الرجل ، ثم واعدهم أن يأتوه عشاءً حين تهدأ أعينُ الناس ، فجاءوا ، فناداه رجل منهم ، فقام ليخرج ، فقالت امرأته : ما طرقوك ساعتهم هذه بشيء مما تحب ، فقال : بلى إنهم قد حدّثوني حديثهم ، وخرج إليهم ، فاعتنقه أبو عبس ، وضربه محمد بنُ مَسلمة بالسيف في خاصرته ، وانحنوا عليه ، حتى قتلوه ، فرُعِبَت اليهود ومَنْ كان معهم من المشركين ، وغدوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : قد طُرِق[2] صاحبنا الليلة ، وهو سيِّد من سادتنا ، فقتل ، فذكر لهم صلى الله عليه وسلم ما كان يُؤذَى به في أشعاره ، ودعاهم إلى أن يكتب بينهم وبين المسلمين كتابا ، فكُتِبت الصحيفةُ بذلك في دار الحارث ، وكانت بعد النبي صلى الله عليه وسلم عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3] .

(١) جهدتم : افتقرتم ، وساءت حالكم ، ويقصد بالرجل محمدا صلى الله عليه وسلم .
(٢) طرق : أتى ليلا .
(٣) الخبر المتقدم ساقط من جميع النسخ التي بأيدينا ، وهو منقول من ب .

صوت

هل بالديار التى بالقاع من أحدٍ باقٍ فيَسمَعَ صَوتَ المُدْلج السارى

تلك المنازُل من صفراء ليس بها نارٌ تضىء ولا أصوات سُمَّار

ويروى: « ليس بها حىٌّ يُجيب ».

الشعر لابن عبس الجرمى، والغناء لأحمدَ بن المكىّ ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى،

وقال عمرو بن بانة: فيه ثانى ثقيل بالبنصر، يقال: إنه لابن محرز، وقال الهشامى: فيه

لحباب بن إبراهيم خفيف ثقيل، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحب الوضوء

* ارفع ضعيفك لا يَحُرْ بك ضعفُهُ *(1)

(١) لا يحر بك ضعفه: لا يرجع بك ضعفه عن نصرته: من حار يحور: رجع يرجع.

أخبار بيهس ونسبه

اسمه ونسبه

بَيْهَسُ بن صُهَيْب بن عامر بن عبد الله بن نائل بن مالك بن عُبَيد بن علقمة ابن سعد بن كثير بن غالب بن عَدِيّ بن بَيْهَس بن طَرُود بن قدامة بن جَرْم بن ربّان ابن حُلوان بن عِمران بن الحاف بن قُضَاعة .

٥ ويكنى أبا المقدام : شاعر فارس شجاع ، من شعراء الدولة الأموية ، وكان يبدو[1] بنواحي الشام مع قبائل جَرْم وكلب وعُذْرة ، ويحضر إذا حضروا ، فيكون بأجناد الشام ، وكان مع المهلب بن أبي صُفْرة في حروبه للأزارقة ، وكانت له مواقف مشهورة وبلاء حسن ، وبعضُ أخباره في ذلك يذكر بعقب أخباره في هذا الشعر .

من هي صفراء

وقد اختلف الرواة في أمر صفراء التي ذكرها في شعره هذا ، فذكر القَحْذَمِيّ أنها ١٠ كانت زوجته وولدت له ابنا ، ثم طلقها ، فتزوجت رجلاً من بني أسد ، وماتت عنده ، فرثاها . وذكر أبو عمرو الشيباني أنها كانت بنت عمه دِنْيَةً[2] ، وأنه كان يهواها ، فلم يُزَوَّجْها ، وخطبها الأسدِيُّ ، وكان مُوسِرًا ، فزُوِّجَها .

قال أبو عمرو : وكان بيهس بن صُهَيب الجرميّ يهوَى امرأة من قومه يقال لها صفراء بنت عبد الله بن عامر بن عبد الله بن نائل ، وهي بنت عمه دِنْيَةً ، وكان يتحدث ١٥ إليها ، ويجلس في بيتها ، ويكتم وَجْدَهُ بها ، ولا يُظهِره لأحد ، ولا يخطبها لأبيها ؛ لأنه كان صعلوكا لا مال له ، فكان ينتظر أن يُثرِيَ ، وكان من أحسن الشباب وجهًا وشارةً وحديثا وشعرًا ، فكان نساء الحيّ يتعرّضن له ، ويجلسن إليه ويتحدثن معه ، فمرت به صَفْراء ، فرأته جالسا مع فتاة منهن ، فهجرته زمانا لا تُجيبه إذا دعاها ، ولا تخرج إليه إذا زارها ،

(١) يبدو : يسكن البادية .

٢٠ (٢) دنية : يقال : هو ابن عمي دنية أو دنيا : قريب لاصق .

وعرض له سفر ، فخرج إليه ، ثم عاد ، وقد زوّجها أبوها رجلا من بنى أسد ، فأخرجها ، وانتقل عن دارهم بها ، فقال بيهسُ بنُ صُهيب :

سقى دمنةً صفراءُ كانت تحلُّها ... بنوءِ الثّريّا طلُّها وذِهابُها[1]

وصابَ عليها كلُّ أسحمَ هاطلٍ ... ولا زال مخضرًّا مَرِيعاً جنابُها[2]

أحبُّ ثرَى أرضٍ إلىَّ وإن نأت ... محلُّكِ منها تُربُها وترابُها[3]

على أنها غضبى علىّ وحبّذا ... رِضاها إذا ما أُرضِيَتْ وعتابُها[4]

وقد هاج لى حينا فراقُكِ غُدوةً ... وسلمى فى فيفاء تعوى ذئابُها[5]

نظرتُ وقد زال الحُمولُ ووازنوا ... بِركوةَ والوادى وخفّتْ رِكابُها

فقلتُ لأصحابى: أبالقرب منهمُ ... جرى الطيرُ أم نادى ببينٍ غرابُها ؟

يرثى صفراء

قال أبو عمرو : ثم ماتت صفراء قبل أن يدخل بها زوجُها ، فقال بيهسٌ يرثيها :

هل بالديار التى بالقاعِ من أحدٍ ... باقٍ فيسمعَ صوتَ المُدلِجِ السارى

تلك المنازل من صفراء ليس بها ... نارٌ تضىء ولا أصواتُ سُمّار

جرّتْ معارفَها هُوجٌ مُغبِّرَةٌ ... تَسفى عليها ترابَ الأبطَحِ الهارى[6]

(١) الدمنة : ما بقى من آثار الدور ونحوها ، جملة « صفراء كانت تحلها » صفة « دمنة » طلها : فاعل سقى ، الذهاب: جمع ذهبة ، وهى المرة من المطر ، نوء الثريا : مطرها ، وفى هد ، هج : « نجاء الثريا » ولم نجد له معنى ، وفى ف : « لها الثريا » ويختل به وزن البيت .

(٢) صاب المطر ونحوه : انصب ، أسحم : أسود ، يريد الغمام الأسود ، لأنه أغزر مطرا .

(٣) أحب : خبر مبتدأ محذوف تقديره « هى » يعود على الدمنة ، « محلك منها ... الخ » كلام مستأنف يعلل به سبب الحب ، وفى ف : « محلك أرضا » بدل « محلك منها » .

(٤) فى هد : « وغضابها » بمعنى مغاضبتها ، بدل : « وعتابها » .

(٥) الفيفاء : القفراء ، وفى هد ، هج ، ف : « هاج لى حزنا » بدل « هاج لى حينا » وفى النسخ الثلاث أيضا : « خشناء » بدل « فيفاء » والمعنى لا يتغير .

(٦) هوج : جمع هوجاء ، يريد : « رياح هوج » ، الهارى : تخفيف الهارئ : من هرأه بمعنى أذابه وأبلاه وفى ف : « هوجاء مغبرة » .

حتى تكسرت منها كل معرفة إلا الرماد نخيلاً بين أحجار[1]

طال الوقوف بها والعين تسبقني فوق الرداء بوادى دمعها الجارى[2]

إن أصبح اليوم لا أهل ذوو لماظ ألهو لديهم ولا صفراء في الدار[3]

أرعى بعيني نجوم الليل مرتقبا يا طول ذلك من هم وإسهار[4]

٥ فقد يكون لي الأهل الكرام وقد ألهو بصفراء ذات المنظر الوارى[5]

من المواجد أعراقا إذا نسبت لا تحرم المال عن ضيف وعن جار[6]

لم تلق بؤسا ولم يضرر بها عوز ولم تزخن مع الصالى إلى النار[7]

كذلك الدهر إن الدهر ذو غير على الأنام وذو نقض وإمرار[8]

قد كاد يعتادني من ذكرها جزع لولا الحياء ولولا رهبة العار[9]

(١) نخيلا : حال من الرماد بمعنى ناعم دقيق .

(٢) بوادى دمعها : ظواهره .

(٣) اللماظ : اليسير من الطعام ونحوه ، وفى هد « أصبو اليهم » بدل « ألهو لديهم » وجواب إن الشرطية في البيت الثالث : « فقد يكون لى الأهل ... الخ »

(٤) فى هد ، هج : « ليل » بدل « هم » .

١٥ (٥) الوارى : السمين ، أويريدبه المضىء . وفى المختار : « المنطاق الوارى » .

(٦) المواجد : جمع ماجدة ، لا تحرم المال : لا تمسكه : من أحرم الراعى ، يقال : أحرم كذا عن كذا : أمسكه عنه .

(٧) لم تزخن : من زخنت المرأة العجين إذا أكثرت ماءه ، والمراد أنها لم تصل النار لإنضاج الخبز ، وفى ب « لم ترجن » — بالجيم لا بالخاء — وقد رجحنا أن ثمة تصحيفا .

٢٠ (٨) النقض والإمرار : ضدان : الأول فك الحبل ، والثانى فتله .

(٩) يريد بالعار الذى يخشاه دمعه وضعفه وانهياره أمام الصبية ، كما يقول جرير فى رثاء زوجته :

لولا الحياء لهاجنى استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

سقى الإلٰهُ قبورا في بني أسدٍ حول الربيعة غيثًا صوبَ مدرار(١)

مَنِ الذي بعدكم أرضَى به بدلاً أو مَنْ أُحَدِّثُ حاجاتي وأسراري ؟(٢)

يقف وهو يبكي على قبرها ويرثيها

قال أبو عمرو : واجتاز بيهسٌ في بلاد بني أسد ، فمر بقبر صفراء ، وهو في موضع يقال له الأحَصُّ (٣) ، ومعه ركب من قومه ، وكانوا قد انتجعوا بلاد بني أسد ، فأوسعوا لهم ، وكان بينهم صِهرٌ وَجِوارٌ ، فنزل بيهس على القبر ، فقال له أصحابه : ألا ترحل ؟ فقال : أما والله (٤) ، حتى أظل نَهاري كلَّه عنده ، وأقضيَ وطراً فنزلوا معه عند قبرها ، فأنشأ يقول ، وهو يبكي :

أَلِمَّا على قَبرٍ لصفراء فاقرآ السّلام وقولَا حَيِّنَا أيُّها القبرُ

وما كان شيئًا غيرأن لم أكن صابراً دعاءكَ قبراً دونه حِجَجٌ عَشْرُ (٥)

برابيةٍ فيها كِرامٌ أحِبَّةٌ على أنَّها إلا مضاجِعَهم قَفرُ (٦)

عشيَّةَ قال الركبُ من غَرَضٍ بنا تروّحْ أباالمقدامِ قد جَنَحَ العصرُ (٧)

فقلتُ لهم : يومٌ قليلٌ وليلةٌ لصفراء قد طال التجنُّبُ والهَجرُ

(١) الربيعة : مكان قبر صفراء ، صوب مدرار : مطر سحابة هطالة .

(٢) في هد : « من ذا الذي » بدل « من الذي » ، وفي هد ، هج ، ف : « أم من » بدل « أو من » .

(٣) في هد ، هج : « الأحص » .

(٤) في هد : « لا والله » .

(٥) اسم كان ضمير الشأن ، ولو كانت « كان » تامة و « شيئا » مرفوعة لكان أحسن ، دعاءك : مفعول « صابرا » وقبرا : مفعول « دعاءك » ، يقول : لا شيء إلا أنني لم أستطع الصبر على أن أدعو قبرك بعد مرور سنين عشر على وفاتك .

(٦) في هج : « كرام أعزة » بدل « كرام أحبة » ، « لولا مضاجعهم » بدل « إلا مضاجعهم » .

(٧) الغرض : الضجر والملال .

وبت وبات الناسُ حولىَ هُجّداً ... كأنّ علىّ الليلَ من طوله شهر (1)

إذا قلتُ هذا حين أهجع ساعة ... تطاول بى ليلٌ كوا كبُه زُهر

أقولُ إذا ما البدرُ مَلّ مكانَه ... أشوكٌ يُجافى الجنبَ أم تحته جمْرُ؟

فلو أنّ صَخْراً من عَمايةَ راسياً ... يقاسى الذى ألقى لقد مَلَّه الصخرُ (2)

109 / 19

5 قال : وأما القحذمىّ فإنه ذكر فيما أخبرنى به هاشم بن محمد الخزاعىّ ، عن يحيى بن إسماعيل رتينةَ عنه ، أنّه كان تزوّجها ، ثم طلّقها بعد أن ولدت منه ابناً ؛ فتزوجها رجل من بنى أسد ، فماتت عنده ، وذكر من شعره فيها ومراثيه لها قريباً مما تقدم ذكره .

وذكر أن بيهسَ بنَ صُهَيْب كان من فُرسانِ العرب ، وكان مع المهلّب بن أبى صُفْرة فى حروبه للأزارقة . (3) وكان يبدو بنواحى الشام مع قبائل جَرْم وكلب ، ويحضر إذا حضروا فيكون من أجناد الشام (3) .
10

يتهم فى قتيل

قال : أبو عمرو : ولما هدأت الفتنة بعد مَرج راهط ، وسكن الناس مرّ غلامٌ من قيس بطوائف من جرم وعذرة وكلب ، وكانوا متجاورين على ماء لهم ؛ فيقال : إن بعض أحداثهم نخس « بيْهس (4) » به ناقتَه فألقته ، فاندقّت (5) عنقُه ، فمات ؛ فاستعدى قومُه عليهم عبدالملك ، فبعث إلى تلك البطون مَنْ جاءه بوجوههم وذوى الأخطار منهم ، فحبسهم ، وهرب بيهس بن صهيب الجرمى ، وكان قد اتّهم أنه هو الذى نخَس به ، فنزل عَلَى محمد بن مروان
15

(1) فى ب « هجرا » بدل « هجدا » والمثبت من هد ، هج ، ف .

(2) عماية : اسم جبل .

(3-3) التكملة من هد ، هج .

(4) زدنا كلمة « بيهس » ليتسق الكلام على نحو ما سيجىء .

20 (5) العنق يذكر ويؤنث .

فعاذبه، وما جازه، فأجاره إلا من حد توجبه عليه شهادة، فرضى بذلك، وقال وهو متوار عند محمد :

لقد كانت حوادث معضلات وأيامٌ أغصّت بالشراب

وما ذنب المعاشر فى غلام تقطّر بين أحواض الجباب(١)

على قَوْداء أفرطها جلالٌ وغضّ عصى باقيةُ المباب(٢) ٥

تراميت باليدين فأرهقته كما زلّ المطيح من القباب(٣)

فإنى والعتابَ وما أرجّى لكالساعى إلى وَضَحِ السّراب

فلمّا أن دنا فرجٌ بربّى يكشّف عن مُخَفّقَةٍ يبابِ(٤)

من البُلدان ليس بها غريبٌ تخبّ بأرضها زُلُّ الذّئاب(٥)

فنائى بالخليفة أنّ فيه أمانًا للبرىء وللمعاب ١٠

وأنّ محمدًا سيرد يومًا ويرجعُ عن مُراجَعةِ العِتاب

(١) تقطّر : وقع على قطره من علو ، وفى هد ، ف : «الحباب» وفى هج : «الحباب» بدل «الجباب» ، وهى أسماء أماكن .

(٢) القوداء : الطويلة العنق والظهر ، يريد ناقة قوداء ، أفرطها جلال : شددة ، وغض : لعل المراد غض البصر بمعنى أنها لا تسير على هدى ، المباب : الصداح ، وفى هج : «عصى» بدل «غض» . ١٥

(٣) المطيح : المطروح ، وفى هد ، ف : «زال» بدل «زل» ، وفى ب «الحقاب» وربما رواية هج «القباب» ، وفى ف ، هد ، هج : «البطيح» بالباء .

(٤) المخفقة : الخالية ، لعله يريد المكان الذى هرب إليه .

(٥) زل : جمع أزل : السريع العدو الخفيف الوركين ، وفى ف ، هد ، هج : «الذباب» بدل «الذئاب» . ٢٠

فيجبر منيتى ويَحوط جارى ... ويُؤْمِن بعدها أبداً صِحابى

هو الفرع الذى بُنِيَت عليه ... بُيوتُ الأطيبين ذوى الحِجاب

قال : فلم يزل محمد بن مروان قائماً وقاعداً فى أمرهم مع أخيه ، حتى أمَّن بيهسَ ابن صهيب ، وعشيرته ، واحتمل ديةَ المقتول لقيس[1] وأرضاهم .

(١) فى ب « بسر » بدل « لقيس » وهو تحريف والتصويب ، من هد ، هج ، ف .

صــوت

نزل الشيبُ فما له تحويلُ[1] ومضى الشبابُ فما إليه سبيلُ

ولقد أرانى والشبابُ يقودُنى ورداؤه حسنٌ علىّ جميلُ

الشعر للكميت بن معروف الأسدىّ ، والغناء لابن خفيف ، ولحنه من القدْر الأوسط ، من الثقيل الأول بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

(١) فى هج « ترحيل » .

أخبار الكميت بن معروف ونسبه

اسمه ونسبه

هو الكُمَيْتُ بنُ معروف بن الكميت بن ثعلبةَ بن ربابِ بن الأَشْتر بن جحوانَ ابن فقعسِ بن طَرِيف بن عَمْرو بن قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دُودَان بن أسد ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر .

شاعر من شعراء الإسلام بدَوِيّ ، أمه سعدة بنت فريد بن خيثمة بن نوفل ابن نضلة .

أسرته ما بين شعراء وشواعر

والكميت أحد المُعرِقين في الشعر ، أبوه معروف شاعر ، وأمه سعدة شاعرة ، وأخوه خيثمة أشعى بني أسد شاعر ، وابنه معروف الكميت شاعر .

فأما أبوه فهو القائل لعبد الله بن المُساورِ بن هند :

إنّ مُناخي أمسِ يا بنَ مُساورٍ ... إليك لَمِنْ شُرْبِ النُّقَاخِ المُصَرَّدِ[1]

تباعدتَ فوق الحق من آل فقعسٍ ... ولم ترجُ فيهم رِدَّةَ اليومِ أو غدِ[2]

وقلتَ غِنًى لا فقرَ في العَيْشِ بعدَه ... وكلُّ فَتًى للنائبات بمَرْصَدِ

كأنك لم تعلم محلَّ بيوتِكم ... مع الحيّ بين الغور والمُتَنَجَّدِ

فلولا رجال من جَذيمة قَصْرةً ... عَدَدْتَ بلائي ثم قلتُ له اعدُدِ[3]

(١) الأبيات – كما يبدو – في العتاب ، والبيت الأول من الطويل دخله الخرم ، النقاخ : الماء العذب البارد ، المصرد : من صرد العطاء : قلله ، وصرد الإناء : وضع فيه ماء لا يكفي للشرب ، كأنه لا يحمد مقامه عنده .

(٢) آل فقعس : قبيلة الشاعر ، ولم ترج فيهم ردة اليوم والغد : طرحتهم جانبا ، ولم تحتفظ بحظ رجعتهم إليك ، أو رجعتك إليهم

(٣) قصرة : داني النسب ، وفي هد ، ف : « عددت بلادي » بدل « عددت بلائي »

أمه تؤنبه وترثيه

وأمّه سُعادةُ القائلة له ، وقد تزوّج بنت أبى مَهْوش على مراغمة لها ، وكراهة لذلك ، فغضبت سُعادةُ وقالت فيه :

عليك بأنقاض العراق فقد عَلَت ... عليك بتخدين النساء الكرائمِ (١)

لعمرى لقد راش ابنُ سُعدةَ نفسه ... بريش الذُّنابَى لا بريش القَوادمِ (٢)

بنى لك معروفٌ بناءً هدمتَه ... وللشرف العادىِّ بانٍ وهادمُ (٣)

وهى القائلة ترثى ابنها الكُمَيْت :

ألا إنّ البلادِ الويلُ ماذا تضمّنت ... بأكناف طورى من عَفافٍ ونائلِ (٤)

ومن وَقَعاتٍ بالرجال كأنها ... إذا عدّت الأحداثُ وقعُ المناصل

يُعزّى المُعزّى عن كُميتٍ فتنتهى ... مقالتُه والصّدر جمٌّ البَلابِل

أخوه يرثيه

وأعشى بَنى أسد أخو الكُميت ، واسمُه خَيْثَمةُ ، الذى يقول يرثى الكُمَيت وغيرَه من أهل بيته : ١٠

هوِّن عليك فإنّ الدهرَ منجدبٌ ... كلُّ امرىء عن أخيه سوف ينشعِبُ (٥)

فلا يُغرّنْكَ من دهرٍ تقلّبُه ... إنّ اللّيالىَ بالفتيان تنقلبُ

(١) بتخدين النساء : باتخاذهن أخدانا ، وفى بعض النسخ : «غلت» بدل «علت» تقول له : عليك بمهازيل العراق ، فقد غلت عليك بكرائمها ١٥

(٢) القوادم : ريشات عشر أو أربع فى مقدمة جناح الطائر .

(٣) معروف : أبو الكميت ، العادى : العتيق ، يقال : مجد عادى ، وشرف عادى ، وفى البيت إقواء .

(٤) فى هج ، ف وردت « طورا » بالألف لا بالياء ، وهى اسم مكان

(٥) منجدب : مطاوع جدبه : ذمه ، وعابه . ٢٠

نام الخلىُّ وبتُّ الليلَ مُرتفقا ... كما تزاور يخشى دفّه النّكِبُ[1]

إذا رجعتُ إلى نفسى أحدّثها ... عمّن تضمّن من أصحابىَ القُلُبُ[2]

من إخوةٍ وبنى عمٍّ رُزِئْتهمُ ... والدّهرُ فيه على مستعتبٍ عَتَبُ

عاودتُ وجدًا على وجدٍ أكابدُه ... حتى تكاد بناتُ الصّدْر تلتهبُ[3]

٥ هل بعدَ صخرٍ وهل بعد الكميت أخٌ ... أم هل يعودُ لنا دهرٌ فنصطحبُ؟[4]

لقد علمتُ ولو مُلِّيتُ بعدَهمُ ... أنى سأنهل بالشِّرب الذى شربوا[5]

ومعروف بن الكميت القائل :

ابنه معروف يتغزل

قد كنتَ أحسبنى جَلْداً فهيَّجنى ... بالشيب منزلةٌ من أمّ عمّارِ

كانت منازلَ لا ورهاء جافيةٍ ... على الحدوج ولا عُطْلاً بمِقفار[6]

١٠ وما تجاوُرُنا إذ نحن نسكنُها ... ولا تفرُّقنا إلا بمقدار

(١) مرتفقا : متكئا على مرفق ، تزاور : مال وانحرف ، دفه : جنبه ، النكب : المصاب فى منكبه ، وهو فاعل يتنازعه الفعلان « تزاور ويخشى » .

(٢) القلب جمع قليب ، بمعنى البئر ، ويعنى الحفرة التى يدفن فيها الموتى .

(٣) البيت جواب الشرط « إذا رجعت » ، بنات الصدر : كناية عن الضلوع ، وفى ف ، هج «بنات الدهر» والرواية الأولى أصح .

(٤) « نصطحب » معطوف على « يعود » ، لا منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة بعد الاستفهام ، وإلا كان فى البيت إقواء

(٥) ولو مليت : ولو أمهلت ، الشرب – بكسر الشين – الماء الذى يشرب .

(٦) « منازل » مضاف ، وورهاء مضاف إليه ، «ولا» فاصلة بينهما ، الورهاء: المرأة الكثيرة الشحم ، الحدوج : جمع حدج – بكسر الحاء – وهو مركب من مراكب النساء كالهودج ، العطل: المرأة لا حلى لها ، المقفار : الأرض المقفرة ، وفى هد ، هج ، ف : « ولا عطلاء مقفار » وعلى الرواية الأولى كان القياس «عطل» بالجر لا بالنصب ، وربما صح اعتبار ورهاء وجافيه وعطلا » صفات لكلمة «منازل » وعلى هذا يكون المراد من قوله « لا ورهاء » أنها ليست عاصفة ، ورهاء الرياح : أنها ليست عاصفتها ، والتوجيه الأول أصح ، وهو الذى يتمشى مع رواية هد ، هج ، ف ، وإلا كان فى البيت إقواء ؛ إذ يلزم عليه نصب كلمة « مقفار » .

١١١
١٩

صوت

أرقت لبرق دونه شذوان ... يمان وأهوى البرق كل يمانى[1]

فإن القلاص الأدم قد وخدت بنا ... بوادٍ يمانٍ ذى رُبًا وَمَجانِ[2]

الشعر ليعلى الأحول الأزدىّ، وجدت ذلك بخط أبى العباس محمد بن يزيد المبرد فى شعر الأزد، وقال عمرو بن أبى عمرو الشيبانى عن أبيه: هى ليعلى الأحول، كما روى غيره، قال: ويقال: إنها لعمرو بن أبى عمارة الأزدى من بنى خُنَيْس[3]، ويقال: إنها لجوّاس بن حيانَ من أزد عمان.

وأول هذه القصيدة، فى رواية أبى عمرو، أبيات فيها غناء أيضاً وهى:

صوت

أو يحكما يا واشيىْ أمّ مَعْمَرٍ ... بمَن وإلى مَن جئتما تَشِيان؟[4]

بمن لو أراه عانياً لفديته ... ومَن لو رآنى عانياً لَفَدانى

لِعَرِيب فى هذين البيتين ثقيل أول، ولعمرو بن بانة فيهما هزج بالوسطى من كتابه وجامع صنعته، وقال ابن المكى: لحمد بن الحسن بن مصعب فيه هزج بالأصابع كلها.

(١) شذوان: تثنية شذا: شجر تتخذ منه المساويك، كل: بدل من البرق.

(٢) القلاص الأدم: النوق السمراء، وفى هد، هج: «محانى» – بالحاء المهملة – بدل «مجانى» – بالجيم المعجمة –

(٣) فى هج: «حريش» بدل «خنيس».

(٤) فى هج: «أم مالك» بدل «أم معمر».

أخبار يعلى ونسبه

اسمه ونسبه

يعلى الأحولُ بنُ مسلم بن أبى قيس، أحدُ بنى يَشْكر بن عمرو بن رالان[١]— ورالانُ هو يشكر — ويشكر لقب لُقِّب به — بن عمران بن عمرو بن عدى بن حارثة ابن لوذان بن كهف الظلام — هكذا وجدته بخطّ المبرد — بن ثعلبة بن عمرو بن عامر.

شاعر فاتك خليع

٥ شاعر إسلامى لص من شعراء الدولة الأموية، وقال هذه القصيدة وهو محبوس بمكة عند نافع بن عَلْقَمة الكِنَانى[٢] فى خلافة عبد الملك بن مرْوان[٣].

قال أبو عمرو: وكان يعلى الأحولُ الأزدىُّ لِصًّا فاتكًا خاربًا، وكان خليعا، يجمع صعاليك الأزد وخلعاءهم، فيغيرُ بهم على أحياء العرب، ويقطع الطريق على السّابلة، فَشُكِى إلى نافع بن علقمةَ بن الحارث بنِ محرِّث الكنانىّ ثم الفقيمى، وهو خال مروان ١٠ ابن الحكم، وكان والىَ مكة، فأخَذَ به عشيرته الأزْدِيّين[٤]، فلم ينفعه ذلك، واجتمع إليه شيوخ الحىّ فعرّفوه أنه خليع قد تبرؤوا منه ومن جرائره إلى العرب، وأنه لو أخَذَ به سائرَ الأزد ما وضع يده فى أيديهم[٥]، فلم يقبل ذلك منهم، وألزمهم إحضارَه، وضمّ إليهم شُرَطًا يطلبونه إذا طرق الحىّ حتى يجيئوه به.

يسلمه قومه إلى الحاكم

فلما اشتدّ عليهم فى أمره طلبوه، حتى وجدوه، فأتوا به، فقيّده وأودعه الحبس، ١٥ فقال فى محبِسه:

---

(١) فى ف، هج: «ابن فلان وفلان» بدل «ابن رالان» وأغلب الظن أنه تحريف.
(٢) فى هج: «الكندى».
(٣) فى بعض النسخ: «فى خلافة مروان»
(٤) فى رواية «الأدنين»
٢٠ (٥) لعل المراد: ماوضع يعلى يده فى أيدى قومه: ماأسلم نفسه إليهم.

قصيدته في سجنه

أرقتُ لبرقٍ دونه شَدَوانِ يَمانٍ وأهوى البرقَ كلَّ يمانِ[١]

فبتُّ لدى البيت الحرام أشيمُهُ ومِطْوَاىَ من شوقٍ له أرِقانِ[٢]

المِطْو : الصاحب .

إذا قالتُ : شِيماه يقولان والهوى يصادف منّا بعض ما تريانِ[٣]

جرى منه أطرافُ الشرى فمشيّعٌ فأبيانُ فالرَّيّان من دَمرانِ[٤]

فمرّانُ فالأقباصُ أقباصُ أملَحٍ فماوانِ من واديهما شَطانانِ[٥]

هنالك لو طوّفتما لوجدتما صديقاً من آخوانٍ بها وغوانِ[٦]

١١٢
١٩

وعزفُ الحمامِ الوُرْقِ في ظلِّ أيكةٍ وبالحي ذى الرَّوْدَين عزفُ قيانِ[٧]

ألا ليت حاجاتي اللواتي حبسنني لدى نافعٍ قُضِّينَ منذ زمانِ

وما بيَ بُغضٌ للبلاد ولا قِلًى ولكنّ شوقاً في سواه دعاني[٨]

(١) تقدم هذا البيت .

(٢) أشيم : مضارع شام البرق ونحوه : تطلع إليه ليرى أين يقع مطره ؟ وفي ب « أخيله » بدل « أشيمه » والمثبت من هد ، هج وهو الصواب .

(٣) شيماه : أمر من « شام » وألف الاثنين لصديقيه : والهاء للبرق المتقدم ذكره ، وجملة « والهوى ... الخ البيت » اعتراضية ، ومقول القول في البيت التالي وما بعده .

(٤) مشيع ، وأبيان ، ومران : أماكن ، وضمير « منه » يعود على البرق ، أي يقول صاحباه : جرى ماء البرق في هذه الأماكن .

(٥) مران ، أملج : مكانان ، أقباص : جمع قبص – بفتح القاف وكسرها – وهو مجتمع الرمل الكثير ، ماوان : تثنية ماء ، شطانان : بعيدان .

(٦) وصل همزة « إخوان » لإقامة الوزن ، وفي هد « عمّران » – بالعين – بدل « غوان » وما في ب أصوب

(٧) الورق : جمع ورقاء : ما كان لونها لون التراب ، الرودين : تثنية رود : الريح اللينة ، وفي ب « ذو » بدل « ذى » ولم نجد لها وجها .

(٨) في ب « قلا » – بالألف – وكان القياس أن يقول : « في سواها » بدل « في سواه » لأن الضمير ضمير البلاد ، ولعله أعاد الضمير على « نافع » في البيت السابق .

فليتَ القِلاصَ الأُدم قد وخَدت بنا — بوادِ يمانٍ ذى رُبًا ومجانى[1]

بوادِ يمانٍ يُنبِتُ السِّدرَ صدرُه — وأسفله بالمرخ والشَّبَهانِ[2]

يدافعنا من جانبيه كليهما — عزيفان من طرفائه هَدِبان[3]

وليت لنا بالجوز واللوز غيلة — جناها لنا من بطن حلية جانى

الغيلة : شجر الأراك إذا كانت رطبة ، ويروى فى موضع : من بطن حلية : من حب جيجة .

وليتَ لنا بالدِّيك مُكَّاء روضةٍ — على فنَنٍ من بطن حليةَ دانى[4]

وليت لنا من ماء حزنة شربةً — مبردةً باتت على طهمان[5]

ويروى : من ماء حمياء .

(١) تقدم هذا البيت .

(٢) المرخ والشبهان : مكانان .

(٣) عزيفان : تثنية عزيف : صوت الرياح حين تسفى الرمال ، الطرفاء : أنواع من الشجر ، منها الأثل ، هدبان : تثنية هدب : من قولهم : غصون هدب : مسترسل ، وهذه هى رواية هد ، وفى ب « هذبان » تثنية «هذب» من قولهم : فرس هذب : شديد السرعة ، وفى ف : «هدبان» وفى هج : « هربان » ، وفى هد ، هج : « كلاهما » بدل « كليهما » ، والذى اخترناه هو ما أثبتناه . ١٥

(٤) المكاء : طائر .

(٥) فى هج ، ف : « طهيان » بدل « طهمان » وفى هد : « طيهان » وكلها أمكنة .

صوت

إن السلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيّةٍ ... تغدو على ابن مُجزِّزٍ وتروحُ[1]

هلا فَدَى ابنَ مجزِّزٍ متفحّشٌ ... شَنِجُ اليدين على العطاء شَحِيحُ[2]

الشعر لجوّاسٍ العُذْرِىّ، والغناء لسائب بن خاثر خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكى والهشامى من رواية حماد عن أبيه، فى أخبار سائب خاثر وأغانيه. ٥

(١) فى هد، هج، ف: «محرر» — براءين مهملتين — بدل «مجزز» بزايين معجمتين.

(٢) شنج اليدين: مقبوضهما، كناية عن البخل.

نسب جواس وخبره فى هذا الشعر

اسمه ونسبه

هو جَوّاس بن قُطْبَةَ[١] العُذرىّ ، أحدُ بنى الأحبّ رهطِ بُثَيْنَةَ ، وجَوّاسٌ وأخوه عبد الله الذى كان يهاجى جَميلاً ابنا عَمِّها دِنْيَةً ، وهما ابنا قُطبةَ بن ثعلبةَ بن الهون ابن عمرو بن الأحبّ بنُ حُنّ بن ربيعة بن حرام بن عتبة[٢] بن عبيد بن كثير ابن عجرة[٣].

وكان جوّاس شريفا فى قومه شاعرا ، فذكر أبو عمرو الشيبانى :

ينافر جميل بن معمر فترجح كفته

أنّ جميلَ بن عبدالله بنِ مَعْمَرٍ لمّا هاجى جَوّاسا تنافرا إلى يهود تيماء ، فقالوا لجميل : يا جميل ، قُلْ فى نفسك ما شئت ، فأنت والله الشاعر الجميل الوجه الشريف ، وقل أنت يا جواس فى نفسك وفى أبيك ما شئت ، ولا تذكرنّ أنت يا جميل أباك فى فخر ؛ فإنه كان يسوق معنا الغنم بتيماء ، عليه شملةٌ لا تُوارِى استَه ، ونَفَّروا[٤] عليه جوّاسا ، قال : ونشب الشرُّ بين جَميل وجوّاس ، وكانت تحته أم الجُسَيْرِ أختُ بُثَيْنَةَ التى يذكرها جميل فى شعره ، إذ يقول :

يا خليلَىَّ إن أمَّ جُسَيْرٍ حين يدنو الضَّجيع من عَلَلِه[٥]
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزَامَى جادَ فيها الربيعُ من سَبَلِه[٦]

(١) فى بعض النسخ : « قطنة » ، بالنون لا بالباء .
(٢) فى هد ، هج ، ف : « ضبة » بدل « عتبة » .
(٣) فى ف ، هج : « عجوة » .
(٤) نفروا بالتشديد - نصروا ، وفضلوا .
(٥) العلل : الشرب مرة بعد مرة ، والمراد النيل من رضاب أم جسير .
(٦) الحنوة : نبات سهل ، أو هى الريحان ، أو نوع من الآذريون . الخزامى: نبت طيب الرائحة ، السبل : المطر .

قوم جميل يثأرون منه

فمضى بجميل نفرٌ من قومه يقال لهم بنو سفيان ، فجاءوا إلى جوّاس ليلا وهو فى بيته ، فضربوه وعرّوا امرأته أمّ الجُبَير فى تلك الليلة ، فقال جميل :

ماعرّ جوّاسَ استَها إذ يسبُّهم بمقرَى بنى سُفيانَ قَيْنِ وعاصمِ [(١)]
هما جرّدا أمّ الجُبَيْرِ وأوقعا أمرٌ وأدهى من وَقيعة سالمِ

٥

يعنى سالم بن دارة .

فقال جوّاس :

١١٣
١٩

ماضُربَ الجوّاسُ إلا فُجَاءةً على غفلةٍ من عَيْنِه وهو نائمُ [(٢)]
فإلا تُعجّلْنى المنيّةُ يصطبح بكأسك حِصْناكم حُصَيْنٌ وعاصمُ [(٣)]
ويُعطِى بنو سفيان ماشئتَ عَنْوةً كما كنتَ تُعطِينى وأنفُك راغمُ

جميل يحدو ركاب مروان بن الحكم

١٠

وقال أبو عمرو الشيبانىّ :

حجّ مروانُ بن الحكَم ، فسار بين يديه جميلُ بن عبد الله بن مَعْمَر ، وجوّاسُ ابن قطبة ، وجوّاس بن القَعْطَل الكلبىّ ، فقال لجميل : انزل فسُقْ بنا ، فنزل جميل فقال :

يا بُثْن حَيِّى وَدِّعيا أوصِلى وهوِّنى الأمرَ فزُورِى واعجَلِى [(٤)]

١٥

(١) البيت من الطويل دخله الخزم ، عر : ساء وضر ، ومنع صرف جواس للضرورة ولم يتقدم مرجع الضمير « يسبهم » ولعل الأصل « يسبها » والمعنى عليه : ماساء جواسا تعرية است امرأته حين سبّها بهذين البطلين .

(٢) البيت من الطويل دخله الخزم أيضا .

(٣) يصطبح بكأسك ... الخ : يشرب بالكأس التى كنت أسقيك بها حصين وعاصم ، والبيت هو ومابعده إيعاد وتهديد .

٢٠

(٤) فى هد ، هج : « يابنة حنا » بدل « يابثن حيى » .

ثم ... أيا ما أردت فافعلى إنى لآتى ما أتيت مؤتلى[1]

فقال له مروان : عدّ عن هذا ، فقال :

أنا جميلٌ والحجازُ وطنى فيه هوى نفسى وفيه شجنى

هذا إذا كان السياق ددنى[2]

٥ فقال لجوّاس بن قطبة : انزل أنت يا جوّاس فسق بنا ، فنزل فقال — وقد كان بلغه عن مروان أنه توعّده إن هاجى جميلا :

جواس بن قطبة يحدو ركاب مروان

لستُ بعبدٍ للمطايا أسوقها ولكننى أرمى بهن الفيافيا[3]

أتانى عن مروانَ بالغيب أنه مُبيحٌ دمى أو قاطعٌ من لسانيا

وفى الأرض منجاة وفسحةُ مذهبٍ إذا نحن رققنا لهن المثانيا[4]

١٠ فقال له مروان : أما إن ذلك لا ينفعك إذا وجب عليك حق ، فاركب لا ركبت .

ثم قال لجوّاس بن القعطل — ويقال بل القصة كلها مع جواس بن قطبة — : انزل فارجز بنا ، فنزل فقال هذه الأبيات :

جواس بن القعطل يحدو ركاب مروان

يقول أميرى : هل تسوقُ ركابَنا فقلتُ : اتّخذ حادٍ لهن سوائيا[5]

١٥ تكرمتُ عن سَوْقِ المَطىِّ ولم يكن سِياقُ المطايا هِمَّتى ورَجائيا

(١) مؤتلى : من ألا الشئ ألوا : استطاعه .

(٢) الددن : اللهو ، كالدد ، وفى هج : « بدنى » بدل « ددنى » ولا معنى له .

(٣) البيت من الطويل دخله الخرم .

(٤) المثانى : ما يكرر ويثنى من الآيات القرآنية وغيرها ، ويريد بها هنا أناشيد الحداء ، وضمير

٢٠ « لهن » يعود على الإبل المفهومة من المقام ، أو على المطايا المذكورة فى البيت الأول ، وفى هد ، هج : « وللمرء مذهب » بدل « وفسحة مذهب » .

(٥) كان القياس « اتخذ حاديا » ولكنه أجراها مجرى « ولو أن واش باليمامة داره » للضرورة .

جعلتَ أبى رِهْنًا وعِرضىَ سادراً إلى أهل بيتٍ لم يكونوا كِفائيا[1]
إلى شرِّ بيتٍ من قُضَاعَة منصِبًا وفى شرِّ قوم منهمُ قد بَدَا ليا

فقال له : اركب لا ركبتَ .

عود إلى الصوت وخبر بن مجزز

والأبيات التى فيها الغناء يرثى بها جوّاسُ بنُ قُطْبَةَ العذرىُّ علقمةَ بن مجزِّز قال أبو عَمْرٍو الشيبانىُّ : وكان عُمَر بنُ الخطاب رضى الله عنه بعث علقمةَ بن مجزز الكنانىَّ ثم المدلجىَّ فى جيش إلى الحبشة ، وكانوا لا يشربون قطرة من ماء إلا بإذن الملك ، وإلا قوتلوا عليه ، فنزل الجيش على ماء قد ألقت لهم فيه الحبشة سُمًّا ، فوردوه مغترين[2] ، فشربوا منه ، فأتوا عن آخرهم ، وكانوا قد أكلوا هناك تمراً ، فنبت ذلك النّوى الذى ألقوه نخلا فى بلاد الحبشة ، وكان يقال له نخل ابن مجزز ، فأراد عمر أن يجهّز إليهم جيشاً عظيماً فشُهِد عنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اتركوا الحبشة ما تركوكم ، وقال : وددت لو أن بينى وبينهم بحراً[3] من نار ، فقال جوّاس العذرى يرثى علقمةَ بن مجزز :

إنّ السّلامَ وحُسْنَ كلِّ تحيةٍ تغدو على ابن مجزِّز وتَروحُ
فإذا تجرّد حافِراك وأصبحت فى الفجر نائحةٌ عليك تنوحُ[4]
وتخيّروا لك من جيادِ ثيابهم كفناً عليك من البَياض يلوح
فهناك لا تُغْنِى مودّةُ ناصحٍ حذرا عليك إذا يُسَدُّ ضريحُ

(١) الرهن — بكسر الراء — من قولهم : هو رهن مال ونحوه ، أى سائس .
(٢) لعلها « معترين » بالعين المهملة ، لا مغترين بالغين المعجمة ، من اعترار الفقر والحاجة ، أو التعرض للمعروف دون سؤال .
(٣) فى هد : « جبلا » .
(٤) لعل المراد : تجرد حافرا قبرك : تخففا من ثيابهما استعدادا للحفر .

هلا فَدَى ابنَ مجزز متفحشٌ شَنِجُ اليدين على العطاء شحيحُ

متمرِّعٌ ورِعٌ وليس بماجدٍ متملّح وحديثُهُ مقبوحُ[1]

وفيمن هلك مع ابن مجزز يقول جوّاس :

أَلَهْفِي لِفتيانٍ كأنّ وجوهَهم دنانيرُ وافتْ مهلكَ ابنِ مُجزِّز

(١) متمرع ... الخ : صفات « لمتفحش » فى البيت السابق ، والمتمرع : طالب المرع : الخصب ، يريد أنه جشع ، ورع : جبان ، متملح : يتكلف الملاحة ، وفى هج : « وحديثه مملوح » بدل « مقبوح » كأنه يريد أن حديثه ملح لا عذب .

صوت

أحبتنا بأبي أنتم وسقيا لكم حيثما كنتم
أطلتم عذابي ببعادكم وقلتم نزور فما زرتم
فأصبح قلبي على لوعتى وتنم دموعى بما أكتم
فقد [illegible] أسأتم وأخلفتم وقِدْماً وفيتم وأحسنتم ٥

الشعر لإبراهيم بن المدبر، والغناء لعريب، خفيف ثقيل.

أخبار إبراهيم بن المدبّر

أبو إسحاق إبراهيم بن المدبّر شاعرٌ كاتب متقدم من وجوه كتّاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه والمتصرّفين فى كبار الأعمال ومذكور الولايات، وكان المتوكلُ يقدّمه ويؤثره، ويفضله، وكانت بينه وبين عَريبَ حالٌ مشهورة، كان يهواها، وتهواه، ولهما فى ذلك أخبار كثيرة، قد ذكرتُ بعضها فى أخبار عَريبَ، وأذكر باقيها ها هنا.

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظةَ قال: حدثنى إبراهيم بن المدبر قال:

مرض المتوكل مرضة خيف عليه منها ثم عوفى، وأُذِن للناس فى الوصول إليه، فدخلوا عَلَى طبقاتهم كافة ودخلتُ معهم، فلما رآنى استدنانى، حتى قمتُ وراء الفتح، ونظر إلىّ مستنطقاً فأنشدته:

بين يدى المتوكل

يومٌ أتانا بالسرورِ ... فالحمد لله الكبيرِ

أخلصتُ فيه شُكرَه ... وَوَفيتُ فيه بالنذورِ

لما اعتللتَ تصدّعتْ ... شُعَبُ القلوبِ من الصدورِ (١)

من بين ملتهبِ الفؤا ... دِ وبين مكتئبِ الضميرِ (٢)

يا عُدّتى للدّينِ والدُّنـ ... ـيا وللخَطْبِ الخطيرِ

كانت جُفونى ثرّةَ الـ ... آماق بالدّمعِ الغزيرِ

لو لم أمت جزعاً لعمـ ... ـرُكَ إننى عينُ الصبورِ

(١) هج: «من الصدور».

(٢) هج: «من بين مكتئب الفؤاد وبين ملتهب».

يومي هنالك كالسنيـ ـنَ وساعتي مثلُ الشهورِ
يا جعفرُ المتوكلُ الـ ـعالي عَلَى البدرِ المنيرِ
اليومَ عاد الدينُ[1] غضَّ العود ذا وَرَقٍ نضيرِ
واليومَ أصبحت الخلا فةُ وهي أرسى من ثَبيرِ[2]
قد حالفتْكَ وعاقدَتْـ ـكَ عَلَى مطاولةِ الدُّهُورِ
يا رحمةً للعالميـ ـنَ ويا ضياء المستنيرِ
يا حجةَ اللهِ التي ظهرتْ له بهُدًى ونُورِ
لله أنتَ فما نُشا هِدُ مثلكَ من كرم وخيرِ
حتى نقول ومَنْ[3] بقُر بِكَ من وليٍّ أو نصيرِ
البدرُ ينطقُ بيننا أَمْ جعفرٌ فوقَ السريرِ!
فإذا تواترتِ المنى ثمّ كنتَ منقطعَ النظيرِ
وإذا تعذّرت[4] المنى يا كنتَ فيّاضَ البُحورِ
تُمضى الصوابَ بلا وزيـ ـرٍ أو ظهيرٍ[5] أو مُشيرِ

فقال المتوكلُ للفتح: إن إبراهيمَ لينطق عن نية خالصة، وودٍّ محض، وما قضينا حقّه، فتقدمْ بأن يُحملَ إليه الساعةَ خمسون ألف درهم، وتَقدمْ إلى عبيد الله بن يحيى بأن يُولِّيَه عملا سَرِيًّا[6] ينتفع به.

(١) هج: «عاد الملك».
(٢) ثبير: جبل.
(٣) من معطوفة على ضمير «نقول» بلا فاصل، وذلك رأي مرجوح.
(٤) في ج: «تغورت».
(٥) ظهير: معين.
(٦) في ج، هج: «سنياً»، يعني شريفا.

حدثني عمّي قال: حدثني محمد بن داود بن الجرّاح قال:

كان أحمدُ بنُ المدبِّر ولِيَ لعبيد الله بن يحيى بن خاقانَ عملا، فلم يَحمَد أثرَه فيه، وعمل عَلَى أن يَنكُبَه. وبلغ أحمدَ ذلك فهربَ، وكان عُبيد الله منحرِفًا عن إبراهيم، شديدَ النَّفاسة[1] عليه برأى المتوكل فيه، فأغراه به، وعرّفه خبرَ أخيه، وادّعى عليه مالاً جليلا، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه، وأوغر صدرَه عليه حتى أذن له فى حبْسه، فقال وهو محبوس:

المتوكل يحنق عليه ويودعه السجن

تسلَّىْ ليس طولُ الحبس عاراً[2] ... وفيه لنا من الله اختيارُ

فلولا الحبس ما بُلِى اصطبارٌ ... ولولا الليلُ ما عُرِفَ النهارُ

وما الأيام إلا مُعْقِباتٌ[3] ... ولا السلطانُ إلا مستعارُ

وعن قدرٍ حُبِسْتُ فَلَا تَمَرُّضٌ ... وفيما قَدَّرَ اللهُ الخِيارُ[4]

سيُفْرَجُ ما ترينَ إلى قليلٍ ... بقدرته وإن طال الإسارُ

ولإبراهيم فى حبسه أشعار كثيرة حِسانٌ مختارة، منها قوله فى قصيدة أولها:

أدموعُها أم لؤلؤٌ متناثرُ ... يندى به وَردٌ جنِيٌّ ناضرُ

يقول فيها:

لا تؤيِسَنّكَ من كريم نَبوةٌ ... فالسيفُ ينبو وهو عضبٌ باترُ[5]

هذا الزمانُ [illegible] ومُنى أيامُه ... خَشْنًا[6] وهأنذا عليه صابرُ

(١) النفاسة: مصدر نفست عليه الشىء إذا ضننت به، ولم تحب أن يصل إليه.

(٢) فى هج: «تسل فليس طول الحبس عار» على التصريح وجعل عار اسم ليس مؤخرا.

(٣) معقبات: يعقب بعضها بعضا بالخير والشر أو بالنور والظلام.

(٤) البيت زيادة فى ج، وفى هد: «حبست فلا تراعى».

(٥) ينبو: يبعد فى ضربه.

(٦) فى هج: حسنا.

إن طال ليلى فى الإسارِ فَطالما أفنيتُ دهراً ليلهُ متقاصرُ
والحبسُ يحجُبُنى وفى أكنافِهِ منِّى عَلَى الضرَّاءِ ليثٌ خادِرُ (1)
عجباً له كيفَ التقتْ أبوابُهُ والجودُ فيه والغَمامُ الباكرُ؟ (2)
هلا تقطَّع أو تصدَّع أو وَهى قَدْ ذَرتُهُ ؛ لكنَّه بِىَ فاخرُ

ومنها قوله فى قصيدة أولها :

ألا طرقتْ سَلْمَى لَدَى وَقْعَةِ السَّارى فريداً وحيداً موثقاً نازحَ الدارِ (3)
هو الحَبْسُ ما فيه عَلَىَّ غضاضةٌ وهل كان فى حبسِ الخليفةِ مِن عارِ !

يقول فيها :

أما ترينَ الخمر يظهرُ حسنُها وبهجتُها بالحبسِ فى الطينِ والقارِ (4)
وما أنا إلا كالجوادِ يصونُه مقوِّمه للسَّبْق فى طَىِّ مضمارِ
أو الدُّرةِ الزهراءِ فى قعرِ لُجَّةٍ فلا تُجتَلَى إلا بهَولٍ وأخطارِ
وهل هو إلا منزلٌ مثلُ منزلى وبيتٌ ودارٌ مثلُ بيتىَ أو دارِى ؟
فلا تنكرى طولَ المدَى وأذى العِدى فإنَّ نهاياتِ الأمورِ لإقصارِ (5)
لعلّ وراءَ الغيبِ أمراً يسرُّنا يقدِّرُه فى علمِه الخالقُ البارِى
وإنى لأرجو أن أصولَ بجعفرٍ فأهضمَ أعدائى وأُدرِكَ بالثّارِ

(1) أكنافه : نواحيه جمع كنف ، الضراء : الشدة والضيق ، خادر : ملازم لأجمته .
وفى ف : « والسجن يحجبنى » .

(2) فى ج : « والربيع الباكر » بدل الغمام ولفظها أليق .

(3) الطرق : الضرب على الباب ليلا . وقعة السارى : نومته آخر الليل ، نازح : بعيد به

(4) القار والقير : ما يدهن به سداد الدنان .

(5) هذا البيت فى هد ، وهج ، ساقط فى غيرهما ومعنى « إقصار » انتهاء وترك وكف .

فأخبرني عمي عن محمد بن داود :

أن حبسه طال ، فلم يكن لأحد في خلاصه منه حيلةٌ مع عَضْل[1] عبيد الله وقصده إياه ، حتى تخلَّصه محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر ، وجوَّد المسألة في أمره[2] ، ولم يتقدم إلى عبيد الله ، وبذل أن يحمل في ماله كلَّ مايطالب به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ، ووهبه له ، وكان إبراهيم استغاث به ومدحه ، فقال :

يثني على من خلصه من سجنه

دعوتك من كَرْب[3] فلبَّيتَ دعوتي ... ولم تعترضني إذ دعوتُ المعاذرُ

إليك وقد حُلِّئتُ[4] أوردْتُ هِمَّتي ... وقد أعجزتني عن هُمُومي المصادرُ

نمى بك عبدُ الله في العزِّ والعلا ... وحاز لك المجدَ المؤثَّلَ طاهرُ

فأنتم بنو الدنيا وأملاكُ جوِّها[5] ... وسادتُها والأعظمون الأكابرُ

مآثرُ كانتْ للحسين ومصعبٍ ... وطلحةَ لا تحوى مَداها المفاخرُ[6]

إذا بذلوا قيلَ الغيوثُ البواكرُ ... وإن غضبوا قيل الليوثُ المواصرُ[7]

تطيعكُمُ يَوْمَ اللقاء البواترُ ... وتزهو[8] بكمْ يوم المقام المنابرُ

وما لكُمُ غيرَ الأسرَّة مجلسٌ ... ولا لكُمُ غيرَ السيوفِ مخاصرُ[9]

ولي حاجة إن شئتَ أحرزتَ مجدها ... وسرَّكَ منها أولٌ ثم آخرُ

(١) عضل : منع .
(٢) جود المسألة في أمره : أحسن الشفاعة فيه .
(٣) في ج : « عن كرب » .
(٤) في ب ، س : حلبت وهي تحريف ، ومعنى حلئت : منعت الماء .
(٥) في هج : « شرقها » بدل « جوها » .
(٦) المفاخر : جمع مفخرة : ما يتباهى به .
(٧) المواصر : الكواسر الحاطمة .
(٨) في م ، هج ، هد : وتزهى ، والمعنى وتفتخر .
(٩) المخصرة : ما يأخذه الملك بيده يشير به إذا خاطب والخطيب إذا خطب .

كلام أميرِ المؤمنين وعطفُه فمالىَ بعد الله غيرَكَ ناصرُ
وإن ساعدَ المقدورُ [١] فالنُّجح واقع وإلا فإنى شاكر الودّ ذاكرُ

حدثنى جعفر بنُ قُدامة قال :

عريب تكاتبه وتشفع له

كتبت عَريبُ من سُرَّ من رأى إلى إبراهيم بنِ المدبر كتاباً تتشوَّقُه فيه ، وتخبره باستيحاشها له ، واهتمامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفةَ فى أمره ، فوعدها بما تُحِبُّ ، فأجابها عن كتابها ، وكتب فى آخر الكتاب : ٥

لعمرك ما صوتٌ بديعٌ لمعبدٍ بأحسنَ عندى من كتاب عَريبِ
تأمّلتُ فى أثنائه خَطَّ كاتبٍ ورقَّةَ مشتاقٍ ولفظَ خطيبِ
وراجعَنى من وصلها ما استرقَّنى وزهَّدنى فى وصلِ كلِّ حبيبِ
فصرتُ لها عبداً مُقرًّا بِرِقِّها ومستمسِكاً من وُدها بنصيبِ ١٠

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :

كان علىّ بنُ يحيى المنجِّم وإبراهيم بن المدبر مجتمعين فى منزل بعض الوجوه بسُرَّ من رأى على حال أُنس ، وكانت تغنِّيهم جارية يقال لها نَبْتٌ جاريةُ البكرية [٢] المغنية من جوارى القِيان ، فأقبل عليها إبراهيم بن المدبِّر ينظره وَمَزْحه وتجميشه [٣] ، وهى مقبلة على فتىً كان أمردَ من أولاد الموالى يقال له مُناَفَر ، كانت تهواه ، وكان أحسن الناس وجهاً ، ولم يزل ذلك دأبَهم إلى أن افترقوا ، فكتب إليه علىٌّ بنُ يحيى يقول : ١٥

١١٧
١٩

يحب نبتا وتحب هى مناضرا

لقد فتَنَتْ نبتٌ فتى الظَّرف والنَّدى بمقلة ريمٍ فاترِ الطَّرفِ أحورِ

(١) فى م ، هد ، هج : « المقدار » ، والمعنى واحد .
(٢) فى ف « بنت حارثة البكرية » بدل « جارية البكرية »
(٣) فى ب ، س « تخميشه » وهو تحريف ، والتجميش : المنازلة بالقرص واللعب . ٢٠

وشادٍ يروقُ السامعين ويملأُ الـ   قلوبَ سروراً مُونِقٍ متخيّرِ
فأصبحَ فى فخِّ الهوى متقنّصاً   عزيزٌ على إخوانه ابنُ المدبِّرِ (1)
ولم تدرِ ما يَلْقى بها ولو أنّها   دَرَتْ روّحتْ من حَرِّه المُتَسعِّرِ
وذاكَ بها صبٌّ ونَبتُ خليّةٍ   ومشغولةٌ عنه بوجه مُطَهَّرِ
ولو أنها تبغى بما عدلتْ به   سواهُ وحازت حُسْنَ مرأى ومَخْبَرِ

فكتب إليه إبراهيم بن المدبر :

طَربتُ إلى قطْرَبُّلٍ (2) وبَلَشْكَرٍ (3)   وراجعتُ غيًّا ليس عنى بمُقْصِرِ
وذكّرنى شيئًا مرّ أثنائى مونقٌ   حبائبَ قلبى فى أوائلِ أعصُرى
فنَهْنَهْتُ (4) نفسى عن تذكّرِ ما مضى   وقلتُ : أفيقى لاتَ حين
أبا حسنٍ ماكنتَ تعرفُ بالخَنَا (5)   ولا بعلوٍّ فى المكانِ
وما زلتَ محمود الشمائل مرتضى الخـ   لائقِ معروفا (6) بعُرْفٍ ومنكرِ
أترمى بأثقالٍ من جفاها تخيُّرًا   وباعدها عنه برأىٍ موفَّرِ (7) ؟
ودافعها عن سرِّها وهى تشتكى   إليه تباريحَ الهوى المتسعِّرِ (8)
ولو كان تبّاعًا دواعىَ نفسِه   إذاً اقتضى أوطارَه ابنُ المدبِّرِ

(1) فى ج ، هج : « لُجّ الهوى » .
(2) قطربل : قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر .
(3) بلشكر من قرى بغداد . وفى هج : « وراجعت عما لست عنه بمقصر » .
(4) نهنهت : كففت وزجرت .
(5) الخنا : الفحش فى القول ، فى ج : « بنلو فى المقال » وفى م : « فى المقام » .
(6) فى هج : « مقرونا » .
(7) ف : « برأى موفر » بالفاء .
(8) المسعر : المتقد ، وفى ج ، وهد ، وهج : « دافعها عن وصله » .

على أنه لو حصحصَ الحقُّ بابَها ولو كان مشنوفا بها غَيْرُ مُغْرِ
بلؤلؤةٍ زهراءَ يشرُق ضوءُها وغُرَّةِ وجهٍ كالهلالِ المشهَّرِ
إلى اللهِ أشكو أنَّ هذا وهذهِ غزالا كثيبٍ ذى أقاحٍ منوَّرِ
وأنتَ فقد طالبتَها فوجدتَها لها خُلُقٌ لا يرعَوِى ذو توعُّرِ
وحاولتَ منها سلوة عن[1] مُنَافَرٍ فما لان منها الوطءُ عند التَّخَيُّرِ[2]
نصحتُك عن وُدٍّ ولم ألُ جاهدًا فإن شئتَ فاقبل قولَ ذى النصحِ أو ذَرِ

فكتب إليه علىُّ بنُ يحيى المنجم :

لعمرى لقد أحسنتَ يابنَ المدبّر وما زلت فى الإحسان عين المشهَّر
ظَرُفْتَ ومن يجمعْ من العلم مثلَ ما جمعت أبا إسحاق يَظْرُفْ ويُشْهَرِ[3]

ولإبراهيمَ فى نَبْتٍ هذه أشعارٌ كثيرةٌ منها قوله :

نَبْتٌ إذا سكتَتْ كان السكوتُ لها زَيْنًا وإن نطقتْ فالدرُّ يَنْتَثِرُ
وإنما أقصدتْ[4] قلبى بمُقْلَتِها ما كان سهمٌ ولا قوسٌ ولا وَتَرُ

وقوله :

يا نبتُ يا نبتُ قد هام الفؤادُ بكم وأنت واللهِ أحلى الخلقِ إنسانا
ألاَ صِلينى فإنِّى قد شُغِفْتُ بِكُمْ إن شئتِ سرًّا وإن أحببتِ إعلانا

أخبرنى جعفرُ بن قدامه قال :

كان فى إصبع إبراهيم بن المدبر خاتمان وهبَتْهما له عَريب ، وكانا مشهورين لها ،

(١) فى جـ ، هد ، هج : « سلوة من » .
(٢) فى جـ : « التجير » .
(٣) فى جـ : « ويشعر » .
(٤) أقصدت : أصابت فلم تخطىء .

فاجتمع مع أبى العُبَيْس بن حمدون فى اليوم التاسع والعشرين من شعبان على شرب ، فلما سكرا اتفقا على أن يصير إبراهيم إلى أبى العُبَيْس ، ويقيمَ عنده من غدٍ إن لم يُرَ الهلال ، وأخذ الخاتَمين منه رهناً . ورُئِى الهلالُ فى تلك الليلة ، وأصبح الناس صياماً ، فكتب إبراهيم إلى أبى العُبَيس يطالبه بالخاتمين ، فدافعه ، وعبث به ، فكتب إليه من غد :

خاتما عريب

كيف أصبحتَ يا جُعلتُ فِداكا ... إننى أشتكى إليك جَفاكا

قد تمادى بك الجفاءُ وما كنـ ... ـتَ حقيقا ولا حَرِيًّا بذاكا

كُن شبيهاً بمن مضى جعل الله ... ـهُ لكَ العُمْرَ دائماً ورعاكا

إنَّ شهرَ الصيامِ شهرُ فَكاكٍ ... أنتَ فيه ونحنُ نرجو الفكاكا

فارددِ الخاتَمينِ ردًّا جميلا ... قد تَشَهَّيتَ(١) فيهما ما كفاكا

يا أبا عبدِ اللهِ دعوةَ داعٍ ... يرتجى نُجحَ أمره إذْ دعاكا

(٢— يعنى أبا عبد الله بن حمدون والد أبى العبيس المخاطب بهذا الشعر —٢)

خاتماىَ اللذانِ عند أبى العبـ ... ـاس قد شارفا لديه الهلاكا

وهو حُرٌّ وقد حكاكَ كما أنك فى المكرُماتِ تحكِى أباكا

فبعث بالخاتَمين إليه .

وأخبرنى جعفر قال :

زارت عَريبُ إبراهيمَ بنَ المدبر وهو فى داره على الشاطىء فى المُطَيْرة(٣) واقترحت عليه حضور أبى العُبَيس فكتب إليه إبراهيم :

عريب تزوره ، وتستزير أبا العبيس

(١) تشهيت : تمتعت ؛ وفى ب ، س ، جـ ، هد ، هج : « تولعت » .
(٢ — ٢) التكملة من هد و هج .
(٣) المطيرة : قرية من متنزهات بغداد وسامراء .

قل لابنِ حمدونَ ذاكَ الأريبِ وذاكَ الظريفِ وذاكَ الحسيبِ[(١)]
كتابى إليكَ بشكوى غريبِ لوجدٍ شديدٍ وشوقٍ عجيبِ
وَشوْقِى إليكَ كشوقِ الغريبِ إلى أرضِهِ بعد طولِ المغيبِ
ويومِىَ إن أنتَ تمّمتَهُ بقُربكَ ذُو كُلِّ حُسْنٍ وطِيبِ
حَبَانى الزمانُ كما أشتهى بقرب الحبيبِ وبُعْدِ الرقيبِ
فما زلتُ أشربُ من كفِّهِ وأسقيه سقىَ اللطيفِ الأديبِ[(٢)]
ويشكو إلىَّ وأشكو إليهِ بقولٍ[(٣)] عفيفٍ وقولٍ مريبِ
إلى أن بدا لىَ وجهُ الصباحِ كوجهكَ ذاكَ العجيبِ الغريبِ[(٤)]
فلا تُخْلِنا[(٥)] يا نظامَ السرورِ منك فأنت شفاءُ الكئيبِ
وغنِّ لنا هَزَجاً مُطْرِباً تخفُّ له حركاتُ اللبيبِ[(٦)]
فإنكَ قد حُزتَ حسنَ الغناءِ وقد فُزتَ منه بأوفى نصيبِ
وكن بأبى أنتَ رَجْعَ الجوابِ فِداؤكَ أنفسُنا من مُجيبِ[(٧)]

أخبرنى جعفر قال :

يعجبه اللحن فيكمله

غنّى أبو العُبَيس بنُ حَمْدون يوما عند إبراهيم :

(١) البيت من المتقارب دخله الخرم.
(٢) فى ج : « الأريب » .
(٣) هج ، هد : « بفعل عفيف » .
(٤) فى حـ ، هد ، هج : « الحبيب القريب » .
(٥) فى ج : « فلا تخلها » .
(٦) فى م : « يحن إليه فؤاد » .
(٧) فى حـ ، وهج : « من حبيب » .

صوت

إنى سـ ألتك بالذى أدنى إليكَ من الوريدِ
إلّا وصلتَ حبالنا وكفيتنا شرَّ الوعيدِ

١١٩
١٩

فزاد فيه إبراهيم[1] قوله :

الهجرُ لا يستحسنُ بعد المواثقِ والعهودِ
وأراكِ مغراةً به أفما غرضتِ من الصدودِ ؟[2]
إنى أجددُ لذّتى ما لاح لى يومٌ جديدُ[3]
شُربى معتّقة الكرو م ونُزهتى وَرْدُ الْخُدُودِ

ففنى هذه الأبيات أبو العُبَيس متصلة باللحن الأول فى البيتين وصار الجميع صوتاً
واحداً إلى الآن ، والأبيات الأخيرة لإبراهيم بن المدبر والأوّلان ليستا له .

نسبة هذا الصوت

الغناء فى البيتين الأولين خفيف ثقيل مزموم[4] لأبى العبيس ، وفيهما لبنان خفيف
ثقيل آخر مطلق وفيهما لعريب[5] ثانى ثقيل بالوسطى .

قال جعفر : وغنته[6] يوماً كُراعة بسُرّ من رأى ونحن حضور عنده . يكمل لحناً آخر

(١) فى هج : « إبراهيم بن المدبر » .
(٢) مغراة : مولعة من أغرى بالشىء أولع به ، غرضت : ضجرت وملت .
(٣) فى البيت إقواء وفى هج ، هد : « ما دمت فى يوم جديد » .
(٤) مزموم من الزم وهو شد الأوتار .
(٥) فى ب ، س : لريق ، وهو تحريف .
(٦) فى ب ، س : « وغنيته » وهو تحريف .

يا معشرَ الناسِ أما مُسلمٌ ... يشفعُ عند المذنبِ العاتبِ ؟
ذاك الذى يهرُب من وصلنا ... تعلّقوا بالله بالهاربِ

فزاد فيهما قولَه :

أكتمُه حبّى ولكنّه ... ألقاهُ من زُهدٍ عَلَى غاربِى
وقال إنى فى الهوى كاذبٌ ... فانتقمَ اللهُ من الكاذب[1]

٥

حدثنى عمى ، قال : حدثنى محمد بن داود قال :

عود إلى حبس المتوكل له

كتب إبراهيم بن المدبر إلى أبى عبد الله بن حمدون[2] فى أيام نكبته يسأله إذكارَ المتوكّل والفتح بأمره :

كم تُرَى يبقَى على ذَا بدنى ... قد بَلِى من طول همٍّ وضَنى ![3]
أنا فى أسرٍ وأسبابِ رَدًى ... وحديدٍ فادح يكلُمُنى[4]
يابن حمدونَ فتى الجودِ الذى ... أنا منه فى جَنًى وردٍ جَنِى
ما الذى ترقُبُه أم ما ترى ... فى أخ مضطهَدٍ مرتَهَنِ !
وأبو عمرانَ موسى[5] حنقٌ ... حاقدٌ[6] يطلُبنى بالإحَنِ[7]
وعبيدُ اللهِ أيضاً مثلُه ... ونجاحٌ بى مُجِدٌّ مَا يَنِى

١٠

١٥

(١) فى هد ، هج : « انتقم الله » بدون فاء .
(٢) حمدون : أحد ندماء المتوكل .
(٣) ضنى : تعب .
(٤) يكلمنى : يجرحنى .
(٥) أبو عمران موسى بن بغا الكبير أحد قواد المتوكل .
(٦) كذا فى م وفى ب ، س : حاقن ، ولا معنى لها .
(٧) جمع إحنة وهى الحقد والغضب .

٢٠

ليس يثنيه سوى سفك دمى أو يرانى مُدرَجاً فى كفنى
والأميرُ الفتحُ إن أذكرته حُرْمَتى قام بأمرى وعُنى
فألُه(١) صدقٌ حين أدعو باسمه وسرور حين يعرو حَزَنى
قل له: يا حُسْنَ ما أوليتنى مالماً أوليتنى من ثمن
زاد إحسانَك عندى عِظَماً أنه بادٍ لمن يعرفنى
لست أدرى كيف أجزيك به غير أنى مُثقَلٌ بالمِنَن
ما رأى القوم كذنبى عندهم غُنْمُ ذنبى أننى لم أخُن
ذاكَ فعلى وتُراثى عن أبى واقتدائى بأخى فى السُّنَن
سُنّةٌ صالحة معروفة هى منّا فى قديم الزمن
ظَفِرَ الأعداءُ بى عن حيلةٍ ولعل الله أن يظفرنى
ليتَ أنى وهُمُ فى مجلسٍ يَظْهَرُ الحقُّ به للفَطِن
فترى لى ولهم ملحمةً يَهلِكُ الخائنُ فيها والدَّنى
والذى أسألُ أن ينصفنى حاكمٌ يقضى بما يلزمنى
قُل لحمدونَ خليلى وابنه ولعيسى(٢) حرّكوه يا بنى

— يعنى يا بنى الزانية، فلم يزالوا فى أمره حتى خلّصوه —

حدثنى محمد بن يحيى الصولى: قال:

كان إبراهيم بن المدبر يحب جارية للمغنية المعروفة بالبكرية بسُرَّ من رأى فقال فيها:

هل جرب الخمر من قبل؟

(١) فى س: «قال» وهو تحريف. يعنى التفاؤل باسم الفتح بن خاقان.

(٢) يقصد عيسى بن إبراهيم النصرانى كاتب سعيد بن صالح، وكان يسعى على ابن المدبر.

غادرتِ قلبى فى إسار لديكْ فويلتا[١] منكِ وويلى عليكِ
قد يعلمُ اللهُ عَلَى عرشِه[٢] أنى أعانى الموتَ شوقا إليك
يُمْنَى بفكّ الأسر أو فاقةُ لى أيهما أحببتِ من حسنييكْ
قد كنتُ لا أعدى[٣] على ظالم فصرتُ لا أُعدِى على مقلتيكْ
الخمرُ من فيكِ لمن ذاقَهُ والوردُ للناظرِ من وجنتيكْ
يا حسرتا إن متُّ طوعَ الهوى ولم أنلْ ما أرتجيه لديك

وأنشدها أبو عبدِ الله بن حمدونَ هذه الأبيات ، وغنّته بها ، وجعل يكرّر قوله :

* الخمرُ من فيكِ لمن ذاقه *

ويقول : هذا والله قولُ خبيرٍ مجرّب ، فاستحيتْ من ذلك ، وسبّته ، ١٠
إبراهيم ، فبلغه ذلك ، فكتب إلى أبى عبدِ الله يقول :

ألم يَشُقْكَ التماعُ البرقِ فى السحَرِ ؟ بَلى وهيّج من وَجْدٍ ومن ذِكَرِ
ما زال دمعى غزيرَ القَطْرِ مُنسجماً سَحًّا بأربعةٍ تجرى[٤] من الدُّررِ
وقلتُ للغيثِ لما جادَ وَابِلُه وما شجانى من الأحزان والسّهَرِ
يا عارضاً ماطراً أمطِرْ على كبدى فإنّها كَبِدٌ حَرّى من الفِكَرِ ١٥
لشدَّ ما نالَ منّى الدهرُ واختلَفَتْ يدُ الزمان وأوهتْ من قُوى مِررَى[٥]

(١) كذا فى ف ، وفى ج : « فالويل لى منك » وفى هد : « غودر قلبى » .
(٢) كذا فى ب وفى حـ ، هج : « فليعلم الله تعالى اسمه » .
(٣) لا أعين : وفى ب : « أعدو » ولا معنى له .
(٤) فى هد : « تهمى » بدل « تجرى » . ٢٠
(٥) مررى : قواى ، جمع مرة .

يا واحدى من عباد الله كلّهم ويا غنائى(١) ويا كهفى ويا وزرى
أحين أنشدتَ شعرى فى مُعذّبتى أما رثيتَ لها من شدة الحَصَر؟
وما شفعتَ بها شعرى وقلتَ به فى ريقها البارد السلسال ذى الخَصَر(٢)
لبئس مستنصحًا فى مثل ذلك يا نفسى فداؤك من مستنصح غَدِرِ
واليوم يوم كريم ليس يُكرمُه إلّا كريمٌ من الفتيان ذُو خَطَرِ
فاستَدِمِ اللهَ فاصبَحْه(٣) بصُحبته مُباكراً فألذُّ الشُّرب فى البُكَرِ
وأجمع نداماكَ فيه واقترح رَمَلاً صوتًا تغنّيه ذاتُ الدَّلّ والخَفَرِ
يرتاح للدَّجْن(٤) قلبى وهو مقتسَمٌ بين الهموم ارتياحَ الأرضِ للمطَرِ
يا غادراً يا أحبَّ الناسِ كلّهمُ إلىّ واللهِ من أنثى ومن ذَكَرِ
ويا رجائى ويا سُؤلى ويا أملى ويا حياتى ويا سمعى ويا بصرى
ويا مُناىَ ويا نورى ويا فرَحى ويا سرورى ويا شمسى ويا قمرى
لا تقبلى قولَ حسّادى علىّ ولا(٥) والله ما صدقوا فى القول والخبَرِ
أدالنى(٦) اللهُ من دهرٍ يُضعضعُنى(٧) فقد حُجِبتُ عن التسليم والنظَرِ
إن يحجُبوا عناه فى تقديرهم بصرى فكيف لم يحجُبُوا ذِكرى ولا فِكَرى؟

(١) فى حـ : «غيائى».
(٢) الخصر : البرد ، والفعل خصِر .
(٣) كذا فى ف ؛ وفى ب ، س : «فاصحبه».
(٤) جـ ، هج : «للذكر» ، بدل «الدجن».
(٥) فى حـ ، هد : «فلا».
(٦) أدالنى : نصرنى .
(٧) فى جـ : «يضعفنى» بمعنى يهدمنى .

يا قوم قلبي ضعيفٌ من تذكُّرها وقلبُها فارغٌ أقسى من الحجَرِ
الله يعلم أنّي هائم دَنِفٌ بغادةٍ أيّمَا حَظٍّ من البَشَرِ

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدثني عبد الله بن محمد المرْوَزي، قال: حدثني الفضل بن العباس بن المأمون، قال:

مجلس من مجالسه

زارتني عَريبُ يوما ومعها عِدّةٌ من جواريها، فوافتنا ونحن عَلَى شرابنا، فحدثتنا معنا ساعة، وسألتُها أن تقيمَ عندنا، فأبَتْ، وقالت: قد وعدتُ جماعة من أهل الأدب والظَّرف أن أصيرَ إليهم، وهم في جزيرة المربد[1]، منهم إبراهيم بن المدبر، وسعيد بن حميد، ويحيى بن عيسى بن منارة، فحلفت عليها، فأقامت. ودعت بدواة وقرطاس وكتبت إليهم سطراً واحداً: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ أردتُ، ولولا، ولعلي.

ووجهت الرقعة إليهم، فلما وصلت قرءوها، وعَيُوا بجوابها، فأخذها إبراهيم بن المدبّر، فكتب تحت أردت «ليت» وتحت لولا «ماذا»؟ وتحت لعلي «أرجو» ووجّه بالرقعة إليها، فلما قرأتْها طربت ونعرَت[2]، وقالت: أنا أترك هؤلاء وأقيمُ عندكم؟ تركني الله إذاً من يديه، وقامت فمضت، وقالت لكمْ فيمن أتخلّفه عندكم من جواريّ كفاية[3].

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثني عبد الله بن المعتز، قال:

عريب تتدلل في حبه عند مكاتبتها له

قرأت في مكاتبات لعَريب فصلا من جواب أجابت به إبراهيم بن المدبّر

(١) كذا في ف؛ باقي النسخ «المؤيد»؛ تصحيف.
(٢) نعرت: صوتت بخيشومها.
(٣) تخلفه فلان فلانا: جعله خلفه، وفي هد، هج: «لكم في جواري الكفاية».

مكاتبة بديعة بعيادة : قد استبطأتُ عيادتكَ — قُدِّمتُ قبلاءَ —[1] وعَذَرْتك ، فما ذكرت عذرا ضعيفا لا ينبغى أن يفرح به[1] . فاستديم الله نعمه عندك .

قال وكتبت إليه أيضا :

أستوهب الله حياتكَ ، قرأت رقعتكَ المسكينة التى كأنّها مسألتك[2] عن أحوالنا ،
٥ ونحن نرجو من الله أحسن عوائده عندنا وندعوه ببقائك ، ونسأله الإجابة فلا تُعوِّد نفسكَ جعلنى الله فداءها — هذا الجفاء ، والثقةَ منى بالاحتمال وسرعة الرجوع .

وكتبت إليه وقد بلغها صومُه يوم عاشوراء :

قَبِل الله صومَكَ وتلقّاه بتبليغكَ ما التمست ، كيف ترى نفسك ؟ — نفسى فداؤك — ولم كدَّرت جسمك فى آبٍ[3] ، أخرجه الله عنك فى عافية ، فإنّه فظ
١٠ غليظ وأنت محرور[4] ، وإطعامُ[5] عشرة مساكين أعظمُ لأجرك ، ولو علمتُ لصمتُ لصومك مساعدةً لك وكان الثواب فى حسناتكَ دونى ، لأن نيتى فى الصوم كاذبة .

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :

اتصلت لعريب أشغال دائمة فى أيام تركوا رسى[6] ، وخدمتها فيما هنالك . فلم يرها إبراهيم بن المدبّر مدة ، فكتب إليها :

١٥ (١ —١) التكملة من هد .
(٢) كأنها ، يتعدى إلى المفعول الثانى بنفسه .
(٣) آب : شهر أغسطس . وفى هد : « ولم كدرت نفسك بالصوم فى آب » .
(٤) محرور : يجد بصدره حرارة .
(٥) فى هد : والطعام عشرة . . .
٢٠ (٦) كذا فى الأصل ولم نقف له على معنى .

صوت

إلى الله أشكو وحشتى وتفجُّعى — وبعدَ المدَى بينى وبين عَريبِ
مضى دونها شهران لم أحلَ فيهما — بعيشٍ ولا من قُربها بنصيبِ
فكنتُ غريبًا بين أهلى وجيرتى — ولستُ إذا أبصرتُها بغريبِ ١٢٢
وإنّ حبيبًا لم يرَ النّاسُ مثلَه — حقيقٌ بأن يُفدَى بكلِّ حبيبِ ١٩

٥ لعَريبَ فى هذه الأبيات خفيفُ ثقيل من رواية ابن المعتز، وهو من مشهور غنائها .

وقال ابن المعتز فى ذكره مكاتبات عَريب إلى إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إليها يشكو علته :

عود إلى مكاتبات عريب

كيف أصبحتَ أنعم الله صباحكَ ومبيتَك؟ وأرجو أن يكون صالحًا، وإنما أردتَ إزعاج قلبى فقط . ١٠

وكتبتْ إليه تدعو له فى شهر رمضان :

أُفديك بسمعى وبصرى وأهلَّ اللهُ هذا الشهرَ عليك باليُمن والمغفرة، وأعانك على المفترَض فيه والتنفّل، وبلّغك مثلَه أعوامًا، وفرَّج عنك وعنّى فيه .

قال وكتبتْ إليه :

١٥ فداؤك السمعُ والبصرُ والأمُّ والأبُ ومن عرفنى وعرفتُه . كيف ترى نفسَك وُقِّيتَها الأذى؟ وأعمى الله شانئَك، ومقّه[1] الله عند هذه الدعوة، وأرجو أن تكون قد أُجيبتْ إن شاء الله، وكيف ترى الصوم؟ عرّفك الله بركته، وأعانك على طاعته، وأرجو أن تكون سالما من كل مكروه بحول الله وقوّته، وواشوقى إليكَ وواحشتى لكَ، ردّك الله إلى أحسنِ ماعوّدك، ولا أشمتَ بى فيك عدوًّا ولا حاسدًا .

٢٠ وقد وافانى كتابُكَ لاعدمتُه إلّا بالغنى عنه بك، وذكرت حامله، فوجّهتُ رسولى إليه

(١) المراد أهلكه، من مقّ الحالمة : شقّها للأبار . وفى ب، س : «أمقه»، وفى هد : «وعطّه الله عند هذه الدعوة» .

ليدخله ، فأ... أله عن خبرك ، فوجـ ـدته ...صرفا ، ولو رأيته لفرشـ... خدّى له ، وكان لذلك أهلا .

وكتب ... إليه وقد عتب ... عليه فى شىء بلغها عنه :

وهب الله لنا بقاءك ممتّعاً بالنعم ، مازلتُ أمس[1] فى ذكرك ، فمرة بمدحك ، ومرة

٥ بشكرك ، ومرة بأكل ... وذكرك بما فيك لوناً لونًا . اجحد ذنبك الآن ... وهات حُجَجَ الكتّاب وتفاة ... م ، فأما خبرنا أمس فإماشر بنامن مُضاة نبيذك على تذكارك رطلاً رطلاً ، وقد رفعنا ... اننا إليك ، فارفع حـ... بانك إلينا ، وخبّرنا من زارك أمس وألهاك ، وأى شىء كانت القصة على جهتها ؟ ولا تُخطرف[2] ، فتحوجنا إلى كشفك والبحث عنك[3] ، وعن حالك ، وقل الحقّ ، فمن صدق نجا ، وما أحوجك إلى تأديب ، فإنك لا تحسن أن

١٠ تؤدّبه ، والحقّ أقولُ إنه يعتريك كُزاز[4] شديد يجوز حدّ البرد . وكفاك بهذا من قولى عقوبة ، وإن عدت سمعت أكثر من هذا ، والسلام .

حدثنى عمى قال : حدثنى محمد بن داود قال :

كان عيسى بن إبراهيم النصرانى المكنى أبا الخير كاتب سعيد بن صالح ... على إبراهيم ابن المدّبر فى أيام نكبته ، فلما زالت ، ومات سعيد نُكب عيسى بن إبراهيم وحُبس

١٥ ونُهبت دارهُ فقال فيه إبراهيم بن المدبر :

يشمت فى الشامت به

قل لأبى الشرّ إن مررتَ به ... مة الله عُريت من الأدنس[5]

ألبسـك اللهُ من قوارعه ... آخذةً بالخناق والنفس

(١) كذا فى جـ وفى هد ، هج : « أدس » تصحيف .

(٢) لا تخطرف : لا تجاوز الحقيقة .

٢٠ (٣) كذا فى جـ وفى س وب : « عليك » وهو تحريف .

(٤) « إنه يعتريك كزاز » المراد الانقباض والانزواء ، والكزاز أصله داء من شدة البرد ، وفعله كز .

(٥) هد : عريت من الدنس » .

لا زلتَ يابن البظراء مرتهنًا في شرِّ حال ومن ضيقٍ محتبَس
أقول لما رأيتُ منزلَه منتَهباً خالياً من الأنَسِ[1]
يا منزلاً قد عفَا من الطفَس[2] وساحةً أُخليتْ من الدَّنس
من لاقترافِ الفحشاء بعد أَبى الشرّ ومن للقبيح والنجِسِ ؟

أخبرنى جعفرُ بنُ قُدامة قال :

ولىَ إبراهيمُ بنُ المدبر بعد نكبته وزوالها عنه الثغورَ الجزرية[3] ، فكان أكثر مقامه بمنبج[4] ، فخرج فى بعض أيام ولايته إلى نواحى دَلوك[5] ورعبان[6] ، وخلّف بمنبج جاريةً كان يتحظاها مغنية يقال لها غادر ، فحدثنى بعضُ كتابه أنه كان معه بدَلوك ، وهو على جبل من جبالها ، فيه دَيْرٌ يُعرف بدير سليمان من أحسن بلاد الله وأنزهها ، فنزل عليه ودعا بطعام خفيف ، فأكل وشرب ، ثم دعا بدواة وقرطاس فكتب :

تحية إلى أحبابه من الدير

١٢٣
١٩

أياساقيَينا[7] وسْطَ دَيْرِ[8] سليمانِ أديرا الكئوسَ فانهلانى وعُلاَّنى
وخُصَّا بصافيها أبا جعفر أخِى وذا ثقتى بين[9] الأنام وخُلصانى[10]
وميلاَ بها نحو ابنِ سَلاَّمٍ الذى أودُّ وعُودَا بعد ذاك لنعمانِ

(١) الأنس : المؤانسين جمع أنيس .
(٢) الطفس : الدنس .
(٣) تشمل أنطاكية ومرعش ، وف : « الخزرية » ، وفى س ، ب : « الجزوية » وهو تحريف .
(٤) منبج : من أعمال حلب شمالى الشام .
(٥) دلوك ، بفتح الدال كما فى القاموس ومعجم ما استعجم ، وفى ياقوت بالضم : بليدة من نواحى حلب .
(٦) فى س ، ب رعيان ، بالياء وهو تحريف : مدينة بين حلب وسميساط .
(٧) فى س وب : « ياساقييا » وهو تحريف .
(٨) دير سليمان : قرب دلوك مطل على مرج العين ، وهو فى غاية النزاهة .
(٩) فى م ، ب « دون » .
(١٠) الخالص من الإخوان يستوى فيه الواحد والجمع .

وعهدًا بها الندمان والصحبَ إننى ... تذكّرتُ عيشى(١) بعدصحبى وإخوانى
ولا تتركا نفسى تمُتْ بسقامها ... لذكرى حبيب قد شجانى وغنّانى(٢)
ترحّلتُ عنه عن صدود وهجرة ... وأقبل نحوى وهو باكٍ فأبكانى
وفارقتُه واللهُ يجمع شملنا ... بلَوعة(٣) محزون وغُلّة حرّان
وليلة عين المَرْج(٤) زار خيالُه ... فهيّج لى شوقا وجدّد أشجانى
فأشرفت أعلى الدّيْر أنظر طامحًا ... بألمح آماقٍ وأنظَرِ إنسان
لعلّى أرى أبياتَ منبج رؤية ... تُسكّنُ من وجدى وتكشفُ أحزانى
فقصّر طرفى واستهلّ بعَبرة ... وفدّيتُ من لوكان يدرى لفدّانى
ومثّله شوقى إليه مقابلى ... وناجاهُ قلبى بالضمير وناجانى(٥)

قرأت على ظهر دفتر فيه شعر إبراهيم بن المدبر أهداه مجموعا إلى أخيه أحمد، فلما وصل إليه قرأه وكتب عليه بخطه:

أبا إسحاقَ إن تكن الليالى ... عطفنَ عليكَ بالخطب الجسيمِ
فلم أرَ صرفَ هذا الدهرِ يجرى ... بمكروه على غير الكريمِ

أخبرنى جعفر بن قدامة قال: حدثنى ميمونُ بنُ هارون قال:

اجتمعتُ مع عريب فى مجلس أنسٍ بسرّ من رأى عند أبى عيسى بن المتوكل، وَإبراهيمُ بن المدبر يومئذ ببغداد، فمرّ لنا أحسنُ يوم، وَذكرتْهُ عريبُ فتشوّقته

(١) فى ب، س: «عيش».
(٢) فى ياقوت: «قد سقانى وغنانى».
(٣) فى ب، س: «بكرعة» وهو تحريف.
(٤) عين المرج: قرية من نواحى سامراء وكانت من متنزهات بغداد.
(٥) فى ياقوت: «وناجاه عنى بالضمير».

وأحسنت الثناء عليه والذكر له ، فكتبتُ إليه بذلك من غد، وشرحته له ، فأجابنى عن كتابى وكتب فى آخره :

أتعلم يا ميمونُ ماذا تُهيجهُ ... بذكرك أحبابى وحفظهم العهدا
ووصف عريب فى كريم وفائها ... وإجمالها ذكرى وإخلاصها الودّا ؟
عليها سلامى إن تكن دارُها نأتْ ... فقد قرّب الله الذى بيننا جدّا
سقى الله داراً بعدنا جمعتكمُ ... وسكّن ربُّ العرش ساكنها الخُلدا[1]
وخصّ أبا عيسى الأميرَ بنعمة ... وأسعد فيما أرتجيه له الجَدّا
فما ثَمّ من مجدٍ وطَوْلٍ وسُودَد ... ورأى أصيلٍ يصدَع الحجَر الصَّلْدا

حدثنى جحظةُ قال : حدثنى عبد الله بن حمدون قال :

اجتمعت أنا وإبراهيم بن المدبر وابن مسارة والقاسم وابن زُرزُور فى بستان بالمطيرة فى يوم غيم يُهريق رذاذه ويتطلّع أحسن قَطْر ، ونحن فى أطيب عيش وأحسن يوم ، فلم نشعر إلا بعريب قد أقبلت من بعيد ، فوثب إبراهيم بن المدبر من بيننا ، فخرج حافيا ، حتى تلقّاها وأخذ بركابها[2] ، حتى نزلتْ وقبّل الأرضَ بين يديها ، وكانتْ قد هجرته مدّة لشىء أنكرته عليه ، فجاءتْ وجلستْ وأقبلتْ عليه معتذرة ، وقالتْ : إنما جئتُ إلى مَنْ هاهنا لا إليكَ . فاعتذَر وشفّعْنا[3] قوله ، وشفعناه . فرضيتْ وأقامت عندنا يومئذ وباتتْ ، واصطبحْنا من غد ، وأقامت عندنا فقال إبراهيم :

ما بينه وبين عريب

١٢٤
١٩

(١) فى ف ، مج ، هد : رب الخلد .
(٢) الركاب : حديدة معلقة فى السرج يستعان بها على الركوب ، والجمع ركب ككتب .
(٣) شيعنا : قوينا .

صوت

بأبي من حقّقَ الظن به   فأتانا زائراً مُبتديا
كان كالغيث تراخى مُدّةً   وأتى بعد قُنوطٍ مُرويا
طاب يومانِ لنا في قُربه   بعد شهرين لهجرٍ مَضَيا
٥ فأقرّ اللهُ عيني وشفى   سَقَماً كان لجسمي مُبليا

لعريب في هذا الشعر لحنان : رَمَل وهزَج بالوسطى .

من شعره في عريب

أنشدني الصولىّ رحمهُ الله لإبراهيم بن المدبر في عريب :

زعموا أني أحبُّ عَريبا   صدقوا واللهِ حُبًّا عجيبا
حلّ من قلبي هواها مَحلاً   لم تَدَعْ فيه لخلق نصيبا
١٠ ليقلْ مَن قَدْ رأى الناس قِدْماً:   هل رأى مثلَ عَريبَ عَريبا ؟
هي شمسٌ والنساء نجومٌ   فإذا لاحت أفلن غُيوبا

وأنشدني الصولىّ أيضا له[1] فيها :

ألا يا عريبُ وُقيتِ الرّدى   وجنّبكِ اللهُ صَرْفَ الزمنْ
فإنك أصبحتِ زينَ النساء   وواحدة الناس في كل فَنّْ
١٥ فقربُكِ يُدني لذيذَ الحياةِ   وبعدُكَ ينفي لذيذَ الوَسَنْ
فنعم الجليسُ ونعم الأنيسُ   ونعم السميرُ ونعم السَّكن[2]

(١) هذا الخبر زيادة من ف .
(٢) السكن : ما يسكن إليه ويستأنس به .

وأنشدني أيضاً له :

إن عريبا خلقت وحدها في كل ما يحسن من أمرها
ونعمة لله في خلقه يقصر العالم عن شكرها[1]
أشهد في جاريتيها على أنهما مخبرتا دهرها
فبدعة تبدع في شدوها وتحفة تتحف في زمرها
يارب أمتعها بما خولتها وامدد لها يا رب في عمرها

أخبرنا أبو الفياض سوار بن أبي شراعة القيسي البصري قال :

كان إبراهيم بن المدبر يتولى البصرة ، وكان محسنا إلى أهل البلد إحسانا يعمهم ، ويشتمل على جماعتهم[2] نفعه ، ويخصنا من ذلك بأوفر حظ وأجزل نصيب ، فلما صرف

أبو شراعة يودعه

عن البصرة شيعه أهلها ، وتفجعوا لفراقه وساءهم صرفه ، فجعل يرد الناس من تشييعهم على قدر مراتبهم[3] في الأنس به ، حتى لم يبق معه إلا أبي ، فقال له: يا أباشراعة ، إن المشيع مودع لا محالة ، وقد بلغت أقصى الغايات ، فبحقي عليك إلا انصرفت ، ثم قال : يا غلام احمل إلى أبي شراعة ما أمرتك له به ، فأحضر ثيابا وطيبا ومالا ، فودعه أبي ، ثم قال :

يا أبا إسحاق سر في دعة وامض مصحوبا فما منك خلف
ليت شعري أي أرض أجدبت فأغيثت بك من جهد العجف[4] ؟

١٢٥
١٩

(١) كذا في ف .
(٢) في هج : ويشمل جماعتهم .
(٣) هج : « على قدر منازلهم » .
(٤) العجف : الهزال الشديد .

نزل الرُّحْمُ[1] من الله بهم / وحُرِمناه لذنب قد سلفْ
إنما أنت ربيعٌ باكرٌ / حيثُما صرّفه الله انصرفْ

أخبرني عليّ بن العباس بن طلحة الكاتب قال:

قرأتُ جوابا بخط إبراهيمَ بنِ المدبر في أضعاف رقعة كتبتْها إليه عريبُ، فوجدته قد كتب تحت فصل من الكتاب تسأله فيه عن خبره.

قلبه عند عريب

وساءلتموه بعدكم كيف حالُه / وذلك أمر بيّنٌ ليس يُشكِلُ
فلا تسألوا عن قلبه فهْو عندكم / ولكن عن الجسم المُخلَّف فاسألوا

أخبرني عليّ بنُ العباس[2] قال: حدثني أبي قال:

كنتُ عند إبراهيم بنِ المدبّر، فزارته بدعةُ وتُحفةُ وأخرجتا إليه رقعةً من عريب فقرأناها فإذا فيها:

لا يسر وعريب نازحة

بنفسي أنت وسمعي وبصري، وقلّ ذاك لك، أصبح يومنا هذا طيّبا، طيّب الله عيشَك، قد احتجبتْ سماؤه ورقّ هواؤه، وتكامل صفاؤه، فكأنه أنت في رقة شمائلك وطيب محضرك ومخبرك، لافقدتُ ذلك أبداً منك، ولم يصادف حسنُه وطيبُه مني نشاطاً ولا طرباً لأمور صدّتني عن ذلك، أكره تنغيص ما أشتهيه لك من السرور بنشرها. وقد بعثتُ إليك ببدعةَ وتحفةَ ليؤنساك وتُسَرّ بهما. سرّك الله وسرّني بك!

فكتب إليها يقول:

كيف السرورُ وأنتِ نازحةٌ / عنّي وكيف يسوغُ لي الطربُ!
إن غبتِ غاب العيشُ وانقطعتْ / أسبابهُ وألحّت الكُرَبُ

وأنفذ الجواب إليها، فلم يلبث أن جاءت، فبادر إليها، وتلقاها حافيا حتى جاء بها على

(١) الرحم هنا: الرحمة.
(٢) في هج: علي بن العباس بن أبي طلحة الكاتب.

حمار مصرى كان تحتها إلى صدر مجلسه، يطأ الحمارُ عَلَى[1] بساطه وما عليه، حتى أخذ بركابها، وأنزلها في صدر مجلسه وجلس بين يديها، ثم قال:

ألا رب يوم قصّر اللهُ طولَه ... بقرب عريبٍ حبّذا هو من قُربِ

بها تحسُن الدنيا وينعَم عيشُها ... وتجتمع السرّاء للعين والقَلْبِ

حدثني عليّ بن سليمان قال: أنشدني أبي قال:

أنشدني[2] إبراهيم بن المدبر، وقد كتب إلى بِدعة وتحفة يستدعيهما، فتأخّرتا عنه فكتب إليهما:

من شعره في جاريتي عريب

قل يا رسول لهذه ... ولهذه بأبي هُمَا

قد كان وصلكما لنَا ... جَدَداً فَفيم قَطَعْتُمَا؟

أعريبُ سيّدةُ النسا ... ء بهجرنا أمرتْكُمَا؟

كلاّ وبيت الله بل ... هذا جفاءٌ منكما

وأنشدني عليّ بنُ العباس لإبراهيم بن المدبر، وفيه لعَرِيبَ هَزَج، وقال:

صوت له غنته عريب ١٢٦ ١٩

ألا يا بأبي أنتمْ ... نأت دارٌ بنا عنكمْ

فإن كنتُم تبدلتُمْ ... فما مِنْ بَدَلٍ منكمْ

وإن كنتُم عَلَى العَهدِ ... فأحسنتُم وأجملتمْ

ويا ليت المنى حقّت ... فَتبديها ولا تَكتُمْ

فكنتُم حيثما كنا ... وكنّا حيثما كنتمْ

وحدثني عليّ قال: حدثني أبي قال:

(١) الفعل متعد بنفسه، واستعمله اللسان كما جاء هنا فقال في مادة وطأ: لأن من يطأ على الشيء برجله فقد استقصى في هلاكه وأهانته.

(٢) في س و ب زيادة «أبي».

دخلتُ ليلة على إبراهيم بن المدبر فى أيام نكبته ببغدادفى ليلة غيم ، فلاح برقٌ من قطر الشمال ونحن نتحدث ، فقطع الحديثَ ، وأمسك ساعة مفكراً ، ثم أقبل علىّ فقال :

من شعره فى سجنه

بارقٌ شرَّد الكرى لاح من نحوِ ما ترَى

٥ هاج للقلب شجوَه فاعْترَى منه ما اعترى

أيها الشادنُ(١) الذى صاد قلبى وما درَى

كن عليما بشِقْوتى فيك من بينِ ذا(٢) الورَى

وحدثنى عن أبيه قال :

عود إلى جاريتى عريب

كنت عند إبراهيم بن المدبر فزارته بِدعةُ وتُحفةُ وأقامتا عنده ، فأنشدنا

١٠ يومئذ :

أيها(٣) الزائران حيا كما الله ومن أنتما له بالسّلامِ

ما رأينا فى الدهر بدرا وشمسا طرَقا ثم رجّعا(٤) بالكلامِ

كيف خلّفتما عَريبا سقاها الله ربُّ العبَاد صوبَ الغمَامِ

هى كالشمس والحسانُ نجوم ليس ضوءُ النهار مثلَ الظلامِ

١٥ جمعت كلّ ما تفرّق فى النا س وصارت فريدةً فى الأنامِ

وأنشدنى عن أبيه لإبراهيم بن المدبر وهو محبوس :

(١) الشادن : ولد الظبى .

(٢) فى س و ب : « ذى » :وهو تحريف .

(٣) فى س و ب : « أيهما » وهو تحريف وفى هد : أيها الراكبان .

٢٠ (٤) الترجيع فى الأصل ؛ ترديد الصوت على نحو ما يفعل المحنون ، والمراد هنا تكرار الاستئذان ، وفى هج : ثم رجعنا فى الكلام .

شعره فى سجنه

وانى لأستنشى[1] الشمال إذا جرتْ حنيناً إلى ألّاف قلبى وأحبابى
وأهدى مع الريح الجنوب إليهمُ سلامى وَشكوَى طول حُزنى وأوصابى
فياليت شعرى هل عريبٌ عليمةٌ بذلك أو[2] نام الأحبة عما بى ؟

حدثنى عمى ، عن محمد بن داود قال :

يعاتب صديقه أبا الصقر

كان إبراهيم بن المدبر صديقَ أبى الصقر اسمعيل بن بُلبُل فلم يرض فعله لمّا نُكب ولا نيابتُه عنه فقال فيه : ٥

لا تُطِل عذلى عناء[3] إن فى العذل بلاء[4]
لست أبكى بطن مرٍّ[5] فكديّا[6] فكَداء[7]
إنّما أبكى خليلا خانَ فى الود الصفاء
يا أبا الصقر سقاك الله تَهتانا[8] رواء[9] ١٠
وَأدام الله نُعما كَ وَملاّك[10] البقاء
لِمْ تجاهَلتَ ودادِى وَتناسيتَ الإخاء ؟

(١) أستنشى : أشم ، وفى س ، ب : «لأستنشى» وفى هد هج : «إنى لأستنشى» بلا واو ، فيكون فى البيت خرم .
(٢) فى ب ، س : « أم » . ١٥
(٣) فى س وب : « عيًّا » .
(٤) فى س ، ب : « عياء » .
(٥) بطن مر : من نواحى مكه يجتمع عنده وادى النخلتين .
(٦) بأسفل مكة عند ذى طوى بقرب شعب الشافعيين .
(٧) بأعلى مكة عند المحصب . ٢٠
(٨) تهتانا : مطرا متتابعا .
(٩) رواء : كثيرا مرويا .
(١٠) ملاك : أمتعك .

كنتَ بَرًّا فعلى رأ سى تمأمت الجفاء
لا تميلنّ مع الري ح إذا هبّتْ رُخاء
ربّما هَبّتْ عقيما(١) تترك الدنيا هَباء

أخبرني عليّ بن العباس قال : حدثني أبي قال :

٥ كنت عند إبراهيم بن المدبر وزارته عَريبُ . فقال لها : رأيت البارحة في النوم أبا العبيس وَقد غنى في هذا الشعر وأنت تراسلينه فيه : ١٢٧ ١٩

يا خليلىّ أرِقْنا حَزَنَا ليّنا برقٍ بدّى مَوْهنا(٢) حلم يتحقق

وَكأني أجزته بهذا البيت وسألتكما أن تضيفاه إلى الأول :

وجلا عن وجهٍ دعدٍ مَوْهِنا عجباً منه لنا أبدى سَنَا

١٠ فقالت : ما أملح والله الابتداء والإجازة ! فاجعل ذلك في اليقظة ، واكتب إلى أبي العبيس وسله عنى وعنك الحضورَ ، فكتب إليه إبراهيم :

يا أبا العباسِ يا أفتى الورى زار ناطيفُك في سُكْرِ الكرَى
وتغنّى لىَ صوتاً حسناً في سنا برقٍ على الأفق سرَى
وعريبٌ عندنا حاصلةٌ(٦) زينُ مَنْ يمشى على وجه الثّرى
١٥ نحن أضيافُكَ في منزلنا نتمنّاكَ فكن أنت القِرَى

قال : فسار إليهما أبو العبيس ، وحدثه إبراهيم برؤياه ، فحفظا الشعر ، وَغنّيا فيه بقية يومهما :

(١) عقيما : لا خير فيها .
(٢) موهن ، نحو نصف الليل .
٢٠ (٣) في هد : « حاضرة » .

صـ وت

ألا حىِّ قبل البين من أنت عاشقُهْ ... ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ

ومن لا تواتى داره غيرَ فَيْنَةٍ[1] ... وَمن أنت تبكى كلَّ يوم تُفارقُه

الشعر لقيس بن جَرْوَة الطائى الأجَئِىّ ، قاله فى غارة أغارها عمرُو بنُ هند على إبل الطائىّ فحرّض زُرارة بن عُدَس عمرو بن هند على طيّء وقال له : إنهم يتوعّدونك ، فغزاهم واتصلت الأحوال إلى أن أوقع عمرو ببنى[2] تميم فى يوم أوارة[3] وخبر ذلك يذكر هاهنا ؛ لتعلّق بعض أخباره ببعض .

والغناء لإبراهيم الموصلى ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى ومِنْ مجموع غناء إبراهيم .

(١) الفينة : الحين .

(٢) كذا فى جـ ، وفى س ، ب ، ف : « ابن ».

(٣) أوارة : اسم ماء أو جبل لبنى تميم بناحية البحرين ؛ وقد أوقع فيه عمرو بن هند ببنى تميم .

ذكر الخبر فى هذه الغارات والحروب

نسخت ذلك من كتاب عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات بخطه ، وذكر أن أحمد ابن الهيثم بن فراس [1] أخبره به عن العمرى عن هشام بن الكلبى عن أبيه وغيره من أشياخ طيّئ . قال : وحدثنى محمد بن أبى السرى عن هشام بن الكلبى قالوا :

يوم أوارة

كان من حديث يوم أوارة أن عمرو بن المنذر بن ماء السماء — وهو عمرو بن هند يعرف باسم أمه هند بنت الحارث الملك المقصور بن حُجْر آكل المُرار [2] الكندى وهو الذى يقال له مُضَرِّط الحجارة — أنه كان عاقد هذا الحى من طيّئ على ألا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ، وأن عمرو بن هند غزا اليمامة ، فرجع مُنْفِضا [3] فمر بطيّئ ، فقال له زُرَارة بن عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم الحنظلى : أبيت اللعن! أصب من هذا الحى شيئا ، قال له : ويلك ، إنّ لهم عَقْدا ، قال : وإن كان ، فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذوادًا [4] . فقال فى ذلك الطائى ، وهو قيس بن جَروة أحد الأجئين [5] قال :

قيس بن جروة يتهدد عمرو بن هند

ألا حىِّ قبل البين من أنت عاشقُهْ ... ومن أنت مشتاقٌ إليه وشائقُهْ

ومن لا تُوَاتى دارُه غيرَ فَيْنةٍ ... ومن أنت تبكى كلَّ يومٍ تُفارقُهْ

وتعدو بصحراء الثويّة [6] ناقتى ... كعدو النَّحوص [7] قد أمخّت [8] نواهقُهْ [9]

(١) وفى س ، ب : « الفراس » .

(٢) المرار : شجر من أفضل العشب ، وأضخمه إذا أكلته الإبل قامت مشافرها .

(٣) منفضا : نافد الزاد .

(٤) الذود : جماعة الإبل من ثلاث إلى عشر ولا يكون إلا من الإناث .

(٥) فى س ، ب : الأحيين ، وهو تحريف ، والنسبة إلى أجأ .

(٦) الثوية : موضع قرب الكوفة .

(٧) النحوص : الأتان لا ولد لها ولا لبن فيها ، وفى هج : « كعد و رباع » .

(٨) أمخت : صار لها مخ .

(٩) النواهق : عظام شاخصة من ذى الحافر فى مجرى الدمع ، والمراد أنها سمينة .

١٢٨ ١٩

إلى الملك الخير ابن هند تزوره وليس من الفوت الذى هو سابقه[١]

وإنّ نساء هنّ ما قال قائل غنيمةُ سوء بينهنّ مَهارقه[٢]

ولو نيل فى عهدٍ لنا لحمُ أرنبٍ رَدَدْنا وهذا العهد أنتَ مُعالقه[٣]

فهبك ابنَ هند لم تَعُقك أمانةٌ وما المرء إلا عَقده ومَواثِقُه

وكنا أناسا خائفين بذمةٍ يسيل بنا تلْع[٤] المَلا[٥] وأبارقه[٦]

فأقسمتُ لا أحتلُّ[٧] إلا بصهوةٍ[٨] حرامٌ علىّ رَملُه وشقائقه[٩]

وأقسم جَهدا بالمنازِل من مِنًى وما خبّ[١٠] فى بطحائهن دَرادِقُه[١١]

لئن لم تغيِّر بعضَ ما قد فعلتمُ لأنتحينّ[١٢] العظم ذو أنا[١٣] عارقه[١٤]

(١) فى ب ، س : « سائقه » .

(٢) المهرق: ثوب أبيض أو ورق يكتب عليه العهود وما أريد بقاؤه على الدهر ، والمعنى : أن النساء اللاتى سباهن الملك وحسّن له بعض الناس الإيقاع بهن غنيمة شر لا ينتفع بها إذ قد سبق عهد الملك لهن بالأمان .

(٣) معالقه : متعلق بذمتك ، والمعنى لو صاد أحد أرنبا فى حمانا لاقتصصنا منه وفاء بعهدنا فكيف بك لاتحمى نساء تعهدت لهن ! .

(٤) تلع : جمع تلعة وهى ماعلا من الأرض أو ماسفل منها والمراد الثانى .

(٥) الملا : الصحراء .

(٦) أبارق : جمع أبرق : أرض غليظة فيها حجارة ورمل وطين .

(٧) أحتل : أنزل .

(٨) صهوة : برج يتخذ فى أعلى الرابية .

(٩) شقائق : جمع شقيقة وهى أرض صلبة بين رياض تنبت العشب والشجر .

(١٠) الخبب : سير يراوح الفرس فيه بين يديه ورجليه .

(١١) درادق : جمع دردق كعسكر : صغار الإبل .

(١٢) لأنتحين : لأقصدن ، يريد لأصيبن هذا العظم .

(١٣) كذا فى ف واللسان وفى س ، ب : أنت .

(١٤) عرق العظم : أخذ اللحم الذى عليه كله ، وفى س ، ب ، جـ : « غارقه » ، وهو تحريف .

١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥

فرمى عارقا بهذا البيت . فبلغ هذا الشعر عمروَ بنَ هند ، فقال له زُرارة بن عُدَس : أبيتَ اللعن ، إنه يتوعّدك . فقال عمرو بن هند لتُرملة[1] بن شُعاث الطائى وهو ابن عمّ عارق[2] : أيهجونى ابن عمك ويتوعّدنى ! قال : والله ما هجاك ، ولكنه قال :

والله لو كان ابنُ جفنةَ جارَكمْ ... لَكَسَا الوجوه غضاضة[3] وهوانا
وسلاسلا يبرقن فى أعناقكم ... وإذاً لقطّع تلكم[4] الأقرانا[5]
ولكان عادتُه على جيرانه ... ذهبا ورَيطا رادِعا وجِفانا

قالوا : الرداع : المصبوغ بالزعفران ، وإنما أراد ترملة أن يذهب بحفيظته ، فقال : والله لأقتلنّه . فبلغ ذلك عارقا ، فأنشأ يقول :

من مبلغٌ عمرو بنَ هندٍ رسالةً ... إذا استحقبتها[6] العيس[7] تُنضى[8] على البعد
أيوعدُنى والرمل بينى وبينه ؟ ... تبيّنْ رويداً ما أمامةُ من هند
ومن أجأٍ[9] دونى رِعانٌ[10] كأنّها ... قنابل خيل[11] من كُمَيتٍ[12] ومن وَرْدِ[13]

(١) فى س ، ب : « ثرملة » تحريف .
(٢) فى س ، ب : « غارق » تحريف .
(٣) فى س ، ب ، هد : « ما إن كساكم غضاضة » .
(٤) فى ج : « منكم » وفى هج : « عنكم » .
(٥) الأقران : جمع قرن كجبل : حبل .
(٦) حملتها على حقيبة الرحل .
(٧) الإبل البيض جمع أعيس أو عيساء .
(٨) تنضى : تهزل .
(٩) فى س ، ب : « ومها أجا » .
(١٠) رعان : جمع رعن وهو أنف يتقدم الجبل .
(١١) قنابل : جمع قنبل ، جماعة من الخيل .
(١٢) كميت : تصغير كمت ، وهو من الخيل ماخالط حمرته سواد غير خالص .
(١٣) ورد : أحمر ضارب إلى الصفرة .

غدرتَ بأمر أنت كنتَ اجتذبْتَنا عليه وشرُّ الشيمة الغدرُ بالعهد
فقد يتركُ الغدرَ الفتى وطعامُه إذا هو أمسَى حَلبةٌ من دم الفصد[1]

فبلغ عمرَو بن هند شعرُه هذا، فغزا طيئا، فأسر أسرى من طيئ من بنى عدى بن أخزم — وهم رهط حاتم بن عبد الله — فيهم رجلٌ من الأجئيين يقال له قيسُ بن جحدر — وهو جد الطرماح بن حكيم، وهو ابن خالة حاتم — فوفد حاتم فيهم إلى عمرو بن هند، وكذلك كان يصنع، فسأله[2] إياهم، فوهبهم له إلا قيس بن جحدر، لأنه كان من الاجئيين من رهط عارق، فقال حاتم:

فككتَ عديًّا كلَّها من إسارها فأنعِمْ وشفِّعْنى بقيسِ بنِ جَحْدَر
أبوه أبى والأمهاتُ أمّهاتنا فأنعم فدتْكَ اليوم نفسى ومَعْشرى[3]

فأطلقه.

عمرو يغزو طيئا ويشفع حاتم فيهم

قال: وبلغنا أن المنذرَ بن ماء السماء وضع ابنا له صغيراً — ويقال: بل كان أخاله صغيرا — يقال له: مالك عند زُرارة، وإنه خرج ذات يوم يتصيَّدُ، فأخفق، ولم يصب شيئا، فرجع، فمرّ بإبلٍ لرجل من بنى عبد الله بن دارم، يقال له سُوَيد بن ربيعة بن زيد بن عبد الله بن دارم، وكان عند سويد ابنةُ زُرارة بن عُدَس، فولدت له سبعةَ غِلمة، فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها، ثم اشتوى وسويدٌ نائم، فلما انتبه شدَّ على مالك بعصاً فضربه بها، فأمَّه[4]. ومات الغلامُ، وخرج سويدٌ هاربا حتى لحق بمكة وعلم أنه لا يأمن، فحالف بنى نوفل بن عبد مناة واختطّ[5] بمكة، فمن ولده أبو أهاب

مالك بن المنذر

١٢٩
١٩

(١) مرة من الحلب وكانوا يأخذون دم العروق يفصدونه ويجففونه ثم يأكلونه.
(٢) ب، س: «فسألهم» تحريف.
(٣) ف: «أهلى ومعشرى».
(٤) أمه: شج رأسه.
(٥) اختط: نزل خطة بمكة، وفى هد، هج: «مناب» بدل «مناة».

ابن عزيز[١] بن قيس بن سويد ، وكانت طيّئ تطالب عثرات زُرَارة وبنى أبيه حتى يأخذهم ما صنعوا بأخى الملك ، فانشأ عمرو بن ثعلبة بن مِلْقَط الطائى يقول :

من مبلغٌ عمرا بأنّ المر ء لم يُخلقْ صُبارهْ[٢]

وحوادث الأيام لا تبقى لها إلا الحجارهْ

أن ابن عِجزةِ أمه بالسَّفح أسفلَ من أوارهْ ٥

— قال هشام : أول[٣] ولد المرأة يقال له : زُكمة ، والآخر : عِجزة —

تسفِى الرياحُ خلاله سَحْيًا وقَد سَلَبُوا إزارَهْ[٤]

فاقتل زُرارةَ لا أرى فى القوم أفضلَ من زرارهْ

هرب زرارة وعودته

فلما بلغ هذا الشعرُ عمرَو بن هند بكى ، حتى فاضت عيناه ، وبلغ الخبرُ زرارة ، فَهَرب، وركب عمرو بن هند فى طلبه فلم يقدر عليه ، فأخذ امرأته وهى حُبلى فقال : أذكرٌ فى بطنك، أم أنثى ؟ قالت : لا علم لى بذلك ،قال: ما فعل زُرارة الغادر الفاجر ؟فقالت: إن[٥] كان ما علمتُ لطيِّبُ العَرَق سمين المَرق ويأكل ما وَجد ، ولا يسأل عما فَقد ، لا ينام ليلةَ يَخافُ ، ولا يشبع ليلةَ يُضافُ . فبَقر بطنها . ١٠

فقال قوم زُرارة لزرارة: والله ماقتلتَ أخاه، فأت الملك، فاصدقه الخبر ،فأتاه زرارة ، فأخبره الخبر فقال : جئنى بسويد ، فقال: قد لحق بمكة ، قال: فعلىّ ببنيه السبعة، فأتى ببنيه ١٥

(١) فى س ، ب : « أهاب من عزيز » .

(٢) صبارة مثلثة الصاد : الحجارة الملس .

(٣) فى القاموس والصحاح : آخر ولد الأبوين ، وعليه فهو مرادف للعجزة .

(٤) سحيًا : قشرًا .

(٥) إن هنا مخففه من الثقيلة . ٢٠

وبأمهم بنت زُرارة[1] وهم غِلْمة بعضهم فوق بعض ، فأمر بقتلهم ، فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه ، وتعلّق بزُرارة الآخرون فتناولوهم ، فقال زُرارة : يابعضى دع بعضا[2] ، فذهبت مثلا . وقتلوا .

عمرو ينكل ببنى تميم

وآلى عمرو بن هند بأليَّة ليحرِقَنَّ من بنى حنظلة مائةَ رجل،فخرج يريدهم وبعث على مقدّمته الطائىّ عمرو بن ثعلبة[3] بن عَتّاب بن مِلقط ، فوجدوا القوم قد نَذِروا ، فأخذوا منهم ثمانية وتسعين رجلا بأسفل أوارة من ناحية البحرين ، فحبسهم ، ولحقه عمرو بن هند ، حتى انتهى إلى أوارة ، فضُربت فيه قبّتُه ، فأمر لهم بأخدود فحُفِر لهم ، ثم أضرمه نارا ، فلما احتدمت وتلظّت ، قذف بهم فيها ، فاحترقوا .

إن الشقى وافد البراجم

وأقبل راكب من البراجم — وهم بطن من بنى حنظلة — عند المساء ، ولا يدرى بشىء مما كان يُوضِع له[4] بعيره فأناخ ، فقال له عمرو بن هند :ما جاء بك ؟ قال : حبُّ الطعام ، قد أقويتُ[5] ثلاثا لم أذق طعاما ، فلما سطع الدخان ظننتُه دخانَ طعام ، فقال له عمرو بن هند : ممن أنت ؟ قال : من البراجم ، قال عمرو : إن الشقىَّ وافدُ البراجم[6] فذهب مثلا ، ورمى به فى النار ، فهجت العرب تميما بذلك ، فقال ابن الصَّعِق العامرى :

ألا أبلغْ لديكَ بنى تميم بآية ما يُحبُّون الطعاما

مثل من شجاعة المرأة

وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا ، فقيل له : أبيت اللعن ! لو تحلّلت بامرأة منهم ،

(١) فى س ، ب : « زرارة غلمة » وهو تحريف .
(٢) مثل يضرب فى تعاطف ذوى الأرحام، وأراد بقوله : يابعضى أولاد بنته لأنهم جزء منه. وبقوله : بعضا نفسه .
(٣) فى س ، ب : «غيات » .
(٤) الإيضاع : حمل الدواب على العدو السريع .
(٥) أقويت : نفد زادى
(٦) مثل يضرب لمن يوقع نفسه فى هلكة .

فقد أحرق تسعة وتسعين رجلا . فدعا بامرأة من بنى حنظلة ، فقال لها : من أنت ؟ قالت : أنا الحمراء بنت ضمرة بن جابر بن قَطَنَ بن نهشلَ بن دارم ، فقال : إنى لأظنك أعجمية ، فقالتْ : ما أنا بأعجمية ولا ولدتنى العجم .

١٣٠
١٩

إنّى ابنةُ ضمرةَ بن جابرِ ساد معدًّا كابراً عن كابر [1]

إنى لأختُ ضمرة بنِ ضمرهْ إذا البلاد أُلْفِحَتْ بجمرهْ

٥

قال عمرو : أما والله لولا مخافة أن تلدى مثلك، لصرفتكِ عن النار ، قالت : أما والذى أسأله أن يضع وسادَك ، ويخفض عمادَك ، ويسلبك مُلكك [2] ، ما قتلتَ إلا نساء أعاليها ثُدِىّ وأسافلها دُمِىّ [3] قال : اقذفوها فى النارِ ، فالتفتت ، فقالت : ألا فتى يكون مكان عجوز ! فلما أبطؤوا عليها قالت : صار الفتيانُ حُمما [4] ، فذهبت مثلا فأحرقت ، وكان زوجها يقال له هَوذة [5] بن جرول بن نهشل بن دارم .

١٠

فقال لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة بأخذ من أخذ منهم الملك وقتله إياهم ونزولهم معه :

اقيط يعير بنى مالك

لمن دمنةٌ أقفرتْ بالجنابِ إلى السفح بين المَلاَ فالهضاب [6]

بكيتَ لعرفانِ آياتها وهاج لك الشوقَ نعبُ الغرابِ

فأبلغ لديك بنى مالك مغلغلةً [7] وسراةَ الرِّبابِ

١٥

(١) فى س ، ب : « كابر » .
(٢) فى بعض النسخ « ويقرب هلكك » .
(٣) ج : دم ، كناية عن السمنة ، وفى هد : « حلى » .
(٤) فى ب ، س : « كان الفتيان » .
(٥) فى س وب : « حوذة » وهو تحريف .
(٦) الجناب والسفح والملا والهضاب : مواضع ،
(٧) أى رسالة محمولة من بلد إلى بلد .

٢٠

فإن امرأً أنتمُ حوله تحفّون قبّته بالقباب
يُهينُ سراتَكمُ عامدًا ويقتلكم مثلَ قتلِ الكلاب
فلو كنتمُ إبلا أملحَت [1] لقد نزعَت للمياه العذاب
ولكنكمْ غَنَمٌ تصطفِى ويُترك سائرُها للذئاب
لعمر أبيكَ أبى الخير [2] ما أردتَ بقتلهمُ من صواب
ولا نعمةً إن خيرَ الملو ك أفضلُهم نعمةً فى الرقاب

وفيها يقول الطرماح بن حكيم ويذكر هذا .

شعر الطرماح فى أوارة

واسأل زُرارة والمأمور [3] ما فعلت قتلَى أُوارةَ من رعلان والأَ ددِ [4]
ودارماً قد قذفنا [5] منهمُ مائة فى جاحِمِ [6] النارِ إذ يُلقون بالخُدَد [7]
ينزون بالمشتوِى منها ويوقدُها عمرٌو ولولا شحوم القوم لم تقِدِ

قال : فحدثنى الكلبى عن المفضل الضبى قال :

زرارة يريد الثأر من ابن ماء السماء

لما حضر زُرارة الموتُ جمع بنيه وأهل بيته ثم قال : إنه لم يبق لى عند أحد من العرب وِتر، إلا قد أدركته؛ غير تحضيض الطائىّ ابن ماء السماء الملك [8] علينا ، حتى صنع ما صنع ، فأيّكم يضمن لى طلب ذلك من طيّ ؟ قال عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد : أنا لك

(١) أملحت : وردت ماء ملحا .
(٢) س ، ب : « إلى الخير » ولا معنى له .
(٣) ب ، س : «المأمون» .
(٤) رعلان حصن ، واللدد : موضع ، وفى هد : باللدد .
(٥) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «قتلنا» .
(٦) جاحم : شديد الاشتعال .
(٧) الخدد : جمع خدة أى حفرة .
(٨) فى س ، ب : «ماء السماء الملك» .

بذلك ياعم . ومات زرارة ، فغزا عمرو بن عمرو جديلة ، ففاتوهم ، وأصاب ناساً من بنى طريف بن مالك وطريف بن عمرو بن ثمامة و قال فى ذلك شعرا :

لقيط بن زرارة يخطب بنت ذى الجدين

وكان زُرارة بن عُدس بن زيد رجلا شريفا ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لقيط ، ورأى منه خُيَلاَء ونشاطاً ، وجعل يضرب غلمانه وهو يومئذ شاب . فقال له زرارة : لقد أصبحت تصنع صنيعاً كأنما جئتنى بمائة من هجان المنذر بن ماء السماء ، أو نكحت بنت ذى الجدين بن قيس بن خالد . قال لقيط : لله علىّ ألا يمس رأسى غسل ، ولا آكل لحما ، ولا أشرب خمرا ، حتى أجمعهما جميعاً أو أموت . فخرج لقيط ومعه ابن خال له ، يقال له : القُراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بنى شيبان ، فسلما على ناديهم ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ذو الجدين ؟ وكان سيد ربيعة يومئذ ، قالوا : نعم ، قال : فأيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمين ألا يخطب إليه أحدٌ ابنته علانية إلا أصابه بشَرٍّ وسمَّع به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : أنا لقيط بن زُرارة بن عُدُس بن زيد ، قال قيس : عجباً منك ياذا القُمَّة ! هلا كان هذا بينى وبينك ؟ قال : ولم ياعمّ ؟ فوالله إنك لرُغْبة [1] وما بى من نَضَاة [2] — أى مابى عار — ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لأفضحك ، فأعجب قيسا كلامُه ، وقال : كفء كريم ؛ إنى زوّجتُكَ ومهرتُك مائة ناقة ليس فيها مظائر [3] ولا ناب [4] ولا كَزُوم [5] ، ولا تبيت عندنا عَزِبا ولا محروما . ثم أرسل إلى أم الجارية :

(١) رغبه : يرغب فيك الناس .

(٢) ف : « قصاه »

(٣) كذا فى ف ومعناها ليست مشرومة الأنف حين تغمى للظئار ، وفى س ، ب «مصابرة» .

(٥) الناب : الناقة المسنة .

(٦) الكزوم : الناقة ذهبت أسنانها هرما .

أنى قد زوجت لقيطَ بن زُرارة ابنتى القَدور، فاصنعيها واضربى لها ذلك البَلَق[1]، فإن لقيطُ ابنَ زُرارة لا يبيت فينا عَزبا. وجلس لقيط يتحدث معهم، فذكروا الغزو، فقال لقيط: أما الغزو فأردُّها للقاح وأهزلُها للجمال، وأما المقام فأسمنها للجمال، وأحبُّها للنساء. فأعجب ذلك قيسا، وأمر لقيطا، فذهب إلى البلَق فجلس فيه، وبعثت إليه أمُّ الجارية بمجمرة وبخور، وقالت للجارية: اذهبى بها إليه، فوالله لئن ردَّها ما فيه خير، ولئن وضعها تحته ما فيه خير، فلما جاءته الجارية بالمجمرة بخَّر شعره ولحيته ثم ردَّها عليها، فلما رجعت الجاريةُ إليها، خبَّرتها بما صنع، فقالت: إنه لخليقٌ للخير، فلما أمسى لقيط أهديت الجارية إليه. فمازحها بكلام اشمأزَّت منه، فنام وطرح عليه طرف خَميصة[2]، وباتت إلى جنبه، فلما استثقل انسلَّت فرجعت إلى أمها، فانتبه لقيط، فلم يرها، فخرج حتى أتى ابن خاله قرادا وهو فى أسفل الوادى، فقال: ارحل بعيرك وإياك أن يُسمع رُغاؤها[3].

لقيط يحظى بجوائز المنذر وكسرى

فتوجها إلى المنذر بن ماءالسماء، وأصبح قيس ففقد لقيطا فسكت، ولم يدر ما الذى ذهب به. ومضى لقيط، حتى أتى المنذَر فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله، فأعطاه مائة من هجائنه، فبعث بها مع قراد إلى أبيه زُرارة، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جواهر، ثم انصرف لقيط من عند كسرى، فأتى أباه، فأخبره خبره.

لقيط يعود إلى زوجته ثم تئيم منه

وأقام يسيرا، ثم خرج هو وقرادٌ حتى جاءا محلة بنى شيبان فوجداهم قد انتجعوا فخرجا فى طلبهم حتى وقعا فى الرمل، فقال لقيط:

انظر قرادُ وهاتا نظرةً جزعا عُرضَ الشقائق هل بيَّنْتَ أظعانا

(١) البلق: الفسطاط.

(٢) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٣) البعير يطلق على الناقة ايضا، ولذلك أنث الضمير.

فيهن أترجة[١] نضخ[٢] العبير بها   تكسى ترائبها شذرا[٣] ومرجانا

فخرجا حتى أتيا قيس بن خالد . فجهزها أبوها ، فلما أرادت الرحيل قال لها : يابنية كونى لزوجك أمة يكن لك عبداً ، وليكن أكثرُ طيبك الماء ، فإنك إنما يُذهب بك إلى الأعداء ، وأراك إن ولدت فستلدين لنا غيظا طويلا ، واعلمى أن زوجك فارس مضر ، وأنه يوشك ان يُقتلَ أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ولا تحلقى شعرا ، قالت له : أما والله لقد ربيتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزودتنى عند الفراق شرّ زاد . وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمر بحىّ من العرب إلا قالت: يالقيط ، أهؤلاء قومُكَ ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت القبابَ ، والخيلَ العرابَ[٤] ، قالت : يالقيط أهؤلاء قومك ؟ قال : نعمْ ، فأقام أياما يُطعم وينحر ، ثم بنى بها، فأقامت عنده حتى قتل يوم جَبَلة[٥] ، فبعث إليها أبوها أخاً لها فحُملت، فلما ركبت بعيرها أقبلت حتى وقفت على نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يابنى دارم ، أوصيكم بالغرائب خيراً ، فوالله ما رأيت مثلَ لقيط ، لم تخمش عليه امرأة وَجْهاً ولم تحلقِ عليه شَعرا ، فلولا أنى غريبة لخمشت وحلقت ، فحبب الله بين نسائكم ، وعادى بين رعائكم ، فأثنوا عليها خيرا.

زوجة لقيط فى عصمة غيره

ثم مضت حتى قدمت على أبيها ، فزوجها من قومه ، فجعل زوجُها يسمعها تذكر لقيطا وتحزن عليه ، فقال لها : أىَّ شئ رأيت من لقيط أحسنَ فى عينك ؟ قالت : خرج يوم دَجْن وقد تَطيَّب وشرب ، فطرد البقر فصرع منها، ثم أتانى وبه نضحُ دماء ، فضمنى ضمة ، وشمنى شمة ، فليتنى متُّ ثمَّة ، فلم أر منظراً كان أحسنَ من لقيط . فسكت عنها

(١) الأترجة ثمر شجر بستانى من فصيلة الليمون .
(٢) نضح ، أى أثر طيب يبقى فى الثوب وغيره .
(٣) شذراً : قطعا من الذهب .
(٤) العراب : خلاف البراذين واحدها عربى .
(٥) يوم بين بنى عبس وذبيان ابنى بغيض .

حتى إذا كان يومُ دَجْنٍ شَرِب، وتطيّب، ثم ركب، فطرد البقر، ثم أتاها وبه نضح دمٍ والطيبُ وريح الشراب، فضمّها إليه وقبّلها، ثم قال لها: كيف ترينَ؟ أأنا أم القيط؟ فقالت: ماءٌ ولا كصدّاء، ومرعى ولا كالسعدان[1] فذهبت مثلا، وصَدّاء: ركية ليس فى الأرض ركية أطيب منها، وقد ذكرها التيمى فى شعره:

إنِّى وتهيامى بزينبَ كالذى ... يُخالس من أحواض صَدّاءَ مَشربا

يرى دونَ برد[2] الماءِ هَولاً وذادةً ... إذا اشتد[3] صاحوا قبل أن يتحبّبا

يقول: قبل أن يروَى يقال: تحبّبتُ من الشراب أى رَويتُ، وَبضعْتُ منه أيضاً أى رويتُ منه، والتحبُّبُ: الرّىّ.

(١) السعدان: أطيب المراعى للإبل.
(٢) فى ب: «ورد».
(٣) فى ف: «شد».

صوت

وكاتبةٍ فى الخد بالمسك جعفرًا ... بنفسى مَخطُّ[1] المسك من حيث أثَّرا
لئن كتبت فى الخد سطرا بكفّها ... لقد أودعت قلبى من الحبّ أسطُرا
فيا من لمملوك لملكِ يمينه ... مطيعٌ لها فيما أسرَّ وأظهرا
ويا من هواها فى السريرة جعفرٌ ... سقى الله من سُقْيا ثَنَاياكِ جعفرا ٥

الشعر لمحبوبة شاعرةِ المتوكل ، والغناء لعريب خفيف رَمَل مطلق .

(١) القلم يخط به الكاتب .

أخبار محبوبة

كانت محبوبة أجمل من فضل

كانت محبوبة مولّدة من مولدات البصرة، شاعرة شريفة مطبوعة لا تكاد فضلُ الشاعرة اليمامية أن تتقدمها، وكانت محبوبة أجملَ من فَضْل وأعفَّ، وملكها المتوكل وهى بكر، أهداها لهُ عبدُ الله بنُ طاهر، وبقيت بعده [1] مدة، فما طمع فيها أحد، وكانت أيضاً تغنى غِناء ليس بالفاخر [2] البارع ٥

أَخبَرَنى بذلك جحظةُ عن أحمد بن حَمدون. وأخبرنَى جعفرُ بن قُدامة قال:

بديهتها تسبق روية على بن الجهم ١٣٣ ١٩

حدثنى علىّ بن يحيى المنجم: كان علىّ بنُ الجهم يقرَّب من أنس المتوكل جدًّا، ولا يكتمه شيئاً من سره مع حرمه وأحاديث خَلَواته، فقال له يوما: إنى دخلت على قبيحةَ، فوجدتُها قد كتبت اسمى على خدِّها بغالية [3]؛ فلا والله ما رأيت شيئًا أحسن من سواد تلك الغالية على بياض ذلك الخدّ، فقل فى هذا شيئًا. قال: وكانت محبوبة ١٠ حاضرة للكلام من وراء السِّتر، وكان عبد الله بن طاهر أهداها فى جملة أربعمائة وصيفة [4] إلى المتوكل، قال: فدعا علىّ بن الجهم بدواة، فإلى أن أتوه بها وابتدأ يفكر، قالت محبوبة على البديهة من غير فكرٍ ولا رويّة:

وكاتبةٍ بالمسك فى الخدِّ جعفرا ... بنفسى مَخطُّ المسكِ من حيث أثَّرَا

لئن كتبتْ فى الخد سطرا بكفِّها ... لقد أودعتْ قلبى من الحبِّ أسطرَا ١٥

(١) فى هج: «عنده».
(٢) فى ف: «غير بارع فاخر».
(٣) الغالية: أخلاط من الطيب.
(٤) ف: «جارية».

فيا مَنْ لمملوكٍ لِملكِ يمينه مطيعٍ له فيما أسرَّ وأظهرا
ويا من مناها[1] فى السريرةِ جعفرٌ سقى الله من سُقيا ثَناياكِ جعفَرا

قال : وبقىَ علىّ بن الجهم واجما لا ينطق بحرف . وأمر المتوكل بالأبيات ، فبعث بها إلى عريب وأمر أن تغنىِّ فيها ، قال على بن يحيى : قال على بن الجهم بعد ذلك :
٥ تحيرّتُ والله ، وتقلّبت خواطرى ، فوالله ما قدرت على حرف واحد أقوله .

أخبرنى جعفرُ بن قُدامة قال: حدثنى ابن خُرْداذبة قال حدثنى علىّ بنُ الجهم : قال كنتُ يوما عند المتوكل وهو يَشربُ ونحن بين يديه ، فدفع إلى محبوبة تُفاحة مغلَّفة فقبّلتها ، وانصرفت عن حضرته إلى الموضع الذى كانت تجلس فيه إذا شرب ، ثم خرجت جاريةٌ لها ومعها رقعة ، فدفعتها إلى المتوكل فقرأها ، وضحك ضحكا شديدا ،
١٠ ثم رمى بها إلينا ، فقرأناها وإذا فيها :

شعرها فى تفاحة

ياطيبَ تفاحة خلوتُ بها تُشعل نارَ الهوى على كَبِدى
أبكى أليها وأشتكى دَنَفِى وما أُلاقى من شدّة الكَمَدِ
لوأن تفاحةً بكت لبكت من رحمتى هذه التى بيدى
إن كنتِ لا ترحمين ماتلقى نفسى من الجهد فارحمى جسدى

١٥ قال: فوالله ما بقىَ أحد إلا استظرفها ، واستملحها ، وأمر المتوكل فغُنىَّ فى هذا الشعر صوتٌ شربَ عليه بقية يومه .

حدثنى جعفر بن قُدامه قال حدثنى على بنُ يحيى المنجم
أن جوارىَ المتوكل تفرّقن بعد قتله ، فصار إلى وصيف عدّة منهن ، وأخذ محبوبة فيمن أخذ ، فاصطبح يوما وأمر بإحضار جوارى المتوكل، فأحضرن، عليهنّ الثياب الملونة،

وفاؤها للمتوكل بعد موته

(١) ف : « هواها » بدل «مناها » .

والمذهبة والحُلِىّ ، وقد تزيَّنّ وتعطَّرن إلا محبوبة فإنها جاءت مَرْهاء[1] مُتسلِّبة[2] ، عليها ثيابُ بياضٍ غيرِ فاخرة ، حزنًا على المتوكل ففنى الجوارى جميعا ، وشربن وطربَ وصيفٌ وشرب ، ثم قال لها : يامحبوبة غنِّى فأخذت العود ، وغنّت وهى تبكى ، وتقول :

أىُّ عيش يطيبُ لى لا أرى فيه جعفرَا
ملكا قد رأته عينى قتيلا معفَّرَا[3]
كلُّ من كان ذا هيا مٍ وحزن فقد برَا[4]
غير محبوبةَ التى لو ترى الموتَ يُشترَى
لاشترته بما حوتْـ ـه يداها لتُقبرَا
إن مَوْتَ الكئيبِ أصْلحُ من أن يُعمَّرَا

١٣٤ ١٩ فاشتدّ ذلك على وصيف ، وهمّ بقتلها . وكان بُغا حاضرا ، فاستوهبها منه ، فوهبها له ، فأعتقها ، وأمر بإخراجها ، وأن تكون بحيث تختارُ من البلاد ، فخرجت من سُرَّمن رأى إلى بغداد ، وأخملَتْ ذكرها طولَ عمرِها .

غضب وصلح فى المنام ، ثم فى اليقظة

أخبرنى جعفر بن قُدامة ، قال : حدثنى ملاوِىّ الهَيْثَمى قال : قال لى علىُّ بنُ الجهم : كانت محبوبة أُهديت إلى المتوكل ، أهداها إليه عبد الله بن طاهر فى جملة أربعمائة جارية ، وكانت بارعةَ الحسن والظُّرف والأدب مغنِّيةً محسنة ، فحظِيتْ عند المتوكل ، حتى إنه كان يُجلسها خلف ستارة وراء ظهره إذا جلس للشرب ، فيُدخلُ رأسَه إليها، ويحدّثها ، ويراها فى كل ساعة . فغاضبها يوما ، وهجرها ومنع جواريَه جميعا من

(١) مرهاء : غير مكتحلة .
(٢) متسلبة : لابسة ثياب الحداد .
(٣) معفرا : ممرغا فى التراب أو مضروبا به الأرض
(٤) تحفرة ، برأ من مرضه ، بمعنى شفى منه .

كلامها ثم نازعته نفسه إليها ، وأراد ذلك ، ثم منعته العزةُ ، وامتنعت من ابتدائه إدلالاً عليه بمحلّها منه . قال عليُّ بنُ الجهم : فبكّرتُ إليه يوما فقال لى : إنى رأيت البارحة محبوبة فى نومى كأنى قد صالحتها ، فقلت : أقرّ الله عينَك يا أمير المؤمنين ، وأنامَك على خير ، وأيقظك على سرور ، وأرجو أن يكون هذا الصلح فى اليقظة ، فبينا هو يحدّثنى وأجيبه[1] إذا بوصيفة قد جاءته ، فأسرّت إليه شيئا ، فقال لى : أتدرى ما أسرّتْ هذه إلىّ ؟ قلت: لا ، قال : حدثتنى أنها اجتازت بمحبوبة الساعةَ وهى فى حجرتها تغنّى ، أفلا تعجب من هذا ؟ إنى مغاضبها ، وهى متهاونة بذلك، لا تبدؤنى بصلح ، ثم لا ترضى حتى تغنى فى حجرتها ، قم بنا يا علىُّ حتى نسمع ما تُغنّى . ثم قام ، وتبعته ، حتى انتهى إلى حُجرتها فإذا هى تغنى وتقول :

أدُور فى القصر لا أرى أحداً ... أشكو إليه ولا يكلّمنى
حتى كأنى ركبتُ معصيةً ... ليست لها توبةٌ تخلّصنى
فهل لنا شافعٌ إلى مَلِكٍ ... قد زارنى فى الكَرى فصالحنى
حتى إذا ما الصباحُ لاح لنا ... عاد إلى هجره فصارمنى

فطرب المتوكلُ ، وأحسستْ بمكانه . فأمرت خدمَها ، فخرجوا إليه ، وتنحّينا وخرجتْ إليه ، فحدّثته أنها رأته فى منامها ، وقد صالحها ، فانتبهتْ ، وقالت هذه الأبيات ، وغنّت فيها . فحدّثها هو أيضا برؤياه ، واصطلحا ، وبعث إلى كلّ واحد منا بجائزة وخلعة .

ولما قتِل تسلّى عنه جميعُ جواريه غيرها ، فإنها لم تزل حزينة متسلّبة هاجرة لكل لذة حتى ماتت . ولها فيه مراثٍ كثيرة .

(١) فى س ، ب : «فأحدثه» .

صوت

يا ذا الَّذى بعذابى ظلَّ مفتخرا ... هل أنت إلا مليكٌ جارَ إذ(١) قَدَرا

لولا الهوى لتجازينْا(٢) على قَدَرٍ ... وإن أُفِقْ منه يوما ما فسوفَ تَرَى

الشعر يقال إنه للواثق ، قاله فى خادم له غضب عليه ، ويقال: إن أبا حفص الشَّطرنجى قاله له .

والغناء لُعبَيدة الطنبورية رمَل مطلق ، وفيه لحن للواثق آخر ، قد ذكر فى غنائه .

(١) س ، ب : «أن» .

(٢) وفى س ، ب : «لتجارينا» .

أخبار عبيدة الطنبورية

نشأتها

كانت عُبيدةُ من المحسنات المتقدّمات فى الصنعة والآداب يشهد لها بذلك إسحاقُ وحسبُها بشهادته . وكان أبو حشيشة[1] يمدحها ، ويعترف لها بالرياسة والأستاذية ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، وأطيبهم صوتاً . ذكرها جحظة فى كتاب الطنبوريين والطنبوريات ، وقرأتُ عليه خبرَها فيه فقال : كانت من المحسنات ، وكانت لا تخلو من عشق ، ولم يُعرف فى الدنيا امرأة أعظمُ[2] منها فى الطنبور ، وكانت لها صنعةٌ عجيبة ، فمنها فى الرمَل :

١٣٥
١٩

كن لى شفيعاً إليكا إن خفّ ذاك عليكا
وأعفِنى من سؤالى سواكَ[3] ما فى يديكا
يا مَنْ أعِزُّ وأهوَى مالى أهونُ عليكا ؟

أخبرنى محمد بن مزيد بن أبى الأزهر قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : قال لى علىّ بن الهيثم اليزيدىّ :

تغنى بحضرة إسحاق وهى لا تعرفه

كان أبو محمد — يعنى أبى رحمه الله إسحاقَ بن إبراهيم الموصلىّ — يألفنى ويدعونى ، ويعاشرُنى ، فجاء يوماً إلى أبى الحسن إسحاق بن إبراهيم فلم يصادفه ، فرجع ومرَّ بى ، وأنا مشرف من جَناح لى ، فوقفْ ، وسلَّم علىَّ . وأخبرنى بقصته ، وقال : هل تنشطُ اليومَ للمسير إلىَّ ؟ فقلت له : ماعلى الأرض[4]

(١) هو محمد بن على بن أبى أمية كان نديم الخلفاء وله كتاب فى الطنبوريين أجاد فيه .
(٢) كذا فى ف وهج وفى النسخ الأخرى : «أعطوه»
(٣) ف «سؤال» .
(٤) فى هد : «مافى الأرض» .

شيء أحبَّ إليَّ من ذلك ، ولكني أخبرُك بقصتي ، ولا أكتمُك . فقال : هاتها ، فقلت : عندي اليوم محمدُ بنُ عمرو بنِ مسعدة وهارون بن أحمد بن هشام ، وقد دعونا عُبيدةَ الطُّنبورية ، وهي حاضرة ، والساعةَ يجيء الرجلان ، فامض في حفظ الله ، فإني أجالسُهم حتى تنتظمَ أمورُهم ، وأروح إليك ، فقال لي : فهلاَّ عرضتَ عليَّ المُقام عندك ؟ فقلت له : لو علمتُ أن ذلك مما تنشط له والله لرغبتُ إليك فيه ، فإن تفضلتَ بذلك كان أعظمَ لمنتك ، فقال : أفعلُ ، فإني قد كنتُ أشتهي أن أسمع عُبيدة ، ولكن لي عليك شريطة ، قلت : هاتها ، قال : إنها إن عرفتني وسألتموني أن أغنّيَ بحضرتها لم يخفَ عليها أمري وانقطعتْ فلم تصنع شيئاً ، فدعوها على جِبِلَّتها(١) ، فقلت : أفعلُ ما أمرتَ به ، فنزل وردَّ دابته وعرّفتُهم الحيّ ما جرى ، فكتمْناها أمرَه وأكلنا ما حضر ، وقُدِّم النبيذ ، فغنّت لحناً لها تقول :

قريبٌ غيرُ مقتربِ ... ومؤتلفٌ كمجتنبِ
له وُدِّي ولي منه ... دواعي الهم والكُرَبِ
أواصله على سببٍ ... ويهجُرني بلا سببِ
وَيظلمُني على ثقةٍ ... بأنّ إليه مُنقلَبي

فطرب إسحاق ، وَشرب نصفاً ، ثم غنّت وَشرب نصفاً ، ولم يزل كذلك حتى وَالى بين عشرة أنصاف ، وَشربناها معه ؛ وَقام ليصلّي ، فقال لها هارون بن أحمد ابن هشام : وَيحك يا عبيدة إنْ ما تبالين وَالله متى متّ ، قالت(٢) : ولم ؟ قال : أتدرينَ منَ المستحسنُ غناءكِ والشاربُ عليه ما شرب ؟ قالت : لا والله ، قال : إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فلا تعرّفيه أنك قد عرفته . فلما جاء إسحاق ابتدأتْ

(١) في هد ، هج ، ف : «على جملتها» .
(٢) كذا في ف ، وفي س ، ب : «قال» .

تُغَنِّى ، فلحقتها هيبة له ، واختلاط ، فنقصت نقصانًا بيِّنًا ، فقال لنا : أعرفتموها من أنا ؟ فقلنا له : نعم ، عرّفها إيّاكَ هارونُ بنُ أحمد ، فقال إسحاق : نقوم إذاً ، فننصرف ، فإنه لا خيرَ فى عشرتكم الليلةَ ولا فائدةَ لى ولا لكم ، فقام فانصرف .

٥ حدثنى بهذا الخبر جحظةُ عن جماعة منهم العباس بن أبى العُبيس ، فذكر مثله وقال فيه : إن الصوت الذى غنّته .

١٣٦ / ١٩

* ياذا الذى بعذابى ظلّ مفتخراً *

حدثنى جحظةُ قال : حدثنى محمد بن سعيد الحاجب قال : حدثنى ملاحظٌ غلام أبى العباس بن الرشيد . وكان فى خدمة سعيد الحاجب ، قال :

المسدود يأبى أن يغنى قبلها

١٠ اجتمع الطنبوريُّون عند أبى العباس بن الرشيد يوماً ، وفيهم المسدودُ وعُبيدة ، فقالوا للمسدود : غنِّ ، فقال : لا والله ، لا تقدّمتُ[1] عُبيدة ، وهى الأستاذة ، فما غنّى حتى غنّت .

وحدثنى جحظة ، قال : حدثنى شرائح الخزاعىُّ صاحب ساباط شرائح بسويقة نصر وساباط شرائح مشهور قال :

لم تدخل عليه بعد أن تزوج

١٥ كانت عُبيدة تعشقُنى فتزوّجتُ ، فمرت بى يوماً فسألتها الدُّخولَ إلىّ فقالت يا كَشْخَانُ[2] ، كيف أدخل إليك وقد أقعدتَ فى بيتك صاحبة مَسْلَحة[3] ! ولم تدخل .

(١) فى ف : «ما» بدل «لا» وهى أوضح إلا اذا أريد الدعاء فتصح «لا» .

(٢) الكشخان : من لا يغار على حريمه .

٢٠ (٣) كذا فى ف وفى س ، ب : «مسلحة» .

وحدثنى جحظة قال :

ما كتب على طنبورها

وهب لى جعفرُ بنُ المأمونُ طنبورَها فإذا عليه مكتوب بأبنوس :

كل شىء سوى الخيانة فى الحبّ يُحْتَمَلْ

وَحدثنى جحظةُ وجعفرُ بنُ قدامة ، وخبر جعفرأتم، إلا أنى قرأتُه على جحظة ، فعرفه ، وَذكر لى أنه سمعه ، قالا جميعاً : حدثنا أحمد بن الطيب السرخسىّ قال : ٥

كان علىّ بن أحمد بن بسطام المروزىّ — وهو ابن بنت شبيب بن واج ، وَشبيب أحد النفر الذى سترهم المنصور خلف قبته يوم قتلَ أبا مسلم ؛ وقال لهم : إذا صفّقتُ

تاريخ غير مشرف

فاخرجوا فاضربوه بسيوفكم . ففعل وفعلوا — فكان علىّ بن أحمد هذا يتعشقُ عُبيدة الطنبورية وَهو شاب وَأنفق عليها مالا جليلا ، فكتبتُ إليه أسأله عن خبرها وَمَن هى؟ وَمن أينَ خرجَتْ؟ فكتب إلىّ : كانت عُبيدةُ بنتَ رجل يقال له صباح ١٠ مولى أبى السمراء الغسّانىّ ، نديم عبد الله بن طاهر — وأبو السمراء أحدُ العِدّة الذين وَصلهم عبد الله بن طاهر فى يوم وَاحد لكل رجل منهم مائةُ ألف دينار وَكان الزّبيدىّ الطُّنبورىّ أخو نظم[1] العمياء يختلف إلى أبى السمراء ، وكان صباح صاحب أبى السمراء ، فكان الزبيدى إذا سار إلى أبى السمراء فلم يصادفه أقام عند صباح وَالد عبيدة وباتَ ، وشربَ ، وغنى وأنِس ، وكان لعُبيدة صوت حسن وطبع ١٥ جيّد ، فسمعت غناء الزُّبيدى ، فوقع فى قلبها واشتهتْه ، وسمع الزُّبيدى صوتها ، وعرفَ طبعها فعلّمها ، وواظبَ عليها ، ومات أبوها ، ورقّت حالُها ، وقد حَذقت الغِناء على الطُّنبور ، فخرجت تغنّى ، وتقنع باليسير ، وكانت مليحة مقبولة خفيفة الروح ، فلم يزل أمرها يزيد ، حتى تقدّمتْ وكَبُرحظها واشتهاها الناس . وحلّتْ فى كتّابها ، وسمحت ، ورغب فيها الفتيانُ ، فكانَ أولَ مَن تعشّقها على بن الفرج الرُّخّجِىّ[2] ٢٠

(١) ف : « قطر »

(٢) كذا فى ف وهج وفى س ، ب : « الزحجى » .

أخو عمر ، وكان حسنَ الوجه كثيرَ المال ، فكنت أراها عنده ، وكنّا نتعاشر على الفروسيّة ، ثم ولدت من عليّ بن الفرج بنتاً ، فحجبها لأجل ذلك ، فكانت تحتال فى الأوقات بعلة الحمّام وغيره ، فتلمّ بمن كانت تودّه ويودّها ، فكنت ممن تُلمّ به ، وأنا حينئذ شابّ قد ورثتُ عن أبى مالاً عظيماً وضياعاً جليلة ، ثم ماتت بنتها من عليّ

٥ ابن الفرج ، وصادفَ ذلك نكبتَهم واختلالَ[1] حال عليّ بن الفرج ، فطلّقها فخرجت ، فكانت تخرج بدينارين للنهار ودينارين لليل ، واعترّت[2] بأبى السمراء ، ونزلت فى بعض دوره .

وتزوجت أمها بوكيل له ، فتعشّقت غلاماً من آل حمزةَ بن مالك يقال له شرائح وهو صاحب ساباط شرائح ببغداد ، وكان يغنّى بالمِعزفة غناء مليحاً ، وكان حسنَ

١٠ الوجه ، لا عيب فى جماله إلا أنه كان متغيّرَ الرّكْهة ، وكانت شديدة الغُلمة لا تحرم أحداً ولا تكرهه ، من حدّ الكهول إلى الأطفال ، حتى تعلّقت شابًّا يعرفُ بأبى كرب ابن أبى الخطاب ، مشرط[3] الوجه أفطس قبيحاً شديد الأُدْمة ، فقيل لها : أىّ شىء رأيت فى أبى كرب ؟ فقالت : قد تمتعت بكل جنس من الرجال إلا السودان ، فإن نفسى تبشّمهم[4] ، وهذا بينَ الاسود والأبيض ، وبيته فارغ لما أُريد ، وهو صفعانى[5]

١٥ إذا أردت ووكيلى إذا أردت . قال : وكان لها غُلام يَضْرِب عليها يقال له علىّ وياقوت ظئر عُبيدة ، فكانت إذا خلت فى البيت وشربت اعتمدت عليه ، وقالت : هو بمنزلة بغل الطحّان يصلح للحَمْل والطحْن والركوب .

وكان عمرُو بن بانة إذا حصل عنده إخوان له يدعوها لهم تغنّيهم مع جواريه ، وإنما

(١) فى س ، ب : «اختلاط» .

٢٠ (٢) اعترت بفلان : اعترضت للمعروف .

(٣) كذا فى م وفى ا ، ف : «مترك» لعلها تحريف مشرط ، فإن العبيد الزنوج يشرطون وجوههم .

(٤) كذا فى ف وفى س ، ب : «تبشعهم» .

(٥) صفعانى : يصفع .

عرفها من دارى ، لأنه بعث يدعونى ، فدخل غلامُه ، فرآها عندى ، فوصفها له فكتب إلىّ يسألنى أن أجيئه بها معى . ففعلتُ ، وكان عنده محمد بن عمرو بن مسعدة والحارث ابن جمعة والحسن بن سليمان البرقى(١) وهارون بن أحمد بن هشام ، فعدلوا كلُّهم إلى استماع غنائها والاقتراح له والإقبال عليه ، ومال إليها جواريه ، وما خرجت إلا وقد عقدت بين الجماعة مودة ، وكان جوارى عمرو بن بانة يشتقن إليها ، فيسألنه أن يدعوها ، ٥ فيقول لهنّ : ابعثن إلى علىّ حتى يبعث بها إليكنّ ، فإنه يميل إليها ، وهو صديقى وأخشى أن يظن أنى قد أفسدتها عليه ولم يكن به هذا إنما كان به الدّيناران اللذان يريد أن يحدرها بهما — وكان عمرو من أبخل الناس ، وكان صوتُ إسحاق بن إبراهيم عليها :

١٠ * ياذا الذى بعذابى ظل مفتخراً *

وكان صوتُ عَلّويه ومُخارق عليها :

* قريبٌ غير ذى نسب قريب *

وهذان الصوتان جميعا من صنعتها .

وكان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب يشتهى أن يسمعها ، ويمنع نفسه ذلك لتيهه ١٥ والبرْ مكته وتوقّيه أن يبلغَ المعتصم عنه شىء يعيبه ؛ وماتت عُبيدة من نزْف أصابها ، فأفرط حتى أتلفها .

إسحاق يمدحها حية ويرثيها ميتة

وفى عبيدة يقول بعضُ الشعراء ، ومن الناس من ينسبه إلى إسحاق(٢) :

أمست عُبيدةُ فى الإحسان واحدةً فاللهُ جارٌ لهـا من كلِّ محذور

من أحسَنِ الناس وجها حين تُبصرُها وأحذقِ الناس إن غنّت بطُنبور

٢٠ أخبرنى جعفرُ بن قدامة قال حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك الُخزاعى قال : سمعت إسحاق يقول : الطنبور إذا تجاوز عُبيدةَ هَذَيان .

(١) ف : « البرقى » .
(٢) فى هج : « إسحاق إبراهيم الموصلى » .

صوت

عشقتُك حتى ملَّنى العائدُ وذبتُ حتى شَمِتَ الحاسدُ(1)
وكنتُ خِلواً من رسيسِ الهوى حتى رمانى طرفُك الصائدُ

الشعر فيما أخبرنى به جحظة لخالد الكاتب ووجدتُه فى شعر محمد بن أُميّة له، والغناء لأحمد بن صدَقة الطنبوريّ، رمل مطلق.

وقد مضت أخبارُ خالد الكاتب ومحمد بن أمية ونذكر ها هنا أخبارَ أحمدَ بنِ صدقة.

(1) هج : « حتى شفنى الحاسد ».

أخبار أحمد بن صدقة

١٣٨
١٩

هو أحمدُ بن صدَقة بن أبى صدقة ، وكان أبوه حجازيًا مغنّيًا ، قدِم على الرشيد ، وغنى له ، وقد ذكرتُ أخبارَه فى صدر هذا الكتاب .

اسمه ونشأته

وكان أحمدُ بنُ صدقة طنبوريًا محسِنًا مقدّمًا حاذقًا حَسَنَ الغناء مُحكم الصنعة ، وَله غناء كثير من الأرمال والأهزاج وما جرى مجراها من غناء الطنبوريين ، ٥ وكان ينزل الشام ، فوُصِف للمتوكل ، فأمر بإحضاره ، فقدِم عليه وغناه ، فاستحسن غناءه ، وأجزل صلته ، واشتهاه الناسُ وكَثُر منْ يدعوه ، فكسب بذلك أكثر مما كسبه مع المتوكل أضعافا .

أخبرنى بذلك جحظةُ وقال :

جحظة يشيد به

كانت له صنعة ظريفة كثيرة ذكر منها الصوتَ المتقدِّمَ ذكرُه ووصفَه وقرّظه ، ١٠ وذكر بعده هذا الصوت:

وشادنٍ ينطِق بالظَّرفِ ... حُسنُ حبيبى منتهى الوصفِ
هام فؤادى وجرت عَبْرتى[1] ... لا بَعُدَ الإلفُ من الإلفِ

قال : وهو رَمَل مطلق ، ولو حلفتُ أنهما ليسا عند أحد من مغنّى زماننا إلّا عند واحد ما حَنِثت — يعنى نفسه . ١٥

حدثنى محمدُ بنُ مزْيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق قال : حدثنى أحمد بن صدَقة قال :

خبره مع خالد ابن يزيد

اجتزت بخالد بن يزيدَ الكاتب ، فقلت له : أنشدْنى بيتين من شعركَ حتى أغنّى فيهما . قال : وَأَىُّ حظ لى فى ذلك ؟ تأخذُ أنت الجائزةَ وأحمِّل أنا الإثم !

(١) مج : « وجرت أدمعى » .

٢٠

فحلفت له أنى إن أفدتُ بشعرك[1] فائدة جعلت لك[2] فيها حظا، أو أذكرتُ به الخليفة، وسألته فيك، فقال: أما الحظ من جهتك فأنت أنزل[3] من ذلك، ولكن عسى أن تفلحَ فى مسألة الخليفة، ثم أنشدنى:

تقولُ سلا فمن المدنَفُ ومَنْ عينُه أبداً تَذْرِفُ؟
٥ ومَنْ قلبُه قَلِق خافقٌ عليك وأحشاؤُه ترجُفُ؟

فلما جلس المأمون للشرب دعانى، وقد كان غضب على حَظِيّة له، فحضرتُ مع المغنّين، فلما طابت نفسه وَجّهتْ إليه بتفاحة من عنبر، عليها مكتوب بالذهب: يا سيدى، سلوتَ. وعلم الله أنى ما عرفتُ شيئا من الخبر.

وانتهى الدور إلىّ، فغنّيتُ البيتين، فاحمرّ وَجه المأمون، وانقلبت عيناه وقال لى:

١٠ يابن الفاعلة، ألك علىّ وَعَلَى حرمى صاحب خبر! فوثبت، وقلت: يا سيدى ما السبب؟ فقال لى: من أين عرفتَ قصتى مع جاريتى؟ فتغنيتَ فى معنى ما بيننا، فحلفتُ له أنى لا أعرف شيئا من ذلك، وحدّثته حديثى مع خالد، فلما انتهيتُ إلى قوله «أنتَ أنزلُ من ذلك» ضحك، وقال: صدق، وإن هذا الاتّفاقَ ظريف، ثم أمر لى بخمسة آلاف درهم ولخالد بمثلها.

يتغنى بتكره المأمون

١٥ أخبرنى محمد قال: حدثنا حماد قال: حدثنى أحمدُ بنُ صدقة قال:

دخوله على المأمون فى يوم السعانين

دخلت على المأمون فى يوم السعانين[4]، وبين يديه عشرون وَصيفة، جَلباً[5] روميات مزنّرَات[6]، قد تزينّ بالديباج الرومى، وعلّقن فى أعناقهن صلبانَ الذهب،

(١) فى ب، س: «بشعره».
(٢) فى س، ب: «له».
٢٠ (٣) فى ف: «أنذل».
(٤) يوم السعانين: عيد النصارى يخرجون فيه بصلبانهم قبل الفصح بأسبوع.
(٥) فى هد، ف: «جلب» بالرفع على الوصفية لـ«عشرون».
(٦) مزنرات: لابسات الزنار وهو منطقة النصارى والمجوس كانوا يتميزون بها فى زيهم.

وَفى أيديهنّ الخوص والزيتون ، فقال لى المأمون : وَيلك يا أحمد ! قد قالت فى هؤلاء أبياتا فتغنّى فيها .

ثم أنشدنى قوله (1) :

ظباء كالدنانير ملاحٌ فى المقاصيرِ
جَلاهُنّ الشعانينُ علينا فى الزنانيرِ
وقد زرّفن أصداغاً كأذناب الزرازيرِ
وأقبلنَ بأوساطٍ كأوساط الزنابير

١٣٩
١٩

فغنّيتها ، وغنّيته فيها ، فلم يزل يشرب ، وترقُص الوصائف بين يديه أنواع الرقص من الدستبند (2) إلى الإيلا (3) حتى سكر ، فأمر لى بألفِ دينار ، وأمر بأن يُنثَرَ على الجوارى ثلاثة آلاف دينار ، فقبضت الألف ، ونُثرت الثلاثة الآلاف عليهن ، فانتهبتُها معهنّ

١٠

حدثنى جحظة قال حدثنى جعفر بن المأمون قال :

اجتمعنا عند الفضل بن العباس بن المأمون ، ومعنا المسدود ، وأحمد بن صدقة ، وكان أحمد قد حلَق فى ذلك اليوم رأسَه ، فاستجلوا بُسلافة كانت لهم ، فأخذ المسدود سكرّجة (4) خردل ، فضربها على رأس أحمد بن صدقة وقال : كلوا هذه حتى تجىء ثلاثة . فحلف أحمد بالطلاق ألا يقيم ، فانصرف . ولما كان من غد جمعنا الفضل بن

١٥

يتفق ، فيسترضيه الفضل

(1) الأبيات زيادة فى م وا .

(2) الدستبند : الرقص مع التماسك بالأيدى زرفن أصداغا ، أى جعلن ملفات معرب .

(3) كذا فى س هب ، وفى ف ، هد هج « الإبلى » ، ولعل المراد منه الرقص العربى ، والعرب يرن بالراقصات من الإبل .

(4) سكرجة : صحفة للطعام .

٢٠

العباس ، فتقدم العود ، ودخل أحمد وطنبور العود موضوع بحِسّه ، ثم قال : من كان يسبح فى هذا الماء ؟ فما انتفعنا بالعود سائر يومه ، على أن الفضل قد حجا عليهما ، وحملها .

يقتله الأعراب وينهبون ماله

ولم يزل أحمد مقيماً ، حتى بلغه موت بُنَيَّة له بالشأم ، فشخص نحو منزله ، وخرج عليه الأعراب فأخذوا ما معه وقتلوه . ٥

قال جحظة :

هل كان أبخر ؟

وقال بعض الشعراء يهجو أحمدَ بنَ صدقة وكانت له صديقة فقطعته فعيَّره بذلك ونسبها إلى أنهاَ هربت منه لأنه أبخر :

هربتْ صديقة أحمدٍ هربتْ من الرِّيقِ الرَّدِى
هربت فإن عادت إلى طُنبورِه فاقطعْ يدى

صوت

أَلم تعلَموا أنى تُخاف عَرامتى وأن قَناتى لا تلينُ على القَسْر

وإنى وإياكم كمن نبَّه القطا ولولم تُنبَّه باتت الطيرُ لا تَسرِى

أَناةً وحلماً وانتظاراً بكم غداً فما أنا بالوانى ولا الضَّرَع الغُمْر (١)

أَظُنُّ صروفَ الدهر والجهلِ منكمُ ستحملكم منِّى على مَركَب وَعْر ٥

الشعر للحارث بن وعْلة الجَرمى ، وَالغناء لابن جامع ثقيل بالبنصر عن عمرو ، وفيه لسياط لحن ذكره إبراهيم ولم يجنِّسْه ، وقيل إن الشعر لوعلةَ نَفسِه .

(١) الضرع : الجبان. والغمر : الغبى ، والذى لم يجرب الأمور.

أخبار الحارث بن وعلة

اسمه ونسبه

الحارث بن وعْلة بن عبد الله بن الحارث بن بُلع بن سبيلة[1] بن الهون بن أعجب ابن قدامة بن حَرْم بن زبان[2] — وهو علافٌ ، وإليه تنسبُ الرِّحالُ العِلافِيَّة ، وهو أول من اتّخذها — بن حُلْوَان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة . وقد ذكرت متقدما الاختلاف ٥ فى قضاعة ، ومن نسبه مَعَدِّيًّا ، ومَنْ نسبه حِميريًّا .

والرِّحال العِلافِيَّة مَشْهُورَة عند الناس ، قد ذكرتْها الشعراءُ فى أشعارها ، قال ذو الرُّمة :

وليلٍ كجلباب العَروس ادَّرعتُه بأربعة والشَّخصُ فى العين واحدُ
أَحَمُّ عِلافىٌّ وأبيضُ صارمٌ وأعيسُ مَهرِىٌّ وأروعُ ماجدُ

١٠ وكان وَعلةُ الجرمىّ وابنُه الحارث من فُرسان قُضاعة وأنجادها وأعلامها وشعرائها ، وشهد وعلةُ الكُلاب الثانى[3] ، فأفلت بعد أن أدركه قيس بن عاصم المِنقرىّ ، وطلبه ، ١٤٠ ففاته رَكْضاً وعدواً ، وخبره يذكر بعد هذا فى موضعه إن شاء الله تعالى . ١٩

فأخبرنى عمى قال : حدثنى الكُرانىّ ، قال : حدثنا العمرىّ عن العُتبى قال :

كتب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى الحجّاج مبتدئا : أما بعد فإن مَثَلى ١٥ وَمَثَلُكَ كما قال القائل :

(١) فى هد ، هج ، ف : «سنبلة» .

(٢) كذا فى ف بالباء الموحدة ، وفى س ، ب ، هد : « الريان » ، وفى اللسان : (علف) : وعلاف رجل من الأزد وهو زبان أبو جرم من قضاعة .

(٣) الكلاب : ماء بين جبلة وشمام وللعرب يومان فيه : الكلاب الأول والكلاب الثانى وثانيهما : لتميم على ٢٠ مذحج

ابن الأشعث وعبد الملك يتمثلان بشعره وشعر أبيه

سائِلْ مُجاوِرَ جَرْمٍ هل جنيتُ لها حَرْباً تفرِّق بين الجيرة الخُلُطِ ؟
أم هل دلفتُ بجرّار له لجَبٌ يَغشَى الأماعِزَ بين السَّهل والفُرُطِ ؟[1]

— والشعر لوَعْلَةَ الجَرْمِىّ — هذا مَثَلى وَمَثَلُك ، فسأحملك على أصعبه ، وأريحك من مركبه .

فكتب الحجاج بذلك إلى عبد الملك ، فكتب إليه جوابه : أما بعد ؛ فإنى قد أجبت عدوّ الرحمن بلا حولَ ولا قوة إلا بالله ، ولعمرُ الله لقد صدق ، وخلع سلطانَ اللهِ بيمينه ، وطاعتَه بشماله ، وخرج من الدِّين[2] عُرياناً ، كما ولدتْه أمُّه .

ثم لم يصبر عبد الملك على أن يدع جوابَه بشعر فقال: وعلى أن مَثَلى ومَثَلَه ما قال الآخر :

أناةً وحِلْماً وانتظاراً بكُم غدا فما أنا بالوانِى ولا الضرَعِ الغُمْرِ
أظُنّ صروفَ الدهرِ والجهلَ منهمُ ستحمِلُهم[3] منّى على مَركَبٍ وَعْرِ

فليت شعرى أسَما عَدوُّ الرحمن لدعائم دين اللهَ يهدِّمُها ؟ أم رام الخلافةَ أن ينالها ؟ وأوشك أن يُوهن اللهُ شوكتَه ، فاستعنْ بالله ، واعلم أن الله مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحسِنون .

قال مؤلف هذا الكتاب : الشعر الذى تمثّل به عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث لوعْلَة الجرمى ، والشعر الذى تمثّل به عبد الملك لابنه الحارث بن وعلة .

أخبرنى محمد بن جعفر النحوى قال : حدثنى طلحة بن عبد الله الطَّلحىّ ، عن أحمد ابن إبراهيم ، عن أبى عبيدة قال :

(١) الفرط : واحد الأفراط وهى آكام شبيهات بالجبال ، وفى هج : « بين الحى » بدل « بين السهل » .
(٢) فى هد : « خرج من الدين والدنيا عريانا » .
(٣) فى هد : « ستحملكم » .

يخذله قومه وينصره آخرون

قتلت نهد أخا وعلة الجرمىّ ، فاستعان بقومه ، فلم يعينوه ، فاستعان بحلفاء [من](1) بنى نمير ، وكانوا له حلفاء وإخوانا ، فأعانوه حتى أدرك بثأره فقال فى ذلك :

سائل مُجاورَ جَرم هل جنيتُ لها ... حربا تُزَيِّل بين الجيرة الخُلُطُ(2)

أم هل علوتُ بجرّار له لَجبٌ ... يغشى المخارمَ(3) بين السهل والفُرُط(4)

حتى تركتُ نساء الحى ضاحيةً(5) ... فى ساحة الدار يستوقدْن بالغُبُط(6)

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ ، قال : حدثنا الرياشىّ قال :

يفر من قيس ابن عاصم عند غزوة اليمن

خرج رجل من بنى تميم — يقال إنه قيسُ بن عاصم قال الرياشى : وحقق أبو عبيدة أنه قيس — يوم الكُلاب يلتمس أن يصيب رجلا من ملوك اليمن له فداء ، فبينا هو فى ذلك ، إذ أدرك وَعلَة الجَرْمىّ ، وعليه مقطعات له فقال له : على يمينك ، قال : على يسارى أقصدْ لى ، قال : هيهاتَ منك اليمن ، قال : العراقُ منى أبعد ، قال : إنك لن ترى أهلك العامَ ، قال : ولا أهلك تراهم(7) ، وجعل وعلةُ يركُض فرسه ، فإذا ظن أنها قد أعيت وثب عنها ، فعدا معها ، وصاح بها ، فتجرى وهو يُجاريها ، فإذا أعيا وثب فركِبَها ، حتى نجا . فسأل عنه قيس ، فعرف أنه وَعْلَةُ الجرمى ، فانصرف وتركه ، فقال وعلة فى ذلك :

(1) زيادة يقتضيها المقام .
(2) الخلط : خليط ، هم القوم الذين أمرهم واحد ، وفى هج : «تفرق» بدل «تزيل» .
(3) المخارم : جمع مخرم وهو أفواه الفجاج .
(4) الفرط : الجبال الصغيرة ، وتجمع على أفراط .
(5) ضاحية : بارزة .
(6) يريد قتلت رجالهن فبقين بلا رجال وليس لها ما يرحل عليها ، أو أنه ذهب بإبلهم فغنوا عن أقتابها فالنساء يستوقدن بها ، أو أن الخوف يمنعهن من الاحتطاب فهن يستوقدن بالأقتاب وما جانسها ويشابهها .
(7) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «أراهم» .

فدًى لكما رحلىَّ أمّى وخالتى غداةَ الكُلاب إذ تُحَزُّ[1] الدَّوابرُ

نجوتُ نجاء لم ير الناسُ مثلَه كأنى عُقابٌ عند تَيْمَنَ[2] كاسرُ

ولما رأيت الخيلَ تدعو مُقاعِسًا تنازعنى من ثُغرة النحر جائرُ

فإن الحِمام لا تابَسْنْ بى مُقاعسٌ ولا يرنى ميدهم والمحاضرُ[3]

ولا تابعٌ لى جرّارة مضريَّةٌ إذا ما غدت قوتَ العيالُ تُبادرُ[4]

أما قوله : « تحز الدوابر » فإن أهل اليمن لما انهزموا قال قيس بن عاصم لقومه : لا تشتغلوا بأسْرهم فيفوتكم أكثرهم ، ولـكن اتّبِعوا المنهزمين ، فجزّوا أعصابَهم من أعقابهم ودعُوهم فى مواضعهم ، فإذا لم يبق أحد رجعتم إليهم ، فأخذتموهم . ففعلوا ذلك ، وأهل اليمن يومئذ ثمانية آلاف عليهم أربعة أملاك يقال لهم : اليزيدون[5] ، وهم يزيد بن عبدالمدان ، ويزيد بن هَوْبَر ، ويزيد بن المامورِ[6] ويزيد بن مخزَّم[7] . هؤلاء الأربعة اليزيدون ، والخامس عبد يغوث بن وقّاص ، فقتِل اليزيدون أربعتهم فى الوقعة ، وأسِر عبد يغوث بن وقاص ، فقتلته[8] الرِّباب برجل منها ، وقد ذُكر خَبَرُ مقتله متقدما فى صوت يغنى فيه وهو :

* ألا لاتلومانى كفى اللومَ مَابيا *

(١) فى س ، ب : « تحذ » .

(٢) تيمن : أرض بين بلاد تميم ونجران .

(٣) كذا فى ف ، وفى س ، ب : ونادس وميدانهم والمبدى والتحضر ، مكان أريد منه الحالون أى البادون والحاضرون .

(٤) كذا فى العقد ، وفى س ، ف : «جرادة» وفى ف : «حدادة» والمراد ولاتك فى كتيبة يثقل عليه لكثرتها .

(٥) وفى هج وهد : «اليزيديون» بياء النسب .

(٦) كذا فى ف وفى س ، ب : «المأمون» .

(٧) كذا فى ف وكتب الأنساب وفى س ، ب : «المخرم» .

(٨) كذا فى ف وفى ب ، س : « فقتله » .

وأما قوله :

* ولما رأيتُ الخيلَ تدعو مُقاعِساً *

فإن بنى تميم لما التقت مع بنى الحارث بن كعب فى هذا اليوم [illegible]
يا آل كعب ! فتنادى أهلُ اليمن : يا آل كعب ! فتنادوا : يا آل الحارث ! فتنادى أهل
٥ اليمن ! يا آل الحارث ! فتنادوا : يا آل مقاعس ! وتميزوا بها من أهل اليمن .

صوت

والله لا نظرتْ عيني إليكَ ولو سالت مدامعُها شوقا إليك دَمَا
إن كان خانَ ولم أضمر خيانتكمْ فالله يأخذ ممن خانَ أو ظلَمَا
سماجة لمحبٍّ خان صاحبَه ما خان قطُّ محبٌّ يعرفُ الكرَمَا

الشعر لعليّ بن عبد الله الجعفريّ ، والغناء للقاسم بن زُرزور ، ولحنه ثقيل أول مطلق ٥
ابتداؤه نشيد . وكان إبراهيم بن أبي العُبَيْس يذكر أنه لأبيه .

أخبار علىّ بن عبد الله بن جعفر ونسبه

اسمه ونسبه

هو علىّ بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب عليهم السلام ، وأمه وَلّادة بنت الحَجَل بن عنبسة بن سعيد بن العاصى بن أمية :
شاعر ظريف حجازى ، كان عمر بن الفرج الرُّخّجى حمله من الحجاز إلى سُرَّ من رأى مع مَنْ حمل من الطالبيين في أيام المتوكل معهم .

٥

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال : حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقى قال : حدثنا عمر بن عثمان الزُّهرى المعروف بابن أبى قُباجة قال :

حبسه المتوكل

رفع عمر بن الفرج علىّ بن عبد الله بن جعفر الجعفرىّ إلى المتوكل أيام حجّ المنتصر ، فحبسه المتوكل لأنه كان شيخَ القوم وكبيرَهم ، وكان أغاظ لعمر بن الفرج .

تحديث فى شعره

١٠

قال[1] علىّ بن عبد الله : مكثت فى الحبس مدة ، فدخل علىّ رجل من الكتّاب يوما فقال : أريد هذا الجعفرى الذى تديَّث فى شعره فقلت له : إلىّ فأنا هو ، فعدل إلىّ وقال : جعلت فداك ! أحبّ أن تنشدنى بيتيك اللذين تديّثت فيهما ، فأنشدته :

١٤٢
١٩

ولما بدا لى أنها لا تودُّنى وأن هواها ليس عنى بمُنجَلِ
تمنيتُ أن تهوى سواى لعلّها تذوقُ حراراتِ الهوى فترقَّ لى

١٥

قال : فكتبهما ، ثم قال لى : اسمع — جعلتُ فداك — بيتين قلتهما فى الغيْرة ، فقلت : هاتهما فأنشدنى :

ربما سرّنى صدودُك عنّى فى طلابيك وامتناعك منّى
حذراً أن أكونَ مفتاح غيرى فإذا ما خلوت كنت التمنّى

(١) وردت رواية هذ الخبر فى بعض النسخ هكذا « قال : وكان على بن عبدالله مكث فى الحبس مدة فدخل عليه رجل من الكتاب يوما ، فقال : أريد هذا الجعفرى الذى تديث فى شعره ، فقلت . الخ » .

٢٠

حدثنى اليزيدىّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرنى العباس بن عيسى العُقَيلىّ أن علىّ بن عبد الله الجعفرى أنشده:

لا يخفف من حبه إلا الله

واللهِ والله ربِّى وتلكَ أقصى يَمِينى
لو شئتُ ألا أُسلِّى لما وضعت جبينى

أيهما يدع؟

حدثنا اليزيدىّ قال: حدثنا محمد بن الحسن بن مسعود قال: أخبرنى العباسُ بن عيسى قال: حدثنى علىّ بن عبد الله الجعفرىّ قال:

مرّت بى امرأة فى الطواف، وأنا جالس أنشدُ صديقا لى هذا البيت:

أهوَى هَوى الدين واللذاتُ تُعجِبنى فكيف لى بهوى اللذات والدين؟

فالتفتت المرأةُ إلىّ وقالت: دع أيَّهما شئت، وخذ الآخرَ.

حدثنا اليزيدىّ قال: حدثنا محمد بن الحسن الزُّرقى قال: حدثنا عبد الله بن شبيب قال: أنشدنى علىٌّ بن عبد الله بن جعفر الجعفرىّ لنفسه:

عود إلى الصوت

والله لا نظرتْ عينى إليكَ ولو سالت مدامعُها شوقا إليكَ دما
إلا مفاجأة عند اللقاء ولا نازعتكِ[1] الدهرَ إلا ناسيا كلِمَا
إن كنتِ خُنتِ ولم أُضمرْ خيانتكمْ فاللهُ يأخذُ ممن خان أو ظلما
سماجَةٌ لمحبٍّ خان صاحبَهَ ما خان قطُّ محبٌّ يعرف الكَرَما

قال عبد الله بن شبيب: وأنشدنى علىٌّ بن عبد الله لنفسه:

(١) فى ف، مج: «راجعتها» بدل «نازعتك» وفى هد: «راجعتك» والأبيات صالحة لكاف المخاطب وكاف المخاطبة.

صوت

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى ... متأخَّر عنه ولا متقدَّمُ

أجد الملامةَ فى هواكِ لذيذةً ... حُبًّا لذكركِ فليلُمْنى اللُّوَّمُ

وَأَهَنْتِنِى فأهنتُ نفسى جاهداً[1] ... ما من يهون عليكِ ممن يُكرَمُ

أشبهتِ أعدائى فصرتُ أحبهم ... إذ صار حظى منكِ حظى منهمُ[2]

(١) فى هد : « صاغرا » .

(٢) يروى الأغانى فى ترجمة أبى الشيص الأزدى أنها له ، وهنا يرويها لعلى ، وأبو عبيد البكرى يحقق أنها لعلى لا لأبى الشيص كتاب التنبيه صفحة ٦٧ .

صوت

أتعرفُ رسمَ الدار من أمِّ معبدِ ... نعم فرماكَ الشوقُ قبل التجلُّد
فيالكَ مِنْ شوقٍ ويالكِ عبرةً ... سوابقُها مِثل الجُمَانِ المبدَّد

١٤٣ الشعر لعتيبة (١) بن مرداس المعروف بابن فَسْوة، والغِناء لجميلة، خفيف ثقيل بالبنصر
١٩ عن ابن المكى.

وذكر الهشامي أن فيه لمعبد لحناً من الثقيل الأول، وأنه نظنّه من منحول يحيى إليه.

(١) كذا في ف، وفي س، ب: عيينة، وهو تحريف.

أخبار عتيبة ونسبه

اسمه ونسبه

عُتَيبة(1) بن مِرداس أحد بنى كعب بن عمرو بن تميم(2)، لم يقع إلىَّ من نسبه غيرُ هذا، وَهو شاعر مُقِلٌّ غيرُ معدود فى الفحول، مُخضرم ممّن أدرك الجاهلية وَالإسلام هجّاء خبيث اللسان بَذِىٌّ.

٥ وَابنُ فسوة لقب لزمه فى نفسه، وَلم يكن أبوه يُلقّب بفسوة، إنما أتى هو بهذا، وَقد اختُلِف فى سبب تلقيبه بذلك، فذكر إسحاق الموصلىّ عن أبى عمرو الشيبانى: نسختُ ذلك من كتاب إسحاق بخطه.

لماذا لقب بابن فسوة؟

أن عُتَيْبَةَ بنَ مِرداس كان فاحشاً كثيرَ الشرّ قد أدركَ الجاهليةَ، فأقبل ابن عَمٍّ له من الحَجّ، وَكان من أهل بيت منهم يقال لهم: بنو فَسْوة، فقال لهم عتيبة:
١٠ كيف حكمتَ يابن فسوة؟ فوثب مغضباً، فركب راحلته وَقال: بئس لعمر الله ما حيّيتَ به ابن عمِّك، قدم عليك من سفر، وَنزل دارَك! فقام إليه عُتيبة معتذراً، وَقال له: لا تغضب يابن عم، فإنما مازحتُكَ! فأبى أن ينزل، فقال له: انزل وَأنا أشترى منك هذا الاسمَ فأتسمّى به، وظن أن ذلك لايضرّه، قال: لا أفعلُ أو تشتريه منى بمحضرٍ من العشيرة. قال: نعم فجمعهم وَأعطاه بُرداً وجملا وكبشين، وقال لهم عتيبة:
١٥ اشهدوا أنى قد قبلت هذا النبزَ(3)(4) وأخذت الثمن(4)، وَأنى ابنُ فسوة، فزالت عن ابن عمه يومئذ، وَغلبت عليه وَهُجِىَ بذلك، فقال فيه بعض الشعراء:

* أَوْدى ابنُ فسوة إلا نَعْتَه الإبلا *

(1) كذا فى ف والإصابة والشعراء، وفى س، ب: عيينة، وهو تحريف.
(2) كذا فى ف وفى س، ب: «أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم».
٢٠ (3) كذا فى ف ومعناه التلقيب بالسوء، وفى س، ب: النبذ. وهو تحريف.
(4-4) التكملة من هج، هد، ف.

وَعُمِّر عُمراً طويلا، وَإنما قال:

أودى ابنُ فسوة إلا نعته الإبلا

لأنه كان أوصف الناس لها، وَأغرام بوصفها، ليس له كبير شعر إلا وَهو متضمن وصفها.

وَأخبرنى محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرنا أبو حاتم عن أبى عبيدة قال:

إنما سمّى عتيبةُ بنُ مرداس ابن فسوة، لأنه كان له جارٌ من عبد القيس، فكان يتحدثُ إلى ابنته، وَكان لها حظ من جمال، وَكانت تُعجبُه وَيَهيم بها، فكان أحداثُ بنى تميم، إذا ذكروا العبدى[1]، قالوا: قال ابن فسوة، وَفعل ابن فسوة، فأكثروا عليه من ذلك حتى ملّ فعول على التحوُّل عنهم، وَبلغ ذلك عتيبة، فأتاهُ فطالبه إليه أن يقيم، وَأن يحتمل اسمه، وَيشتريه منه ببعير، فلم يفعل، قال: العبدىّ: فتحولتُ عنهم وَشاع فى الناس أنه قد ابتاع منى وغلب عليه، فأنشأ عتيبة يقول من كلمة له:

وَحوّلَ مولانا علينا اسمَ أمه ألا رُبَّ مولى ناقصٍ غير زَائدِ

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال: حدثنا أحمد بن الحارث قال: حدثنا المدائنىّ عن أبى بكر الهُذَلى وَابن دأب وابن جُعْدُبَة[2]، قالوا:

أتى عتيبةُ بن مرداس — وَهو ابن فسوة — عبدَ الله بن العباس عليهما السلامُ وهو عامل لعلىّ بن أبى طالب صلوات الله عليه على البصرة، وتحته يومئذ شُمَيلة بنت جُنادة بن بنت أبى أزهر الزهرانية، وكانت قبله تحت مجاشع بن مسعود السُّلمىّ،

(١) كذا فى ب، وهو الأفصح إذ المركب الإضافى ينسب إلى صدره إلا إن ألبس ولا ... الجزأين معا للتقل. وفى ف: «العبقى».

(٢) كذا فى ف، وفى س، ب: «جعدية» تحريف.

فأستأذن عليه ، فأذن له ، وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم ، فيعطونه ، ويخافون لسانه ، فلما دخل على ابن عباس قال له : ماجاء بك إليّ يابنَ فسوة ؟ فقال له : وهل عنك مَقْصَرٌ أو وراءك مَعْدًى ؟ جئتك لتعينني على مروءتي ، وتَصِلَ قرابتي ، فقال له ابن عباس : وما مروءة مَنْ يعصي الرحمنَ ويقول البهتانَ ويقطعُ ما أمر الله به أن يوصلَ ؟ والله لئن أعطيتك لأعيننَّك على الكفر والعصيان ، انطلق فأنا أقسم بالله لئن بلغني أنك هجوت أحداً من العرب لأقطعنّ لسانك . فأراد الكلام ، فمنعه مَنْ حضر ، وحبسه يومَه ذلك ، ثم أخرجه عن البصرة .

١٤٤ / ١٩

الحسن وابن جعفر يصلانه خشية لسانه

فوفد إلى المدينة بعد مقتل عليّ عليه السلام ، فلقي الحسن بن عليّ عليهما السلام ، وعبد الله بن جعفر عليهما السلام ، فسألاه عن خَبره مع ابن عباس عليه السلام فأخبرهما ، فاشتريا عرضَه بما أرضاه ، فقال ابن فسوة يمدح الحسن وابن جعفر عليهما السلام ويلوم ابنَ عباس رضي الله عنهما :

أتيتُ ابنَ عباس فلم يقضِ حاجتي ... ولم يرجُ معروفي ولم يخشَ منكري

حُبستُ فلم أنطق بعذر لحاجةٍ ... وسُدَّ[1] خَصاص[2] البيتِ من كل منظرِ

وجئتُ وأصواتُ الخصوم وراءه ... كصوت الحمام في القليبِ المغوّرِ[3]

وما أنا إذ زاحمتُ مصراعَ بابه ... بذي صَولَة نارٍ[4] ، ولا بحزَوَّرِ[5]

فلو كنتُ مِن زهرانَ لم ينسَ حاجتي ... ولكنني مولَى جميل بنِ مَعْمَرِ

(١) كذا في ف ، وفي س ، ب : شد ، وهو تحريف .

(٢) خصاص الباب : ثقبه .

(٣) القليب : البئر البعيدة الغور .

(٤) كذا في ف ، وفي س ، ب : « باق » ، ولا معنى لها ، وفي هد : « فان » .

(٥) حزور : رجل قوي .

— وكان حليفاً لجميل بن معمر القرشى — :

وباتت لعبد الله من دون حاجتى ... شميلة تلهو بالحديث المقتّر (١)

ولم يقترب من ضوء نارٍ تحشها ... شميلة إلا أن تصلّى بمجمر

تطالع أهل السوق والباب دونها ... بمستدلك (٢) الذفرى (٣) أسيل المذمّر

إذا هى همّت بالخروج يردها ... عن الباب مصراعا منيف مجيّر

— وجدت بخط إسحق الموصلى «مجيّر»: محير. والمحير: المصهرج. والحيار: المصهروج (٤) —

فإن تقلوصى عُرّيت أو رحالها ... إلى حسن فى داره وابن جعفر

إلى ابن رسول الله يأمر بالتقى ... وللدين يدعو والكتاب المطهّر

إلى معشر لا يخصفون (٥) نعالهم ... ولا يلبسون السِّبت (٦) ، مالم يخصّر (٧)

فلما عرفت اليأس منه وقد بدت ... أيادى سبا الحاجات للمتذكّر

تسدّيت حرجوجاً (٨) كأن بغامها ... أحيح (٩) ابن ماء (١٠) فى يراع مفجّر

فما زلت فى التسيار حتى أنختها ... إلى ابن رسول الأمة المتخيّر

فلا تدعنّى إذ رحلت إليكم ... بنى هاشم أن تصدرونى بمصدر (١١)

(١) كذا فى ف ، وفى س وب : « المقتّر » تحريف.
(٢) مستدلك بمعنى مستدير ، وفعله فى الأساس : فلك ثدى الجارية وتفلك واستفلك .
(٣) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن .
(٤) مصهرج ، أى معمول بالصاروج وهو النورة وأخلاطها تصرج بها الحياض والبيوت ونحوها .
(٥) يخصفون : يخرزون .
(٦) السبت : الجلد المدبوغ .
(٧) يخصر : يدقق وسطه .
(٨) الحرجوج الناقة السمينة الطويلة وتجمع على حراجيج .
(٩) الأحيح : الصوت .
(١٠) ابن ماء : طائر يكثر وجوده حول المياه .
(١١) كذا فى ف ، وفى س ، ب : « أصدر » . وفى هد : « فلا تدعونى » بلا توكيد .

وهي قصيدة طويلة ، هذا ذكر في الخبر منها .

وأخبرني بهذا الخبر أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهري وأحمدُ بنُ عبيد الله بن عمار ، عن عمر بن شبّة ، عن المدائنيّ مثل ما مضى أو قريباً منه ، ولم يتجاوز عمر بن شبة المدائني في إسناده .

٥ أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال : حدثني محمد بن الحسن بن الحرون قال : قال ابن الأعرابي :

عامر بن الكريز ينهره أيضا

١٤٥ ١٩

كان عتيبة بن مرداس السلميّ شاعراً خبيثَ اللسان مخوف المعرّة في جاهليته وإسلامه ، وكان يقدُم على أمراء العراق وأشرافِ الناس ، فيصيب منهم بشعره ، فقدم على ابن عامر بن كُرَيْز [1] — وكان جواداً — فلما استؤذن له عليه أرسل إليه : إنك

١٠ والله ما تسألُ بحسب ، ولا دين ولا منزلة ، وما أرى لرجل من قريش أن يعطيَك شيئاً ، وأمر به فأُكرِمَ وأُهينَ فقال ابنُ فسْوة :

وكائن تخطّتْ ناقتي وزميلُها إلى ابن كُرَيْزٍ مِنْ نُحوسٍ وأسْعُدِ

وأغبرَ مسْحولٍ [2] الترابِ تَرَى له حباً [3] طردتْه الريحُ من كل مَطْرَدِ

لعمركَ إني عند باب ابنِ عامر لكالظّبي عند [4] الرَّمْيَةِ المتردِّدِ

١٥ فلم أر يوماً مثله إذ [5] تكشّفتْ ضبابتُه عنّي وما كان أقْيَدِ

ثم يطيب خاطره

فبلغ قولُه ابنَ عامر ، فخاف لسانَه وما يأتي به بعد هَذا ورجع له ، وأحسن

(١) في هد : « عامر بن الكريز » بدل « ابن عامر بن كريز » .

(٢) مسحول : ناعم .

(٣) كذا في ف بمعنى مطر ، وفي س ، ب : « خبا » .

٢٠ (٤) كذا في ف وفي س ، ب : « بعد » .

(٥) كذا في ف وفي س وب : « أن » .

القومُ رِفْدَه ، وقالوا : هذا شاعر فارس وشيخ من شيوخ قومه والأمير يرضيه ، فقال: رُدُّوه فردّ ، فقال له : إيه يا عتيبة ، أردد علىّ ما قلت ، فقال : ما قلت إلا خيراً قال : هاته فقال : قلت :

أتعرفُ رسْمَ الدار من أم معْبَدِ   نعم فرماك الشوقُ قبلَ التجلُّدِ[1]

فيالكَ من شوقٍ ويالكِ عَبرةً   سوابقُها مِثل الجُمان المبدَّدِ

وكائنْ تخطَّتْ ناقتى وزميلُها   إلى ابن كُريز من نحوس وأسعُدِ

فتى يشترى حُسْنَ الثَّناء بماله   ويعلم أنَّ المرء غيرُ مخلَّدِ

إذا ما ملمّاتُ الأمور اعترينَه[2]   تجلَّى الدُّجَى عن كوكبٍ متوقّدِ

فتبسّم ابن عامر وقال : لعمرى ما هكذا قلت ، ولكنه قول مستأنف ، وأعطاه حتى رَضِى وانصرف .

قال : وأنشدنا ابن الأعرابىّ له بعقب هذا الخبر ، وكان يستحسنُ هذه الأبياتَ ويستجيدُها :

ابن الأعرابى يستحسن أبياتا له

منعّمةٌ لم يُغذها أهلُ بلدةٍ[3]   ولا أهلُ مصرٍ فهىَ هيفاء ناهِدُ

فَريدةُ فلم تحبَا[4] ولكن تأوّدتْ   كما انتصّ[5] مكحولُ المدامع فاردُ

وأهوت لتنتاشَ الرِّواق[6] فلم تَقُمْ   إليه ولكن طأطأتْه الولائدُ

(١) ورد هذا المطلع فى دالية عدى بن زيد المعدودة فى المجمهرات بنصه .

(٢) فى س ب : « اعتلينه » .

(٣) فى س ، ب : « ثلة » .

(٤) فى س ، ب: تحبى .

(٥) كذا فى ف ، وفى س ، ب : أبنص وهو تحريف . انتص : سار .

(٦) الرواق : مقدم البيت أو الفسطاط ، وتنتاش ، والمراد ، تتناول لنعمها وترفهها بكثرة الخدم .

قليلةُ لحم الناظرَين يزينها شبابٌ ومخفوضٌ من العيش باردُ

تَناهى إلى لهو الحديثِ كأنها أخو سَقَمٍ قد أسلمته العوائدُ

ترى القُرطَ منها في قناة[١] كأنها بهالكة لولا البُرا[٢] والمعاقِدُ[٣]

وقال أبو عمرو والشيباني :

أغار رجل[٤] مِنْ بني تغلب يقال له الهُذَيل بعد مقتل عثمان على بني تميم ، فأصاب نَعَمًا كثيراً ، فورد بها ماء لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم يقال له سَفَارِ[٥] ، فإذا عليه الأسود وخالد ابنا نُعيم بن قَعْنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن رياح في إبل لهما قد أورداها ، فأراد الهذيل أخذَها ، فتفرقوا ، فتفرق أصحابُه في طلبها ، وهو قائم على رأس رَكيّة من سَفار ، فرماه أحدهما فقتَلَه فوقع في الرّكيّة فكانت قبرَه . ويقال : بل رماه عبدٌ أسود لمالك بن[٦] عروة المازنيّ ، فقال عتيبة بن[٧] مرداس الذي يقال له ابنُ فَسْوة في ذلك :

مَنْ مبلغٌ فِتيانَ تغلبَ أنه خلا للهُذيل من سفارِ قليبُ ؟

إذا صوّت الأصداءُ صوّت وسْطَها فتى تغلبيٌّ في القَليب غريبُ

فأعددتُ يربوعا لِتغلبَ إنهم أناسٌ غذتهم[٨] فتنةٌ وحروب

حويتَ لقاحَ ابنَي نُعيم بن قعنبٍ وإنك إن أحرزتَها لكسوبُ

(١) كذا في ف ؛ وفي س ، ب : «فتاة» ، والمراد استقامة قدها وطول عنقها .

(٢) البرا : جمع برة ، وأصلها بروة : الخلخال .

(٣) المعاقد : جمع معقاد ؛ وهو خيط فيه خرزات تعلق في عنق الصبي .

(٤) ف : «فتى» .

(٥) سفار : منهل بين البصرة والمدينة قبل ذي قار لبني مازن بن مالك .

(٦) كذا في ف ، ب وفي س : «أبي» .

(٧) كذا في ف ؛ وفي س ، ب : «في» ؛ وهو تحريف .

(٨) كذا في ب ، وفي س ، ب : «عرتهم» .

وقال أبو عمرو أيضاً :

كان عبد الله بن عامر بن كريز قد تزوّج أخت بشر بن كهف ، أحد بنى خزا

بشر بن كهف ينهره

ابن مازن ، فكان أثيراً عنده ، واستعمله على الحمَى ، فسأله ابنُ فسوة أن يُرْعيَه فأَبى ومنعه ، وطرد إبله ، فقال فى ذلك :

مَنْ[1] يكُ أرْعاه الحمى أخواتُه ... فما لىَ من أُختٍ عَوانٍ ولا بِكرِ

وماضرّها أن لم تكن رَعَتِ الحمى ... ولم تطلب الخيرَ الممنَّع من بشرِ

متى يجىء[2] يوماً إلى المال وارثى ... يجد قبْض كفٍّ غير ملأى ولا صِفْرِ

يجد مُهرة مثل القَناة طِمرّة[3] ... وعضْباً إذا ماهُزّ لم يرض بالهَبْرِ[4]

فإن تمنعوا منها حِماً كم فإنه ... مُباحٌ لها مابين إنبط[5] فالكدْرِ[6]

إذا ما امرؤٌ أثنى بفضل ابن عمه ... فلعنةُ ربٍّ العالمين عَلَى بِشرِ

يسرقون ثيابه ؛ فيستعدى قومه عليهم

وقال أبو عمرو الشيبانى ، ونسخته أيضاً من خط إسحاقَ الموصلى، وجمعت الروايتين:

إن ابن فسوةَ نزل ببنى سعد بن مالك من بنى قيس بن ثعلبة، وبات بهم، ومعه جارية له يُقال لها جوزاء ، فسرقوا عَيْبَةً له فيها ثيابهُ وثياب جاريته ، فرحل عنهم، فلما عاد إلى قومه أعلمهمْ ما فعله به بنو سعد بن مالك. فركب معه فُرسانٌ منهم حتى أغاروا على إبل لبنى سعد فأخذُوا منها صِرْمة[7] ، واستاقوها فدفعوها إليه ، فقال يمدح قومه ويهجو بنى سعد بة وله :

(١) البيت من الطويل دخله الخرم .

(٢) كذا فى ف ؛ وفى س ، ب: «مانحا» وعلى رواية « نحا» يجب زيادة « ما » قبلها وإلا انكسر الوزن .

(٣) الطمرة : الفرس الجواد .

(٤) الهبر : قطع اللحم ، المفرد هبرة .

(٥) إنبط كأثمد : موضع ببلاد كلب بن وبرة .

(٦) الكدر : موضع على ثمانية برد من المدينة أو ماء لبنى سليم .

(٧) الصرمة : القطعة من الإبل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

جزى اللهُ قومى من شفيع وشاهدٍ … جزاء … لبيانَ الذّ بيّ المكرَّم

همُ القومُ لا قومُ ابنِ دارةَ سالمٍ … ولا ضَابئٍ إذ(1) أسْلَمَا شَرَّ مُسْلَم

وما عيبةُ الجوزاءِ إذ غادرتْ بها … سَراةُ بنى قيسٍ بسرٍّ مكتَّم

إذا ما أتيتَ الحىَّ سعدَ بنَ مالكٍ … على زَمٍّ(2) فانزل خائفًا أو تَقدّم

أناسٌ أجاروا فكان جوارُهُمْ … … كلحم الجازر المقسَّم

لقد دنسَتْ أعراضَ سعدِ بن مالكٍ … كما دنّسَتْ رجلُ البغىِّ(3) من الدَّم

لهم نسوةٌ طُلْسٌ(4) الثياب مَواجِنٌ … ينادين من يبتاعُ عودًا(5) بدرهمْ

إذا أيِّمٌ قيسيَّةٌ مات بعلُها … وكان لها جارٌ فليست بأيِّم

يُمشِّى ابنُ بشرٍ بينهنّ مقابَلا … بأيرٍ … الأرجحىّ المخزَّم(6)

إذا راح من أبياتهنّ كأنّما … طليتَ بتَنُّوم(7) قفاه وخِمخِم(8)

وفيه رواية إسحاق:

… وقُ الجوارى(9) مَنْخَراه كأنّما … دَلَكْنَ بتَنُّوم قفاه وخِمخِم

(1) س ، ب : «إن» .

(2) زم : بئر لبنى سعد بن مالك ومنع «زم» الصرف على اعتباره علما مؤنثا .

(3) كذا فى ف ومعجم ياقوت ، وفى س ، ب : «التقى» ، ولا معنى له .

(4) طلس : جمع أطلس : ثوب خلق .

(5) ف «فرداً بدرهم» .

(6) ف : «الأرحجى»

(7) التنوم : شجر مثمر ورقه مع الحل يقلع التآليل .

(8) نبت له شوك دقيق لصاق بكل مايتعلق به وهومن خيار المرعى ، وله زغب خشن .

(9) كذا فى ف ، وفى س ، ب : «يسوق الجوار منخراة كأنما» وهو تحريف .

صوت

قد طال شوقي وعادني طربي من ذكر خَوْدٍ كريمةِ النسب(١)
غرّاء مثلِ الهلال صُورَتها أو مثلِ تمثالِ صُورة الذهب

ويروى: «ربيعة الرتب». الشعر لعبد الله بن العجلان النهدي، والغناء لمالك، وله لحن من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وله فيه أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، وذكر الهشامي أنه لابن مسجح.

(١) في ج: «الحسب».

أخبار عبد الله بن العجلان

اسمه ونسبه

هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن أسود[1] بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . شاعر جاهلىّ أحد المتيمين من الشعراء ومَنْ قتله الحب[2] منهم .

وكانت له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ، ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجاً غيره ، فمات أسفاً عليها .

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدىّ قال :

قصته مع هند وهى تشبه قصة قيس ولبنى

كان عبد الله بن العجلان النهدىّ سيداً فى قومه وابنَ سيد من ساداتهم ، وكان أبوه أكثر بنى نَهْدٍ مالا ، وكانت هند امرأة عبد الله بن العجلان التى يذكرها فى شعره امرأة من قومه من بنى نَهْد ، وكانت أحب الناس إليه ، وأحظاهم عنده ، فمكثت معه سنين سبعاً أو ثمانياً لم تلد ، فقال له أبوه : إنه لا ولدَ لى غيرُك ، ولا ولد لك ، وهذه المرأة عاقر ، فطلّقها ، وتزوجْ غيرها ، فأبى ذلك عليه ، فآلى ألّا يكلمه أبداً حتى يطلقها . فأقام على أمره ، ثم عمَد إليه يوماً ، وقد شرب الخمر حتى سكر ، وهو جالس مع هند ، فأرسل إليه أن صِرْ إلىّ ، فقالت له هند : لاتمض إليه ، فوالله ما يريدك لخير ، وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران ، فطمع فيك أن يقسم عليك ، فتطلقنى ، فنمْ مكانك ، ولا تمض إليه . فأبى ، وعصاها ، فتعلقت بثوبه ، فضربها بسواك ، فأرسلته ، وكان فى يدها زعفران ، فأثّر فى ثوبه مكان يدها ، ومضى إلى أبيه ، فعاوده فى أمرها ، وأنّبه ، ووبّخه ،

(١) فى هج : « سود »

(٢) فى هج : « العشق ».

١٠٣ وجمع عليه مشيخة الحىّ وفتيانهم ، فتناولوه بألسنتهم ، وعيَّروه بشغفه بها وضعفِ حزْمه ،
١٩ ولم يزالوا به حتى طلّقها. فلما أصبح خُبِّر بذلك ، وقد علمت به هند ، فاحتجبت عنه ، وعادت إلى أبيها ، فأسف عليها أسفاً شديداً ، فلما رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بنى نمير ، فزوّجها أبوها منه ، فبنى بها عندهم ، وأخرجها إلى بلده . فلم يزل عبد الله بن
٥ العجلان دنِفاً سقيما ، يقول فيها الشعر ، ويبكيها حتى مات أسفاً عليها ، وعرضوا عليه فتيات الحى جميعا فلم يقبل واحدة منهن ، وقال فى طلاقه إياها :

فارقتُ هنداً طائعاً فندمتُ عندَ فراقِها
فالعينُ تذْرِى دمعةً كالدُّر من آماقها
متحلِّيا فوق الردا ء يجول من رَقْراقها
١٠ خَوْدٌ رَداحٌ طَفْلةٌ ما الفحش من أخلاقها
ولقد ألذُّ حديثَها وأسَرُّ عند عناقها

وفى هذه القصيدة يقول :

إن كنتِ ساقيةً ببُزْ لِ الادْمِ أو بحِقاقها
فاسقِى بنى نهدٍ إذا شربوا خيار زِقاقها
١٥ فالخيل تعلم كيف نُلْ حِقها غداة لحاقها
بأسنَّةٍ زُرْقٍ صبحْ نا القومَ حدَّ رقاقها
حتى ترى قِصَد القنا والبِيضَ فى أعناقها

قال أبو عمرو الشيبانى :

شعره فى غارة شنها قومه

لما طلق عبد الله بن العجْلان هنداً أنكحت فى بنى عامر ، وكانت بينهم وبين نهد
٢٠ مغاورات ، فجمعت نهد لبنى عامر جمعاً ، فأغاروا على طوائف منهم ، فيهم بنو العجلان

وبنو الوحيد وبنو الحَرِيش وبنو قُشَيْر ، ونذروا بهم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم انهزمت بنو عامر ، وغنمت نهدٌ أموالهم ، وقتل فى المعركة ابنٌ لمعاوية بن قشير بن كعب ، وستة بنين له ، وقُرْط وجُدعانُ ابنا سلمة بن قشير ومرداس بن جزعة[1] بن كعب ، وحُصين[2] ابن عمرو بن معاوية وَمَشْجَعة بن الجَمَّع البقى ، فقال عبد الله بن العجلان
٥ فى ذلك :

ألا أبلغ بنى العجلان عنى ... فلا يُنْبِيك بالحدثان غيرى
بأنا قد قتلنا الخير قُرْطا ... وَجُرنا[3] فى سَرَاةِ بنى قشير[4]
وَأفلتنا بنو شَكَلٍ رجالا ... حُفاةً يربئون على شُعَيْر

وَقالت امرأة من بنى قيس ترثى قتلاهم :

١٠ أصبتم يا بنى نَهدِ بن زيد ... قُروما عند قعقعة السلاح
إذا اشتد الزمان وكان محلا ... وَحاذر فيه إخوانُ السماح
أهانوا المال فى اللزبات صبراً ... وَجادوا بالمتالى وَاللقاح[5]
فبكِّى مالكاً وَابْكى بجيرا ... وَشدّاداً ابحجِرِ الرماح
وَكعبا فاندبيه معا وَقُرطا ... أولئك معشرى هدُّوا جناحى
١٥ وبكِّى إن بكيت على حُصَيْلٍ ... وَمرداس قتيلِ بنى صباح

امرأة ترثى قتلى قيس

١٠٤
١٩

قال : وَأسَر عبد الله بن العَجْلان رجلا من بنى الوَحيد ، فمنَّ عليه ، وَأطلقه ، وَوعده الوحيدىّ الثوابَ فلم يفِ ، فقال عبدالله :

رجل يغدر به أسيره

(١) هج : « جعدة » .
(٢) فى ب ، س : « وحسين » تحريف بدليل ما يلى .
٢٠ (٣) هج : « وجلنا » .
(٤) هج : « نمير » .
(٥) بعده فى هج : « ناقة متلية : يتلوها ولدها » .

وَقالوا لن تنال الدهر فقراً إذا شكرتك نعمتك الوحيدُ
فيا ندما ندمت على رِزَام وَتُخْلِفهِ كما خُلِع العَتُودُ

قال أبو عمرو : ثم إن بنى عامر جمعوا لبنى نَهد ، فقالت هند امرأة عبد الله بن العجلان التى كانت نا كحا فيهم لغلام منهم يتيم فقير من بنى عامر : لك[1] خمسَ عَشْرَة ناقة على أن تأتى قومى فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر ، فقال : أفعل ، فحملته على ناقة لزوجها ناجيةٍ ، وزودته تمراً وَوَطْباً من لبن ، فركب فجدَّ فى السير ؛ وفَنِيَ اللبنُ ، فأتاهم والحى خلوف فى غزو وميرَةٍ ، فنزل بهم ، وقد يبس لسانه ، فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم ، وأومأ لهم إلى لسانه ، فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن ، فأسخن ، وسقاه إياه ، فابتلّ لسانه ، وتكلّم ، وقال لهم : أُتيتم ، أنا رسول هند إليكم تُنذركم ، فاجتمعت بنو نَهد واستعدّت ووافتهم بنو عامر فَلَحِقُوهم على الخيل ، فاقتتلوا قتالا شديداً فانهزمت بنو عامر ، فقال عبد الله بن العجلان فى ذلك :

عاوَدَ عينى نصبُها وَغرورها أهَمٌّ عنَاها[2] أم قَذَاها يعورُها ؟
أم الدار أمست قد تعفَّت كأنها زبورُ يمان رقشته[3] سطورها ؟
ذكرت بها هنداً وأترابَها الأُلَى بها يكذب الواشى ويُعْصَى أميرُها
فما مُعْوِلٌ تبكى لفقد أليفها إذا ذكرته لا يكفُّ زفيرُها
بأغزر[4] منى عبرة إذ رأيتها يحث[5] بها قبل الصباح بَعيرها
ألم يأت هنداً كيفما صنْعُ قومها بنى عامر إذ جاء يسعى نَذِيرُها

(١) فى هج : « هل لك فى » .
(٢) هج : « عراها » .
(٣) هج : « نقشه » .
(٤) هج : « بأسرع » .
(٥) هج : « يخب » .

فقالوا لنا إنّا نحبّ لقاءكم وإنا نحيّي أرضكم ونزُورها

فقلنا: إذا لا ننكل الدهرَ عنكمُ بصُمِّ القنا اللائى الدماء تُميرها

فلا غرو أنّ الخيل تَنْحِط فى القنا تمطّرُ من تحت العوالى ذكُورها[1]

تأوّهُ مما مسّها من كريهةٍ وتُصغى الخدود والرماحُ تَصورها[2]

وأربابها صرعى بِبُرْقةِ أخربٍ تُجَرِّرُهمْ ضِبعانها ونُسورها

فأبلغ أبا الحجاج عنى رسالةً مغلغلة لا يَغْلِبَنْك بُسُورُها

فأنت منعتَ السلم يومَ لقيتنا بكفّيك تُسْدِى غيّةً وتنيرهَا

فذوقوا عَلَى ما كان من فرط إحْنَة حلائبنا إذْ غابَ عنا نصيرها

قال أبو عمرو: فلما اشتدّ ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرًّا من أبيه مخاطراً بنفسه حتى أتى أرض بنى عامر لا يرهب ما بينهم من الشرّ والتِّرَاتِ، حتى نزل ببنى نمير، وقصد خباء هند، فلما قارب دارها رآها وهى جالسة عَلَى الحوض، وزوجها يسقى، ويذود الإبلَ عن مائه، فلما نظر إليها ونظرت إليه رمى بنفسه عن بعيره، وأقبل يشتدّ إليها، وأقبلت تشتدّ إليه، فاعتنق كل واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان وينشجان ويشهقان، حتى سقطا على وجوههما، وأقبل زوج هند ينظر ما حالهُما، فوجدهما ميتين.

نهاية حبه

قال أبو عمرو: وأخبرنى بعض بنى نهد أنّ عبد الله بن العجلان أراد المضىّ إلى بلادهم، فمنعه أبوه وخوّفه الثارات وقال: نجتمع معهم فى الشهر الحرام بعكاظ أو بمكة، ولم يزل يدافعه بذلك حتى جاء الوقت، فحج، وحج أبوه معه، فنظر الى زوج هند وهو يطوف بالبيت وأثرُ كفّها فى ثوبه بخَلوق، فرجع إلى أبيه فى منزله، وأخبره بما رأى ثم سقط على وجهه فمات. هذه رواية أبى عمرو.

(١) تنحط: تزفر. تمطر: تسرع.
(٢) تصورها: تميلها.

وقد أخبرنى محمد بن خلف وكيع ، قال حدثنى عبد الله بن على بن الحسن قال : حدثنا نصر بن على عن الأصمعىّ عن عبد العزيز بن أبى سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال :

خرج عبد الله بن العجلان فى الجاهلية فقال :

ألا إنّ هنداً أصبحت منك محرماً وأصبحت من أدنى حُمُوَّتِها حَمَا

وأصبحت كالمقمور جفنَ سلاحه يقلّب بالكفين قوساً وأسهما

ثم مد بها صوته فمات .

قال ابن سيرين : فما سمعت أن أحداً مات عشقاً غير هذا . وهذا الخبر عندى خطأ لأن أكثر الرواة يروى هذين البيتين لمسافر بن أبى عمرو بن أمية ، قالها لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه فى مهر هند بنت عتبة بن ربيعة ، فقدم أبو سفيان بن حرب ، فسأله عن أخبار مكة ، وهل حدث بعده شىء ، فقال : لا ، إلاّ أنّى تزوجت هنداً بنت عتبة ، فمات مسافر أسفا عليها ، ويدل على صحّة ذلك قوله :

الشعر له أم لمسافر

* وأصبحت من أدنى حموّتها حما *

لأنه ابن عم أبى سفيان بن حرب لحًّا وليس النميرى المتزوج هنداً النهدية ابن عم[1] عبد الله بن العجلان فيكون من أحمائها ، والقول الأول على هذا أصحّ .

من شعره فى هند

ومن مختار ماقاله ابن العجلان فى هند :

ألا أبلغا هنداً سلامى فإن نأتْ فقلبىَ مذ شطّتْ بها الدارُ مدنَفُ[2]

ولم أر هنداً بعد موقفِ ساعة بأنعمَ فى أهل الديار تطوّف

أتتْ بين أتراب تمايَسُ إذ مشتْ دبيبَ القطا أوهنّ منهنّ أقطَفُ

(١) هج : « من بنى عم » .

(٢) هج : « فقلبى بها مذ شطت الدار مدنف » .

يباكرن مرآةً جليًّا وتارةً ذكيًّا وبالأيدى مَدَاكٌ ومِسْوَفُ

أشارت إلينا فى خَفَاءٍ[1] وراعَها سراةُ الضحى منى على الحىّ موقفُ

وقالت : تباعد يا بن عمى فإننى مُنيتُ بذى صَوْلٍ يَغَار ويَعْنُفُ

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : أنشدنا فضل اليزيدىّ عن إسحاق لعبد الله بن العجلان النهدىّ قال إسحاق وفيه غناء :

خليلىَّ زورا قبل شحط النوى هندا ولا تأمنا مِنْ دَارِ ذِى لَطَفٍ بُعْدا

ولا تعجلا ، لم يَدْرِ صاحبُ حاجةٍ أغيًّا يلاقى فى التعجُّلِ أم رُشْدا

ومرَّا عليها بارك الله فيكما وإن لم تكن هندٌ لوجهيكما قَصْدَا

وقولا لها ليس الضلال أجازَنا ولكنَّنا جُزْنا لنلقاكُمُ عَمْدا

(1) ف : « فى حياء ».

صوت

ألا يا ظبيةَ البلدِ براني طولُ ذا الكمدِ

فردِّى يا معذِّبتي فؤادى أوخذى جسدِى

١٤٧ بليتُ ابتُليتُ بكمُ غلاماً ظاهرَ الجلدِ

١٩ فشيّبَ حبُّكم رأسى وبيّضَ هجرُكم كبِدى ٥

الشعر للمؤمّل بن أميل ، والغناء لإبراهيم ثقيل أول بإطلاق الوتر فى مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبار المؤمل ونسبه

اسمه ونسبه

المؤمل بن أُميل بن أُسيد المحاربيّ . من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن مضر ، شاعر كوفيّ من مخضرمى شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وكانت شهرته فى العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم ومن يخصّهم[(١)] ، ويخدمهم من أوليائهم ، وانقطع إلى المهدىّ فى حياة أبيه وبعده . وهو صالح المذهب فى شعره ٥ ليس من المبرِّزين الفحول ولا المرذُولين ، وفى شعره لِين[(٢)] ، وله طبع صالح .

وَكان يهوَى امرأةً من أهل الحِيرة يقال لها هند ، وفيها يقول قصيدَتَه المشهورة :

يتمنى العمى فيستجاب له

شفَّ المؤمِّلَ يوم الحيرة النظرُ ليت المؤملَ لم يُخلق له بصَرُ

١٠ يقال : إنه رأى فى منامه رجلا أدخل أصبعيه فى عينيه ، وقال : هذا ما تمنيت ، فأصبح أعمى .

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبىّ ، قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنا عبد الله بن الحسن الحَرَّانىّ ، قال : حدثنى أبو قُدامة ، قال : حدثنى المؤمّل قال :

المهدى يغدق والمنصور ينتقص

١٥ قدمت على المهدىّ وهو بالرّى ، وهو إذ ذاك ولىُّ عهد ، فامتدحتُه بأبيات ، فأمر لى بعشرين ألفَ درهم ، فكتب بذلك صاحبُ البريد إلى أبى جعفر المنصور ، وهو بمدينة السلام يُخْبِره أن الأمير المهدىّ أمر لشاعر بعشرين ألفَ درهم ، فكتب إليه يَعذِله ويلومه ، ويقول له : إنما ينبغى أن تعطى لشاعر بعد أنْ يقيم ببابك سنةً أربعةَ آلاف درهم ،

(١) فى هد : « يخضرهم » بدل « يخدمهم » .

٢٠ (٢) فى هد : « وفى شعره لغة ودين » .

وكتب إلى كاتب المهدى أن يوجّه إليه بالشاعر، فطلبه، ولم يقدر عليه، وكتب إلى أبى جعفر أنه قد توجّه إلى [1] مدينة السلام، فأجلس قائداً من قواده على جسر النهروان، وأمره أن يتصفّح الناسَ رجلاً رجُلا، فجعل لا يمرّ به قافلة، إلا تصفّح من فيها، حتى مرت به القافلةُ التى فيها المؤمَّل، فتصفّحهم، فلما سأله من أنت؟ قال: أنا المؤمِّل بنَ أُميل المحاربى الشاعر، أحدُ زوار الأمير المهدىّ، فقال: إياك طلبتُ، قال المؤمل: فكاد قلبى ينصدع [2] خوفاً من أبى جعفر.

فقبضَ علىّ، وأسلمنى إلى الربيع، فأدخلنى إلى أبى جعفر، وقال له: هذا الشاعر الذى أخذ من المهدى عشرين ألفاً، قد ظفرنا به، فقال: أدخلوه إلىّ، فأُدخلتُ إليه، فسلمت تسليم فزع [3]، مُرَوّع، فردّ السلام، وقال: ليس لك هاهنا إلّا خيرُ، أنت المؤمل بن أميل؟ قلت: نعم، أصلح الله أمير المؤمنينَ أنا المؤمل بن أميل، قال: أتيتَ غلاما غِرًّا كريماً، فخدعته فانخدع؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، أتيتُ غلاماً غِرًّا كريماً، فخدعتُه فانخدعَ قال: فكأن ذلك أعجبَه، فقال: أنشدنى ما قلتَ فيه فأنشدتُه:

هو المهدىُّ إلا أن فيه ... مشابهةً [4] من القمر المنيرِ

تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مُشْكلانِ على البصيرِ

فهذا فى الظلام سراجُ ليلٍ ... وهذا فى النهار ضياءُ نُورِ

ولكن فضّل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابرِ والسّريرِ

(١) كذا فى ف، هد، هج، وفى س، ب: «توجه مدينة».
(٢) كذا فى ف، بدون أن وهو أفصح.
(٣) هج: «مذعور».
(٤) كذا فى ف وفى س، ب: «مشابه صورة القمر المنير».

وَبالمُلْكِ العزيزِ فذا أميرٌ ... وماذا بالأمير ولا الوزير
وبعضَ الشهر ينقصُ ذا وهذا ... مُنير عند نقصانِ الشهور[١]
فيابن خليفةِ الله المصفّى ... به تعلو مفَاخرةُ الفَخورِ
لئن فُتَّ الملوكَ وقد توافَوْا ... إليكَ مِنْ السهولة والوُعورِ
لقد سبق الملوك أبُوك حتَّى ... بقوا من بين كابٍ[٢] أو حَسيرِ
وجئتَ مصليًا[٣] تجرى حثيثًا ... وما بك حين تجرى من فُتُور
فقال الناس ما هذان إلا ... كما بينَ الخليق إلى الجديرِ
لئن سَبَق الكبيرُ لأهلُ سَبْقٍ[٤] ... له فضلُ الكبير على الصغيرِ
وَإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ ... فقد خُلِق الصغيرُ من الكَبيرِ

فقال: وَالله لقد أحسنت، ولكن هذا لا يساوى عشرين ألفَ درهم، فأين المال؟ قلت: هو هذا، قال: يا ربيع، امض معه، فأعطه أربعة آلاف درهم، وخذ الباقى. قال المؤمّل: فخرج معى الربيع، وَحطَّ ثِقْلى، ووَزَنَ لى من المال أربعةَ آلاف درهم، وأخذَ الباقى.

فلما وَلِىَ المهدىُّ الخلافة ولّى ابن ثَوبانَ المظالمَ، فكان يجلس للناس بالرُّصافة، فإذا ملأ كساءه رِقاعا رفعها إلى المهدىّ، فرُفِعَتْ إليه رُقْعة، فلما دخل بها ابن ثوبان جعل المهدىُّ ينظر فى الرقاع، حتى إذا وَصل إلى رُقْعتى ضَحِك، فقال له ابنُ ثوبان: أصلحَ الله أميرَ المؤمنين! ما رأيتك ضَحِكْتَ من شىء من هَذه الرقاع إلا من هذه

(١) كذا فى ف وفى س، ب
ونقص الشهر ينقص ذا وهذا ... أمير عند نقصان الشهور
(٢) كاب: عاثر من كبا يكبو.
(٣) مصليا: تاليا للسابق، وسمى بذلك لأنه يضع أنفه عند صلوى سابقه.
(٤) كذا فى ف وفى س، ب: «لقد».

الرُّقعة، فقال: هذه رقعة أعرفُ صاحبها، ردّوا إليه عشرين ألفَ درهم، فردُّوها إلىّ وانصرفتُ.

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى، قال: حدثنا عبد الله بن سعد بن أبى سعد قال: حدثنى الحكم بن موسى السلولىّ، قال: حدثنى سعد بن أخى العوفىّ قال:

يبايع موسى وهارون فيأخذ بدرة ونصفا

قدم على المهدىّ فى بيعة ابن ابنيه موسى وهارون المُؤمَّل بنُ أُمَيل المحاربىّ والحسين ابن يزيد بن أبى الحكم السَّلولى وقد أوفدهما هاشمُ بنُ سعد الحِمْيرى من الكوفة، فقدما على المهدىّ فى عسكره، فأنشده المؤمّل:

هالكَ بيعتنا يا خير والٍ فقد جُدْنا به لكَ طائعينا[1]

فإن تفعل فأنت لذاك أهلٌ فقد لك يابنَ خير الناس فينا

وعدلُك يابن وارث خيرِ خلقٍ نبىِّ الله خيرِ المرسلينا

فإن أبا أبيكَ وأنت منه هو العبّاسُ وارثُه يقينا

أبان به الكتابُ وذاك حقٌّ وإنّا للكتابِ مُصدّقينا

بكم فُتِحتْ وأنتم غير شك لها بالعدل أكرمُ خاتمينا

فدونكها فأنت لها محلٌّ حَباك بها إلهُ العالمينا

ولو قيدتْ لغيرِكمُ اشمأزّت وأعيتْ أن تطيعَ القائدينا

فأمر لهما بثلاثين ألفَ درهم، فجىء بالمال، فأُلقى بينهما، فأخذ كلّ واحد منهما بَدرة[2]، وصدعَ[3] الأخرى بينهما، فأخذ هذا نصفاً وهذا نصفا.

(١) فى هد «فقد جدنا بذلك طائعينا».

(٢) البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم، وجمعه بدر كعنب.

(٣) كذا فى ف وفى س، ب «صدع».

أخبرنى جعفرُ بن قُدامة قال : حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، عن عبدالله بن أُمين عن أبى محمد اليزيدىّ ، عن المؤمَّل بن أُميل قال :

صِرتُ إلى المهدىّ بجُرجان فمدحتُه بقولى :

تعزَّ ودعْ عنك سَلْمَى وسِرْ حثيثاً على سائراتِ البِغالِ
وكل جوادٍ له مَيْعَةٌ[1] يَخُبُّ بسرجِكَ بعدَ الكَلالِ
إلى الشمسِ شمسِ بنى هاشمٍ وما الشمسُ كالبَدْرِ أو كالهِلالِ
ويُضحكه أن يدومَ[2] السؤالُ ويتلفُ فى ضحكه كلُّ مالِ

فاستحسنَها المهدىُّ ، وأمر لى بعشرة آلاف درهم ، وشاع الشعر وكان فى عسكره رجل يُعرف بأبى الهوْسات[3] ، يُغنِّى ، فغنَّى فى الشعر لرُفقائه ، وبلغ ذلك المهدىّ فبعث إليه سرًّا ، فدخل عليه ، فغناه ، فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وَأمرلى بعشرة آلاف درهمٍ أخرى ، وكتب بذلك صاحبُ البريد إلى المنصور .

ثُم ذكر باقى الخبر على ما تقدم قبله ، وَزاد فيه :

أن المنصور قال له : جئتَ إلى غلام حَدَث ، فخدعته ، حتى أعطاك من مال الله عشرين ألفَ درهم لشعر قلته فيه ، غيرِ جيّد وأعطاكَ من رقيقِ المسلمينَ مالا يملكه ، وأعطاك من الكُراع والأثاثِ ما أسرف فيه ، يا ربيعُ خذ منه ثمانية عشر ألف درهم ، وأعطه ألفين ، ولا تعرض لشىء من الأثاث والدواب والرقيق ، ففى ذلك غناؤه . فأُخذَتْ والله منى بخَواتيمها ، ووُضعتْ فى الخزائن ، فلما ولىَ المهدىّ دخلتُ إليه فى المتظلمين . فلمّا رآنى ضحك وقال : مَظلمةٌ أعرفها ، ولا أحتاج إلى بيِّنة عليها ، وَجعل يضحك ، وَأمر بالمال فردّ إلىّ بعينه ، وزاد فيه عشرة آلاف .

(١) ميعة الفرس : أول جريه .
(٢) فى س ، ب « يديم » .
(٣) ف : « المهوسات » .

أخبرنى الحسنُ بن على الخفّاف قال : حدثنا محمد بن القاسم بنُ مَهْرُويه قال : حدثنى حُذيفة بن محمد الطائىّ قال : حدثنى أبى قال :

رأيت المؤمّل شيخًا مُصفَرًّا نحيفًا أعمى ، فقلت له : لقد صدقت فى قولك :

لا لحم فيه ولادم

وقد زعموا لى أنها نذرت دَمى … ومالى بحَمدِ الله لحمٌ وَلا دمُ

فقال : نعم — فديتك — وما كنت أقول إلا حقا .

قال محمد بن القاسم : وحدّثنى عبد الله بن طاهر أن أول هذا الشعر :

حلفت بكم فى نَوْمتى فنضبْتُمُ … ولاذنب لى إن كنتُ فى النوم أحلُمُ

سأطردُ عنى النومَ كيلا أراكمُ … إذا ما أتانى النَّومُ والناس نُوَّمُ

تُصَارِمُنِى والله يعلم أنَّنى … أبرُّ بها من والديْهَا وأرحَمُ

صوت

وقد زعموا لى أنها نذرتْ دمى … وما لى بحمدِ الله لحمٌ ولا دمُ

برى حُبُّها لحمِى ولم يُبقِ لى دَمًا … وإن زعموا أنى صحيح مسلَّم

فلم أر مثلَ الحبِّ صحَّ سقيمُهُ … وَلامثلَ من لا[1] يعرف الحبَّ يَسقَمُ

سيَقتلُ جِلداً باليًا فوقَ أعظُمٍ … وليس يُبالى القتلَ جلدٌ وأعظُمُ

فى هذه الأبيات التى أولها :

* وَقد زعموا لى أنها نذرت دمى *

لذبيه لحن من خفيف الثقيل المطلق فى مجرى الوسطى عن ابن المكى .

أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال : حدثنا ابن مَهْرُويه ، قال : حدثنى محمد بن أحمد بن علىّ ، قال : لما قال المؤمِّل :

شفّ المؤمّل يوم الحيرة النظرُ … ليت المؤمِّل لم يخلقْ له بَصَرُ

(١) فى س ، ب : « لم » .

عَمِى ، وَأُرِى فى منامه : هذا ما تمنيتَ .

أخبرنى حَبيبُ بنُ نَصْر قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال حدثنى علىّ بن الحسن[1] الشيبانى : قال :

رأى المؤمل فى منامه قائلا يقول : أنت[2] المتألّى على الله ألا يعذّبَ المحبِّين حيث تقول :

يَكفِى المحبِّينَ فى الدنيا عذابُهمُ وَاللهِ لاعذَّبَتْهم بعدها سَقَرُ

فقال له : نعم ، فقال : كذبت يا عدوّ الله ، ثم أدخل إصبعيه[3] فى عينيه وقال له : أنت القائل :

شفَّ المؤمِّلَ يوم الحيرة النظرُ ليتَ المؤمّل لم يُخلق له بصرُ

هذا ما تمنيت ، فانتبهَ فزِعًا ، فإذا هو قد عَمِى .

أخبرنى الحسن بن علىّ ، قال : حدثنا أحمد بن زهير قال : حدثنا مُصعَب الزبيرىّ قال :

أنشدَ المهدىُّ قولَ المؤمِّل :

لا ترضى مضر بقتله

قتلتِ شاعرَ هذا الحىِّ من مُضَرٍ وَاللهُ يعلم ما ترضى بذا مُضَرُ

فضحك ، وقال : لو علمنا أنها قتلته ما رَضينا ، وَلَغضبنا له وأنكرنا .

(١) س ، ب : «الحسين» تحريف .
(٢) المتألى : الحالف .
(٣) فى س ، ب : «إصبعه» .

صـوت

بكيتُ حذارَ البين ملما بما الذى إليه فؤادى عند ذلك صائرُ
وَقال أناس لو صبرتَ وإننى على كل مكروه سوى البين صابرُ

الشعر لأبى مالك الأعرج ؛ والغناء لإبراهيم الموصلىّ خفيف ثقيل بالوسطى من جامع صنعته ورواية الهشامىّ .

قال الهشامىّ : وفيه ليزيد حوراء ثانى ثقيل ، وَلِعلّويه ثقيل أول .

أخبار أبي مالك ونسبه

اسمه ونشأته

أبو مالك النضر بن أبى النضر التميمى ، هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، وكان مولده ومنشؤه بالبادية .

ثم وفد إلى الرشيد ، ومدحه ، وخدمه فأحمد مذهبه ، ولحقته عناية من الفضل بن يحيى ، فبلغ ما أحب ، وهو صالح الشعر ، متوسط المذهب ، ليس من طبقة شعراء عصره المجيدين ، ولا من المرذولين .

أخبرنى أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعى قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال :

يرثى أباه

كان أبو مالك النضر بن أبى النضر التميمى مع الرشيد ، وكان أبوه مقيما بالبادية ، فأصاب قوم من عشيرته الطريق ، وقطعوه عن بعض القوافل ، فخرج عامل ديار مضر — وكان يقال له جيال — إلى ناحية كانت فيها طوائف من بنى تميم ، فقصدهم وهم غارون[1] ، فأخذ منهم جماعة فيهم أبو النضر أبو أبى مالك الأعرج ، وكان ذا مال ، فطالبه فيمن طلب من الجناة ، وطمع فى ماله ، فضربه ضربا أتى فيه على نفسه ، وبلغ ذلك أبا مالك فقال يرثيه :

فيم يُلحَى على بكائى العذولُ والذى نابنى فظيعٌ جليلُ
عدّ هذا الملام[2] عنى إلى غيـ ـرى فقلبى ببثّه مشغولُ
راعنى والدى جنت كفُّ جيّا لٍ عليه فراح وهو قتيلُ
أيها الفاجعى بركنى وعزّى هبلتْنى إن لم أرعْك الهبولُ[3]

(١) غارون : غافلون .
(٢) س ، ب : « الكلام »
(٣) هبلتنى الهبول : ثكلتنى أمى

[illegible] وأظلمـ ـتَ [illegible] علىّ فالبكاء غولُ

ماعدانى الجفاءُ عنك ولكن لم يُدلنى[1] من الزمان مُديلُ

زال عنا السرورُ إذ زُلتَ عنا وازدهانا[2] بكاؤنا والعويلُ

ورأينا القريبَ منا بعيداً وجفانا صديقُنا والخليلُ

ورمانا العدوُّ من كلِّ وجه وتجنَّى على العزيز الذليلُ

يا أبا النضر سوفَ أبكيك ما عشـ ـتُ سويًّا وذاك منى قليلُ

حاليتْ نعشَكَ الملائكةُ الأبـ ـرارُ إذ مالنا إليك[3] سبيلُ

غير أنى كذبتُك الودَّ لم تقـ ـطُر جفونى دما وأنت[4] قتيلُ

رضيتْ مقلتى بإرسال دَمعى وعلى مثلك النفوسُ تسيلُ

أسواكَ الذى أجودُ عليه بدمى إننى إذاً لبخيلُ

عثر الدهرُ فيك عثرةَ سوْء لم يُقِل مثلَها المعينُ القتيلُ

قل إن ضنَّ بالحياة فإنى بعده للحياة قالٍ مَلولُ

إنّ بالفتح من ضباعةَ قومى[5] ليسَ منهم وهم أدانٍ[6] وَصولُ

لا يزورون جارَهم من قريب وهمُ فى التراب صَرعى حلولُ

(١) لم يدلنى : لم ينصرنى .
(٢) ازدهانا : استخفنا وأذهب وقارنا .
(٣) فى هـ : « إليها » بدل « إليك » وفى ف : « إليه » .
(٤) فى م : وذاك قليل ، والأول أصوب لتقدم هذه القافية .
(٥) كذا فى م ، وضباعة اسم جبل من جبال طيئ ، وفى ف : « إن بالفتح من منازل قومى » .
(٦) فى س ، ب : « أذان » وهو تحريف .

حفرة حَشْوُها وفاءٌ وحِلمٌ　　ونَدًى فاضلٌ ولُبٌّ أصيلُ
وعفافٌ عما يَشين وحِلمٌ　　راجحُ الوزن بالرواسى يَميلُ
ويمين[1] بنانُها غيرُ جَعد[2]　　وجبينٌ صَلْتٌ[3] وخدٌّ أسيلُ
وامرؤ أشرقتْ صفيحةُ خدّيه　　عليه بشاشةٌ وقَبولُ

(١) فى س ، ب: «وبنان يمينها» ، ولا معنى له .
(٢) جعد : قصير ، والمراد بسط يده بالعطاء .
(٣) صلت : واضح .

صوت

لئن مصرُ فاتتني بما كنتُ أرتجي ... وأخلفني فيها الذي كنتُ آملُ

فما كل ما يخشى الفتى بمصيبه ... ولا كلُّ ما يرجو الفَتَى هو نائلُ

(٤) الشعر لأبى دُهمان ، والغناء لابن جامع ثقيل أول بالوسطى عن الهشامى . انتهت ، أخبار مالك ، ونسبه(٤) .

٥

(٤-٤) تكملة من هج ، وهد .

أخبار أبى دهمان

أبو دُهْمان الغِلابىّ شاعر من شعراء البصرة ممن أدرك دولتى بنى أمية وبنى العباس[1]. ومدح المهدىّ، وكان طيِّباً ظريفا مليحَ النادرة.

وهو القائل لما ضَرَب المهدىُّ أبا العتاهية بسبب عشقه عُتْبة : لا يبيح باسم محبوبته

٥ لولا الذى أحدثَ الخليفةُ فى الـ ... ـعُشّاق من ضربهم إذا عَشِقُوا

لبُحْتُ باسم الذى أحِبُّ ولـ ... ـكنّى امرؤٌ قد ثَنانىَ الفَرَقُ

حدثنى بذلك الصولىّ عن محمد بن موسى عن محمد بن أبى العتاهية. وأخبرنى جَحْظَةُ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال :

١٥٢
١٩

قال رجل لأبى دهمان : ألا أحدثك بطريفة ؟ قال : بلى، قال : كنا عند فلان، ١٠ فمدّ رجله هكذا، فضَرَط، ومدّ المحدث رجله يحكيه فضَرَط، فقال له أبو دُهمان : يا هذا أنتَ أحذَقُ خلق الله بحكاية. يجيد التقليد

نسختُ من كتاب بخط ميمون بن هارون :

بلغنى أن أبا دُهمان مرّ وهو أمير بنيسابور على رجل جالس ومعه صديقٌ له يسايرهُ، فقام الناس إليه ودعَوْا له إلا ذلك الرجل، فقال أبو دهمان لصديقه وهو ١٥ يسايره : أما ترى ذلك الرجلَ فى النَّظارة وترى تيهَهُ علىّ ؟ فقال له : وكيف يتيه[2] عليك وأنتَ الأمير ! قال : لأنه قد نَاكَنى وأنا غلام. حق له أن يتيه عليه

وأخبرنى الحسن بن علىّ، قال : حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائنىّ، قال :

(١) فى س، ب : «بنى هاشم».
(٢) فى س، ب : «تيهه».

غلامه يتعجل موته

مرض أبو دُهمان مرضا أشْفَى منه على الموت ، فأوصى وأملى وصيته على كاتبه ، وأوصى فيها بِعِتق غلام كان له واقفا ، فلما فرغ غدا الغلامُ بالرقعة ، فأترَبها ، ونظر إليه أبو دُهمان ، فقال له : نعم أتْرِبها يابنَ الزانية ، عسى أن يكون أنجحَ للحاجة ، لاشفانى الله إن أنجحتَ ، وأمر به ، فأخرج لوقته ، فبِيع .

صوت

يكرُّ كما كرَّ الكُلَيبيِّ مُهرَه وما كرَّ إلا خيفةً أن يُعيَّرا

فلا صُلحَ حتى تزحفَ الخيلُ والقنا بناوبكم أو[1] يَصدُرَ الأمرُ مَصدَرا

الشعر لأبى حُزابة التميمىّ، والغناء لابن جامع ثانى ثقيل بالبنصر.

٥ وهذا الشعر يرثى به أبو حُزابَة رجلا من بنى كُلَيب بن يربوع يقال له ناشرةُ اليَرْبُوعىّ، قُتِل بسجستان فى فتنة ابن الزبير، وكان سيداً شُجاعاً.

أنشدنيه جعفرُ بن قُدامة قال: أنشدنى أبو هِفّان وأحمد بن أبى طاهر قالا: أنشدنا عبدُ الله بن أحمد العدوىّ لأبى حُزابة يرثى ناشرةَ اليربوعىّ وقُتِل بسجستان فى فتنة ابن الزبير قال:

يرثى ناشرة اليربوعى

١٠ لَعَمرى لقد هدّتْ قريش عروشَنا بأبيضَ نفّاح العشيّات أزهرا

وكان حصاداً للمنايا زَرعنَهُ فهلاً تركنَ النبتَ ما كان أخضرا

لحا اللهُ قوماً أسلموكَ وجرّدوا[2] عناجيجَ[3] أعطتْها[4] يمينُك ضُمَّرا

أما كان فيهمْ ماجدٌ ذو حفيظةٍ يرى الموت فى بعض المواطنِ أفخرا

يكرّ كما كَرَّ الكُلَيبيّ مُهره وما كرّ إلا خشية أن يُعيَّرا

١٥ يُريد ما كان فى هؤلاء القوم مَنْ يكرُّ كما كرّ ناشرة الكُلَيبى مُهرَه؟

(١) فى س، ب: أن بدل أو.

(٢) فى ف، مج، هد: «قد عموك وأسلموا» بدل «أسلموك وجردوا».

(٣) العناجيج: جياد الخيل واحدها عنجوج كعصفور.

(٤) فى ف: «أعطتك» بدل «أعطتها» وهو تحريف.

أخبار أبى حزابة ونسبه

اسمه ونشأته

أبو حُزابة اسمه الوليد بن حنيفة، أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم . شاعر من شعراء الدولة الأموية بَدَوِىٌّ حَضَر[1] وسكن البصرة ، ثم اكتُتِب في الديوان ، وضُرِب عليه البعث إلى سجستان ، فكان بها مدة ، وعاد إلى البصرة ، وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك ، وأظنُّه قُتل معه ، وكان شاعراً راجزاً فصيحاً خبيث اللسان هجّاء . ٥

فأخبرنا الحسن بن علىّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال : حدثنا محمد الهيثم الشامىّ قال : حدثنى عمّى أبو فراس عن العذرىّ قال : ١٥٣ ١٩

دخل أبو حُزابة على طلحة الطلحات الخُزاعى ، وقد استعمله يزيدُ بن معاوية على سجستان ، وكان أبو حُزابة قد مدحه ، فأبطأت عليه الجائزةُ من جهته ، ورأى ما يُعطى غيرُه من الجوائز ، فأنشده : ١٠

أبطأ الدلاء أملؤها

وأدليتُ دَلوِى فى دِلاء كثيرةٍ ... فجئن مِلاءً غير دَلوى كما هِيا

وأهلكنى ألاّ تزالَ رَغيبةٌ ... تُقصِّر دونى أو تحُلُّ وَرائيا

أرانى إذا استمطرتُ منكَ سحابةً ... لتُمطِرنى عادتْ عَجاجاً[2] وسافِيا[3] ١٥

قال : فرماه طلحة بحُقّ فيه دُرّة فأصاب صدرَه ، ووقعت فى حجره ، ويقال :

(١) حضر وحضرى بمعنى واحد .
(٢) عجاجا : غبارا .
(٣) سافيا : ريحا تذرو التراب وتسفيه.

بل أعطاه أربعة أحجار ، وقال له : لا تُخدعْ عنها ، فباعها بأربعين ألفا ومات طلحةُ بسجستان .

ثم وَلِىَ من بعده رجل من بنى عبدِ شمس يقال له عبدُ الله بن علىّ بن عَدِىّ وكان شحيحاً فقال له أبو حزابة :

خلف ، شحيح
الفاء ، كريم

٥ يا بنَ علىٍّ بَرِحَ الخفاءُ قد علِم الجيرانُ والأكفاءُ
أنك أنت النذلُ(١) واللَّفاء(٢) أنت لِعَيْنِ طَلْحَةَ الفِداءُ(٣)
بنو عَدِىٍّ كلهم سواء كأنهم زينيّةٌ(٤) جِراءُ(٥)

رثاء وهجاء

قال ثم وليَها بعدَ عبد الله بن على عبدُ العزيز بنُ عبد الله بن عامر بن كُرَيز أيام الفتنة ، فاستأذنه أبو حزابة أن يأتىَ البصرة ، فأذِن له ، فقدمها ، وكان الناس يحضُرون
١٠ المِرْبد ، ويتناشدون الأشعار ، ويتحادثون ساعة من النهار ، فأتاهم أبو حُزابةَ ، وأنشدهم مَرثية له فى طَلحةِ الطلحات يضمنها ذمًّا لعبدِ الله بن علىٍّ وهى قوله :

هيهاتَ هيهاتَ الجنابُ الأخضر والنائلُ الغمرُ الذى لايُنْزَرُ
وَارَاهُ عنا الجَدَثُ المغوَّرُ(٦) قد علم القوم غداة استعبروا

(١) ب ، س : « البذل » تحريف .
١٥ (٢) اللفاء : الخسيس .
(٣) س ، ب : القذاء .
(٤) زينيّة : كلاب .
(٥) الأبيات فى الحيوان ١ : ٢٥٥ .
(٦) المغور : البعيد الغور .

والقَبْرُ بين الطالحاتِ يُحفر أنْ لَنْ يروا مثلاً حتى يُنشروا[١]

أنا أتانا جَرَزٌ مصفّرُ[٢] أأكرهُ سَرِيرُنا والمِنْبرُ

والمسجدُ المُحْتَضرُ المُطَهَّر وخالُهُ ياطلحَ منكَ أعْوَرُ[٣]

يا أُمّةً يا ربّنا لا تَسخَرَ أقلُّ من شبرٍ حينَ يُشْبَرَ

* مثل أبي القعواء لا بل أقصر[٤] *

قال : وأبو القَعْواء حاجبٌ لطلحة كان قصيراً .

فقال عون بن عبد الرحمن بن سلَامة — وسلامة أُمُّهُ — وهو رجل من بني تميم ابن مرة قيس : يا سبحان الله ! أتشاهر الناسَ بشَتْم قريش ؟ فقال له ، إني لم أعُمّ ، إنما سمّيت رجلا واحداً ، فأغاظ له عونٌ حتى انصرفَ عن ذلك الموضع ، ثم أمر عَوْن ابن أخ له ، فدعا أبا حُزَابة فأطعمه ، وسَقاه ، وخلط في شرابه شُبرُما[٥] فسلّحه ، فخرج أبو حزابة وقد أخذه بطنه ، فسلَح على بابهم وَفي طريقه ، حتى بلغ أهلَه ، ومرض أشهراً ، ثم عُوفي ، فركب فرساً له ، ثم أتى المِرْبد فإذا عونُ بن سلامة وَاقف ، فصاح به ، فوقف ، ولو لم يقفْ لكان أخف لهجائه ، فقال له أبو حُزَابة :

بئس العقاب

ياعون قفْ واستمع الملامَةْ لا سلَّم اللهُ على سلامةْ

(١) البيت ساقط من م

(٢) كذا في ف وفي س ، ب : « جزر» تحريف والأصوب – كما في بعض النسخ – جوز مصر : فأر هجين .

(٣) في س ، ب : بعد شطرين .

(٤) س ؛ ب : « أصغر » .

(٥) الشبرم : شراب مسهل .

زنجية تحسبها نعامه شكّاء[1] شانَ جسمَها دمامه
ذات حرٍ كريشتى حمامهْ بينهما بظرٌ كرأس الهامهْ ١٥٤
أعلمتُها وعالِمِ العلامَهْ لو أن تحت بَظرها صِمامهْ ١٩
* لدفعته قدُما[2] بها أمامه *

٥ فكان الناس يمزحون به :

* أعلمتها وعالم العلامة *

أخبرنى عمّى قال : حدثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدثنى عمى أبو فراس ، عن الهيثم بن عدىّ قال :

أبوحزابة يمدح طلحة

كان عبد الله بن خلف ، أبو طلحة الطلحات مع عائشة يوم الجمل وقُتل معها يومئذ ، ١٠ وعلى بنى خلف ، نزلتْ عائشة بالبصرة فى القصر المعروف بقصرِ بنى خلف ، وكان هوى طلحة الطلحات أمويًّا ، وكانت بنو أميّةُ مكرمين له .

فأنشد أبو حُزابة يوماً طلحة :

يا طلحَ يأبى مجدُك الإخلافا والبخلَ لايُعترفُ اعترافا[3]
إن لنا أحمرةً عِجافًا يأ كُلْن كلَّ ليلة إكافا[4]

١٥ فأمر له طلحة بإبلٍ ودراهمَ ، وقال له : هذه مكانُ أحمرتك .

يأبى الوقوف بباب يزيد

أخبرنى عمى قال حدثنا السكُرانىّ[5] قال : حدثنى العمرىّ ، عن لقيط قال : قيل لأبى حُزابة : لو أتيتَ يزيدَ بن معاوية لفرض لك ، وشرّفكَ ، وألحقكَ بعلية

(١) كذا فى ف ومعناها صماء ، وفى س ، ب : « سكاء » .
(٢) غير منثنية ولا ملتوية .
٢٠ (٣) اعترقه : استخبره عن حاله ، أى مجدك واضح لا يسأل عنه سائل .
(٤) الإكاف : برذعة ويقال له وكاف .
(٥) كذا فى ف وفى س ، ب : « الكبانى » تحريف .

أصحابه ، فلم ... دونهم ، وكان أبو حُزابة يومئذ غلاما حَدَثا ، وكان معاوية حيًّا ، ويزيدُ أميرًا يومئذ ، فلما أكثر قومُه عليه في ذلك وفي قولهم : إنك ستَشرُف بمصيرك إليه قال :

يُشرّفني سيفي[1] وقلبٌ مُجانبٌ لكل لئيمٍ باخلٍ ومعلهَجِ[2]
وكَرّي على الأبطال طِرْفًا كأنه ظَليمٌ وضربي فوق رأسِ المدَجَّجِ
وقولي إذا ما النفسُ جاشت وأجهشت مخافةَ يومٍ شرُّه متأجِّجِ[3]
عليكِ غمارَ الموت يانفسُ إنني جريءٌ على درء الشجاع المهَجْهَجِ[3]

ثم يقيم ، فلا يصل إليه

فلما أكثرعليه قومُه ، وعنّفوه في تأخره أتى يزيدَ بن معاوية ، فأقام ببابه شهرًا لا يصل إليه فرجع ، وقال : والله لايراني ماحملت عيناي[4] الماء إلا أسيرًا أو قتيلا ، وأنشأ يقول :

فوالله لا آتي يزيدَ ولو حوتْ أناملُه مابين شرقٍ إلى غربِ
لأنّ يزيدًا غيّر الله ما به جَنوحٌ إلى السَّوءى مُصِرٌّ على الذنبِ
فقل لبني حربٍ تقوا الله وحدَه ولا تُسعدوه[5] في البِطالة واللعبِ
ولا تأمنوا التغييرَ إن دام فعلُه ولم ينهَه عن ذاك شيخُ بَني حربِ

(١) كذا في س ، ب ؛ وفي ف : « سيف » .
(٢) معلهج : أحمق لئيم .
(٣) المهجهج : الداهية .
(٤) كذا في ف وفي س ، ب : « عيني » ، والعبارة كناية عن الإبصار .
(٥) في ب : ولا تسمدوه ، وهو تحريف .

أيشربُها صِرفًا إذا الليل جنّه • معتّقةً كالمسكِ تختالُ فى العُلبِ(1)

ويَلْحَى عليها شاربيها وقلبُه • يهيمُ بها إن غاب يوما عن الشَّربِ(2)

يرهن سرجه ليبيت

أخبرنى حبيبُ بنُ نصر المهلبىّ قال: حدثنا عمر بن شبّة، عن المدائنى قال: لما خرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على الحجّاج، وكان(3) معه أبو حُزابة ٥ فمروا بدَستبَى(4) وبها مستراد(5) المزّاجة(6)، وكانت لا يبيت بها أحدٌ إلا بمائة درهم، فبات بها أبو حُزَابة ورهن عندها سرجَه، فلما أصبح وقف لعبد الرحمن، فلما أقبل صاح به وقال:

أمرؤ ضال نابهٌ فى العجّ(7) • كأننى مطالَبٌ بخَرْجِ ١٥٥

ومستراد ذهبت(8) بالسَّرْجِ • فى فتنة الناسِ وهذا المرْجِ ١٩

١٠ فعرف ابنُ الأشعث القصّةَ، وضحك، وأمر بأن يُفتكّ له سرجُه، ويُعطى معه ألفَ درهم، وبلغت القصةُ الحجاجَ فقال: أيجاهرُ فى عسكره بالفجور فيضحك، ولا ينكر(9)! لا ظفرتُ به إن شاء الله.

(1) ب، س: «القلب».

(2) الشرب: جماعة الشاربين، اسم جمع شارب كصاحب.

١٥ (3) لعل من الصواب حذف الواو لتكون «كان» جواب لما.

(4) دستبى: كورة كبيرة تشمل قرى كانت مقسومة بين الرى وهمذان.

(5) مستراد: موضع كمراد، الأول من استراد والثانى من أراد، ويبدو أنه كان مثابة للهو والعبث كما يبدو من كلام الحجاج.

(6) المزاجة: اللاعبون بالأوتار أو المغنون.

٢٠ (7) العج: الصياح والضوضاء.

(8) فى هد، ف: «رهنت» بدل «ذهبت».

(9) فى هد: «ولا يبكى» بدل «ولا ينكر».

أخبرنى عمّى، قال حدثنا الكرانىّ عن العمرىّ، عن العتبىّ قال:

مدح أبو حُزابة عبد الله بن على العبشمىّ وهو على سجستان فلم يُثبْه فقال يهجوه:

لا يثيبه على المدح فيهجوه

هبّت تُعاتبنى أمامةُ فى السماحة والفضال
وأبيتُ عند عِتابها إلا خلائقَ ذى النَّوال
أُعطِى أخى وأحُوطُه جُهدى وأبذُل جُلّ مالى
وأقِيه عند تشاجُرِ الأبطال بالأسَلِ[1] النِّهال[2]
حِفْظاً له ورعايةً للخالياتِ من الليالى
إذ نحنُ نشربُ قهوةً دِرياقةً[3] كدمِ الغزالِ
حمراء يُذهِبُ رِيحُها مافى الرءوس[4] من الخبالِ
وإذا تشعشع[5] فى الإنا ء رمتْ أخاها باغتيالِ
وعلا الحَبابُ فخلتُه عِقْداً يُنظَّم من لآلى
تَشْفِى السقيمَ بريحها وتُميتُه قبل الإجال[6]
تلك التى تركتْ فؤا د أبى حُزابةَ فى ضَلالِ
لا يستفيق ولا يُفيـ ق نزيفها فى كلّ حال
وإذا الكماةُ[7] تنازلوا ومشى الرجالُ إلى الرجالِ

(١) الأسل: الرماح.
(٢) النهال: العطاش جمع ناهل.
(٣) درياقة: شفاء.
(٤) فى ف، هد: «النفوس».
(٥) تشعشع: تمزج وتخالط.
(٦) الإجال: جمع أجل حذفت منه الهمزة المسهلة للوزن.
(٧) جمع كمى على غير قياس، وهو المدجج بالسلاح.

وبدت كتائبُ تمترِى(1) … مَوجَ الكتائبِ بالعوالى

فأبو حُزابةَ عند ذا … ك أخو الكريهة والنِّزالِ

يمشى الهوينى مُعلِمًا(2) … بالسيف مشيا غير آلِ

كالليث يترك قِرنَه … مُتجدِّلا بين الرِّمالِ(3)

إنى نذيرٌ بنى تميـ … ـم من أخى قيلٍ وقال

من لايجود ولا يسو … د ولا يُجير من الهُزال

وتراه حين يجيئه السؤّا … ل يُولَع بالسُّعالِ

متشاغلا متنحنحا … كالكلب جَمجَم(4) للمِظال(5)

فارفضْ قريشًا كلَّها … من أجل ذى الداء العُضال

— يعنى عبد الله بن على العبشمىّ .

تهديده جماعة السجستانيين

أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال : حدثنى محمد بن الهيثم الشامىّ قال : حدثنى عمى أبو فِراس، عن العذرىّ قال :

١٥٦ / ١٩

دخل أبو حُزابة على عمارة بن تميم ومحمد بن الحجاج، وقد قَدِما سجستان لحرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وكان عبد الرحمن لما قدماها هرَب، ولم يبق بسجستان

(1) تمترى: تستخرج.

(2) جاعلا لنفسه علامة يتحدى الأبطال فى النزال؛ وفى هد، ف: العرضنة، بدل الهوينى.

(3) كذا فى ف وفى س، ب: «المجال».

(4) فى س، ب: جمع، ومعنى جمجم أخفى صوته.

(5) المظال: الملازمة فى السفاد للكلاب ونحوها.

من[١] أصحابه إلا سبعمائة رجل من بنى تميم كانوا مقيمين بها ، فقال لهما أبو حزابة : إنّ الرجل قد هرب منكما ، ولم يبق من أصحابه أحد ، وإنما بسجستان من[١] كان بها من بنى تميم قبل قدومه فقالا له : مالهم عندنا أمان ، لأنهم قد كانوا مع ابن الأشعث ، وخلعوا الطاعة ، فقال : ما خلعوها ، ولكنه ورد عليهم فى جمع عظيم لم يكن لهم بدفعه طاقة . فلم يجيباه إلى ما أراد ، وعاد إلى قومه ، وحاصرهم أهل الشام ، فاستقتلت[٢] بنو تميم ، فكانوا يخرجون فى كل يوم إليهم ، فيواقعونهم ، وَيكبسونهم[٣] بالليل ، وينهبون أطرافهم ، حتى ضجروا بذلك ، فلما رأى عمارة فعلهم صالحهم ، وخرجوا إليه ، فلما رأى قلتهم قال : أما كنتم إلا ما أرى ؟ قالوا : نعم[٤] ، فإن شئت أن نقيلك الصلح أقلناك ، وعُدْنا للحرب ، فقال : أنا غنيّ عن ذلك ، وآمنهم ، فقال أبو حُزابة فى ذلك :

لله عينا من رأى من فوارس ... أكرّ على المكروه منهم وأصبرا

وَأكرمَ لو لاقَوْا سواداً مُقاربا ... ولكن لقُوا طَمًّا[٥] من البحر أخضرا

فما برحوا حتى أعضُّوا سيوفَهم ... ذُرَى الهام منهم والحديدَ المُسمَّرا

وحتى حسبناهم فوارسَ كهمسٍ[٦] ... حيوا بعد ما ماتوا من الدّهر أعصرا

(١-١) تكملة من ف ، هد ، هج .
(٢) فى س ، ب : فاستقات ، وهو تحريف .
(٣) فى س ، ب : « يبيتونهم » .
(٤) فى س ، ب : « لا » .
(٥) طما : غمرا .
(٦) كهمس أبو حى من ربيعة ، أو لعل المقصود به كهمس الصريمى ، وهو خارجى حارب فى أربعين رجلا أسلم بن زرعة الكلابى فى ألفى رجل ، فثبت لهم .

صوت

إذا اللهُ لم يَسق إلا الكرامَ فَسَقّى وُجوه بَنى حَنبلِ
وسَقّى ديارَهمُ باكراً من الغيث فى الزمن الأَمْحِلِ
تُكَفكفه بالعَشِىّ الجنوبُ وتُفْرِغُه هزة الشّمألِ
كأنّ الرّبابَ(١) دوين السحابِ نَعامٌ تعلّقُ بالأرجلِ ٥

الشعر لزهير السكب التميمى المازنى ، والغناء لإبراهيم خفيف رَمل بالبنصر عن الهشامى وحبش .

(١) الرباب : السحاب الأبيض .

نسب زهير السكب وأخباره

اسمه ونسبه

هو زُهير بن عُروة بن جُلْهُمَة بن حَجر بن خُزاعىّ(1) شاعر جاهلىّ . وإنما لقب السَّكب ببيت قاله وقال فيه :

بَرْقٌ يُضىء خلالَ البيتِ أُسْكوبُ(2)

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى إجازة قال : حدثنا أبو هِفَّان عن سَعيد بن هُرَيم(3) عن أبيه قال : ٥

تشوق إلى أبناء عمومته

كان زُهير بن عروة المازنىّ الملقب بالسَّكْب جاهليًّا ، وكان من أشراف بنى مازن وأشدّائهم وفُرسانهم وشُعرائهم ، فغاضب قومه فى شىء ذمه منهم ، وفارقهم إلى غيرهم من بنى تميم ، فلحقه فيهم ضيم ، وأرادَ الرجوعَ إلى عشيرته ، فأبت نفسُه ذلك عليه ، فقال يتشوق ناسًا منهم كانوا بنى عمه دِنْيَة(4) يقال لهم بَنُو حَنْبل : ١٠

إذا الله لم يَسْقِ إلا الكرامَ فسقّى وجوهَ بنى حَنْبلِ
مُلِثًّا(5) أحمّ دوالى(6) السحاب هَزِيم الصلاصل والأزملِ(7)

(1) كذا فى م وفى س ، ب : « خزاعة » .
(2) أسكوب المطر ونحوه .
(3) فى س ، ب : « هزيم » . ١٥
(4) دنية أقربيه ويقال فيهم : دنية ودنيا ودنيا .
(5) ملثا : دائم المطر لا ينقطع .
(6) أحم : أسود ويجمع على حم ، وفى الكامل دوالى جمع دالية : ما تدلى من السحاب .
(7) صلصل الرعد : صفا صوته وواحدة الصلاصل صلصلة ، الأزمل : الصوت المختلط .

تكركره[١] خضخضاتُ[٢] الجنوب ... وتفرغه[٣] هزة الشمأل

كأن الربابَ دُوينَ السحابِ ... نعامٌ تعلّق بالأرجُلِ

فنعم بنو العم والأقربون ... لدى حَطْمة[٤] الزمن المُمْحِلِ

ونعم المواسونَ فى النائبا ... ت للجار والمعتفى[٥] المُرْمِلِ[٦]

ونعم الحماةُ الكفاةُ العظيمَ ... إذا غائظُ[٧] الأمر لم يُحلَلِ

ميامينُ صُبُرٌ لدى المعضلاتِ ... على مُوجع الحدَثِ المعضِلِ

مباذيلُ عفواً[٨] جزيلَ العطاء ... إذا فَضْلةُ الزاد لم تُبذَلِ

هم سبقوا يوم جَرْى الكرامِ ... ذوى السبق فى الزمن الأوّلِ

وساموا إلى المجد أهلَ الفَعال ... فطالوا بفعلهم الأطوَلِ

أخبرنا هاشم بنُ محمد الخزاعىّ : قال : حدثنا عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه قال :

أبو عمرو بن العلاء يستشهد بشعره

سأل رجل أبا عمرو بن العلاء عن الرَّباب فقال : أما تراه معلقًا بالسحاب كالذيل له ، أما سمعت قول صاحبنا السكب :

١٥٧
١٩

كأن الرَّبابَ دُوَيْنَ السحاب ... نعامٌ تعلّق بالأرجل

(١) تكركره : تجمعه بعد تفرقه .
(٢) جمع خضخضة : وهى تحريك الماء والسويق ونحوهما . وريح الجنوب عند العرب ممطرة مضرية بخلاف ريح الشمال .
(٣) كذا فى ف وفى س وب : «تقرعه» ولا معنى لها .
(٤) حطمة : بضم الحاء وفتحها معناها الشدة .
(٥) المعتفى : السائل .
(٦) المرمل : الذى نفد زاده .
(٧) غائظ الأمر : الأمر المجهد الشاق ، وفى رغبة الآمل : «عاقد» ، وفى س ، ب : «غائط» ، وهو تحريف .
(٨) عفوا : فضلا وزائدا .

صوت

سلا عن تذكُّره تُكْتَمَا ... وكان رَهِينًا بها مُغْرَمَا

وأقْصَرَ عنها وآثارُها[1] ... تُذَكِّرُه داءها الأقدما

الشعر للنمر بن تولَب، والغناء لخزَرج خفيف ثقيل أول بالوسطى عن الهشاميّ .

(١) في منتهى الطلب : « وآياتها » .

أخبار النمر بن تولب ونسبه

اسمه ونسبه

هو النَّمِر بن تَوْلَب بن أُقَيش[1] بن عبد كعب بن عوف بن الحارث بن عوف بن وائل بن قيس بن عُكْل — واسم عكل عوف بن عبد مناف[2] — بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار.

٥ شاعر مقلّ مخضرم أدركَ الجاهلية، وأسلم، فحسُن إسلامه، ووفد إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وكتب له كتابا، فكان فى أيدى أهلِه، وَرَوى عنه صلى الله عليه وسلم حديثًا سأذكره فى موضعه، وكان النمرُ[3] أحدَ أجواد العرب المذكورين وفُرسانهم.

حدثنا محمد بن العباس اليزيدىّ قال: أخبرنا محمد بن حبيب قال: قال الأصمعىّ:

أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس

كان أبو عمرو بن العلاء يُسمّى النمرَ بن تولب الكَيِّسَ لجودة شعره وحُسنه.

١٠ أخبرنا محمد بن خلف بن المرزُبان قال: حدثنا عبد الله بن محمد قال: أخبرنا محمد بن سلام الجُمَحىّ، وأخبرنا به أبو خليفة فى كتابه إلىّ، عن محمد بن سلاّم قال:

كان النمر بن تولب جواداً لا يُليق[4] شيئًا، وكان شاعراً فصيحاً جريئا على المنطق، وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكَيِّس لحسن شعره.

١٥ أخبرنى هاشمُ بنُ محمد أبو دُلَف الخزاعىّ قال: أخبرنا الرياشىّ قال: حدثنا

(١) فى م: «أقيشر».

(٢) فى هد، هج: «عبد مناة» بدل «عبد مناف».

(٣) فى س، ب: «النمير» وهو تحريف.

(٤) لا يليق: لايبقى شيئا لجوده وسخائه، فهو شبيه بحاتم فى جوده وشعره.

الأصمعى : قال حدثنا قُرَّة بن خالد عن يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أخى مُطرِّف ، وأخبرنى أبو خليفة فى كتابه إلىّ قال : حدثنا محمد بن سلاّم قال :

١٥٨ وفد النَّمِر بن تولب على النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابًا ، أخبرناه قُرة بن
١٩ خالد السَّدوسى وسعيد بن إياس الجريرىّ ، عن أبى العلاء يزيد بن عبد الله بن الشِّخِّير أخى مُطرِّف . ٥

وأخبرنى عمى عن القاسم عن محمد الأنبارى عن أحمد بن عبيد ، عن الأصمعى ، عن قُرة بن خالد ، عن يزيد بن عبد الله أخى مُطرف — واللفظ قريبٌ بعضُه من بعض — قال :

بينما نحنُ بهذا المِربد جلوس — يعنى مِربَدَ البصرة — إذ أتى علينا أعرابىّ أشعثُ الرأس ، فوقف علينا ، فقلنا : والله لكأنَّ هذا الرجلَ ليس من أهل هذا البلد ، ١٠

يعطى بكتاب نبوى

قال : أجَلْ ، وإذا معه قطعة من جِراب أو أديم ، فقال : هذا كتاب كتبهُ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقرأناه فإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتابٌ من محمدٍ رسول الله لبنى زُهَير — هكذا قال أحمدُ بنُ عبيد ، وقال الباقون : لبنى زُهَير بن أُقيش — حىٍّ من عُكْل — إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأنِّى رسول الله ، وأقمتم الصلاةَ ، وآتيتم الزكاةَ ، وفارقتم المشركين ، وأعطيتم الخُمس من الغنائم وسهم النبى والصَّفِىَّ[1] فأنتم آمنون بأمان الله وأمانِ رسوله . ١٥

يشكون فى روايته شيئا

وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره خاصة : « لكم ما للمسلمين وعليكم ماعليهم » . وقالوا جميعًا فى الخبر : فقال له القومُ : حدِّثنا رَحِمَك اللهُ ، ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « صَومُ شهر الصَّبر ، وصومُ

(١) الصفى : ما اختاره الرئيس لنفسه من الغنيمة قبل القسمة وجمعه صفايا . ٢٠

ثلاثة أيام من كل شهر يُذهِبْن كثيراً من وَحَر[1] الصدر». فقال له القوم: أأنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أراكم تخافون أن أكذبَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاحدثتكم حديثاً، ثم أهوَى إلى الصحيفة، وانصاع[2] مُدبرا. قال يزيد بن عبد الله: فقيل لى بعد ما مضى: هذا النمر بن تولب العُكليّ ٥ الشاعر.

أخبرنى محمد بن خلف، قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلف، قال: أخبرنا محمد بن سلام، قال:

مثل من كرمه

خرج النمرُ بنُ تولب بعد ما كبر فى إبله، فسأله سائل، فأعطاه فحلَ إبله، فلما رجعت الإبل إذا فحلُها ليس فيها، فبهتت به امرأتهُ، وعذَلَتْه، وقالت: فهلّا غيرَ ١٠ فحل إبلك؟ فقال لها:

دَعِينى وأمرى سأكفيكِهِ ... وكُونِى قعيدةَ بيتٍ ضُباعا[3]

فإنكِ لن تَرْشُدى غاويا ... ولن تدركى لك حظًّا مُضاعا

وقال أيضا فى عزلها إياه:

بَكَرَتْ باللَّوم تَلحانَا ... فى بعير ضلّ أو حَانَا

١٥ عَلِقَتْ لوًّا تُكرّرها ... إنّ لوًّا ذاكَ أعيانا

قال: وأدرك الإسلام فأسلم.

أخبرنى الحسنُ بن علىّ؛ قال: حدثنا أحمدُ بن زهير، قال: حدثنا محمد بن

(١) وحر: حقد وغيظ.

(٢) انصاع: انفتل راجعا.

٢٠ (٣) ونرجح أنها مرخم «ضباعة»، وهو اسم زوجته.

تخدعه زوجه

سلام قال: كان للنمر بن تولب أخ يقال له الحارث بن تولب، وكان سيداً معظماً فأغار الحارث على بني أسد فسبى امرأةً منهم، يقال لها جمرة بنت نوفل، فوهبها لأخيه النمر بن تولب، ففركته (١)، فراضها، حتى استقرتْ، وولدت له أولاداً، ثم قالت له في بعض أيامها: أَزِرْني أهلي فإني قد اشتقتُ إليهم، فقال لها: إني أخافُ إن صرتِ إلى أهلك أن تغلبيني على نفسك، فواثقته لترجعنّ إليه. فخرج بها في الشهر الحرام حتى أقدمها بلادَ بني أسد، فلما أطلّ على الحيّ تركته واقفاً، وانصرفتْ إلى منزلها الأول، فمكث طويلا، فلم ترجع إليه، فعرف ما صنعت، وأنها اختدعته فانصرف وقال:

٥٩ | ١٩

جزى الله عنا جمرةَ ابنة نوفلٍ ... جزاء مُغِلٍّ (٢) بالأمانة كاذبِ

لمان عليها أمسِ موثقَ راكبٍ ... إلى جانب السَّرْحات أخيبَ خائبِ

وقد سألتْ عني الوشاة ليَكذِبوا ... عليّ وقد أبليتُها (٣) في النوائبِ

ووَدَّت كأنّ الشمس تحت قناعها ... بدا حاجبٌ منها وضنّتْ بحاجبِ

وقال فيها أيضاً:

كل خليلٍ عليه الرعا ... ثُ (٤) والحُبَلاتُ كذوبٌ مَلِقْ

— الحبَلات: واحدتها حَبَلة، وهي جنس من الحلي قدرُ ثمر الطلْح — .

وقالتْ: إليّ فأحلفتُها ... بهَدْيٍ قلائده تختفق (٥)

بأن لا أخونكَ فيما علمتُ ... فإن الخيانةَ شرُّ الخُلُقْ

(١) فركته: أبغضته وهو خاص بالزوجين وهي فارك وفروك.
(٢) مغل: خائن، وقيل: الغلول خاص بالخيانة في الفيء والغنيمة.
(٣) أبليتها: أسديت إليها.
(٤) الرعثات: مفردها رعثة، والبيت من المتقارب دخله الخزم.
(٥) تختفق: تتحرك وتضطرب، وفي س، ب: «يختنق» ولا معنى له.
(٦) كذا في هج، وفي ب: «شر خلق».

وقال فيها أشعاراً كثيرة يطولُ ذكرُها .

يشبه حاتما في شعره

أخبرني اليزيديّ ، عن محمد بن حبيب ، قال : قال :

كان أبو عمرو يُشبّه شعر النمر بشعرِ حاتم الطائيّ .

أخبرني الحُسين بن عليّ قال : حدثنا أحمد بن زهير ، قال : حدثنا مُصعب بن عبد الله الزبيري قال :

أفتى الشعراء

بلغني أن صالحَ بنَ حسّان قال يوماً لجلسائه : أيُّ الشعراء أفتَى ؟ قالوا : عمر بن أبي ربيعه ، وقالوا : جميل ، وأكثروا القول ، فقال : أفتاهم النمر بن تولب حين يقول :

أهيمُ بدَعد ما حييتُ وإن أمُتْ ... فواحزنَا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعدي[1]

أخبرني الحسن قال : حدثنا أحمد بن زُهير ، عن محمد بن سلام قال :

جمرة توصيه بولده منها

حج النمر بن تولب بعد هرب جمرةَ منه فنزل بمنًى ، ونزلت جمرةُ مع زوجها قريباً منه ، فعرفته ، فبعثت إليه بالسلام ، وسألته عن خبره ، ووصّته خيراً بولده منها فقال :

فحُيِّيتِ عن شَحطٍ بخيرٍ حَدّيثنا ... ولا يأمنُ الأيامَ إلا المُضَلَّلُ

يودُّ الفتى طولَ السلامة والغِنى[2] ... فكيف يرى طولَ السّلامة يفعلُ

أخبرني ابنُ المرزُبان قال : حدثنا أبو محمد اليزيديّ ، عن الأصمعيّ . وأخبرنا اليزيديّ عن ابن حبيب عن الأصمعيّ قال :

لما وفد النمر بن تولب على النبي صلى الله عليه وسلم أنشده :

(١) من العجيب أن يعد هذا البيت دليل الفتوة ، وتذكر كتب الأدب أن سكينة بنت الحسين انتقدته ؛ لأنه يجافي الغيرة ، واقترحت إصلاحه على النحو التالي :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ... فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

(٢) رواها الكامل : «البقا» مقصورة ، وفي رغبة الآمل : « يود الفتى طول السلامة جاهدا » .

شعره بين يدى الرسول

يا قوم إنى رجل عندى خبرْ الله من آياته هذا القمرْ
والشمس والشعرى[1] وآياتٌ أُخَرْ من يَعْصِ عنها يَزِلُ من الخبرْ فأطعمنها
إنا أتيناك وقد طال السفرْ نَقودُ خيلا رُجُعا[2] فيها ضَرَرْ
* نُطعِمُها اللحمَ إذا عزَّ الشَّجَر *

قال اليزيدىّ ، عن ابن حبيب خاصة ، قال الأصمعىّ : أطعمها اللحم : أسقيها اللبن ، ٥
والعرب تقول : اللبن أحد اللحمين . وقال ابن حبيب : قال ابن الأعرابى : كانت العرب
إذا لم تجد العَلَف دقت اللحمَ اليابسَ ، فأطعمته الخيل :

أخبرنى عمى قال : حدثنا الكُرانىّ قال : حدثنا العُمَرىّ ، عن الهيثم بن
عدىّ ، عن ابن عياش . وأخبرنا ابنُ المرزُبن قال : أخبرنى عيسى بنُ يونس قال :
حدثنى محمد بن الفضل قال : حدثنا الهيثمُ بن عدىّ ، عن ابن عبَّاس قال : ١٠

١٦٠
١٩

هام بدعد عن جمرة

لما فارق النمر بن تولب امرأتَه الأَسدية جزع عليها ، حتى خِيفَ على عقله
ومكث أياماً لا يَطعَمُ ، ولا ينام ، فلما رأت عشيرتُه منه ذلك ، أقبلوا عليه يلومونَه ،
ويُعيِّرونه ، وقالوا : إن فى نساء العرب مندوحةً ومتَّسعا ، وذكروا له امرأة من فخذه
الأدنينْ يقال لها دَعْد ، ووصفوها له بالجمال والصَّلاح ، فتزوَّجها ووقعت من قلبه ،
وشغلته عن ذكر جَمْرَةَ وفيها يقول : ١٥

أهيمُ بدعد ما حَيِيتُ فإن أَمُتْ أُوَكِّلْ بدَعْدٍ من يَهيمُ بها بَعدِى

والناسُ يروون هذا البيتَ لنُصيب ، وهو خطأ .

أخبرنى اليزيدىّ عن عبد الرحمن ابن أخى الأصمعى ، عن عمه . وأخبرنى

(١) الشعرى : نجم فى السماء وهما شعريان : الكبير والغميصاء ، ويعدونهما أختى سهيل .
(٢) كذلك : مهزولة جمع رجيع .

إبرهيم بن محمد الصائغ، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمن، عن عمه، عن حماد بن ربيعة أنه قال:

أظرف الناس النَّمر بن تولَب حين يقولُ:

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمت ... أوكِّلْ بدعد مَنْ يهيم بها بعدى

٥ أخبرنى ابن المرزُبان قال: أخبرنى عبد الله بن محمد قال: أخبرنى محمدُ بنُ سلاّم قال: يرثى جمرة

لما بلغ النَّمرَ بنَ تولَب أن امرأته جمرة تُوفِّيت، نعاها له رجلٌ من قومه يقال له حِزام أو حَرام، فقال:

ألم تر أنَّ جمرةَ جاء منها ... بيانُ الحقِّ إنْ صدقَ الكلامُ

١٠ نعاها بالندىِّ[1] لنا حزامٌ ... حديث ما تحدثُ يا حَرامُ

فلا تبعَدوقد بعِدَتْ وأجرى[2] ... على جَدثٍ تهتَّنها الغمامُ

— قال الأصمعى: يقال بَعِد وأبْعَد —

أخبرنى أبو الحسَن الأسديّ قال: حدثنا الرياشىّ، عن الأصمعىّ، عن أبى عمرو، وأخبرنى به هاشم بن محمد أبو دُلَف الخُزاعىّ قال: حدثنا أبو غسّان دَماذ، عن

١٥ أبى عبيدة، عن أبى عمرو قال:

أدركَ النَّمرُ بن تولب النبىّ صلى الله عليه وسلّم، فأسلم وحسن إسلامه، وعُمِّر فطال عمره، وكان جواداً واسعَ القِرى كثيرَ الأضياف وهّابا لماله، فلما كبر يهذى فى كبره

(١) كذا فى م، أ، وفى س، ب: «النداء».

(٢) كذا بالأصل، ولعلها محرفة عن أمرى من مريت الناقة فأمرت أى: در لبنها.

خَرِف وأُهتِر(١)، فكان هِجِّيراه(٢): اصبَحوا الرّاكبَ، اغبِقوا(٣) الرّاكبَ، اقرُوا، انحروا للضيف، أعطوا السائل، تحملوا لهذا فى حِمالته كذا وكذا — لعادته بذلك — فلم يزل يَهذِى بهذا وشبهِهِ مدة خَرَفه حتى ماتَ.

موازنة بين خرف وخرف

قال: وخَرِفتْ إمرأةٌ مِنْ حَىّ كرام عظيمٍ خطرُهم وخطرُها فيهم، فكان هِجِّيراها: زَوِّجونى، قولوا لزوْجى يدخل، مهّدوا لى إلى جانب زوجى، فقال عمرُ بن الخطاب، وَقد بلغه خبرُها: ما لهِجَ به أخو عُكل النمِر بن تولب فى خرَفه أنحرُ وأسرَى، وَأجملُ مما لَهِجتْ به صاحبتُكم. ثم ترحَّم عليه.

أخبرنى ابن المرزُبان قال: حدثنى أبو بكر العامرىُّ، قال: حدثنى على بنُ المغيرة الأثرم، عن أبى عبيدة قال:

مات الحارث بن تولَب، فرثاه النمر فقال:

يرثى أخاه

لا زال صوبٌ مِنْ ربيع وصَيِّفٍ(٤) يجودُ على حَبْن(٥) الغَميم(٦) فيثرِب
فوالله ما أسقى البلادَ لحبِّها ولكنما أسقيكَ حارِ بن تولَب
تضمنتَ أدوَاء العشيرة بينهَا وأنت على أعواد نعش مُقلَّبِ
كأن أمرأً فى الناس كنتَ ابنَ أمه على فَلَجٍ(٧) من بطن دجلة مُطنِب(٨)

(١) أهتر: فقد عقله من الكبر.
(٢) هجيراه: ديدنه وعادته.
(٣) كذا فى م، وفى س، ب: «أعقبوا الركب» تحريف، والصبوح: الشرب صباحا، والغبوق: الشرب مساء.
(٤) صيف: مطر يجىء فى الصيف أو بعد الربيع.
(٥) كذا فى ف ومعناه محبس الماء، وفى س، ب: «حبس».
(٦) الغميم: موضع قرب المدينه بين رابغ والجحفة.
(٧) فلج: نهر صغير.
(٨) بعد فى ذهابه: يريد من كنت أخاه، فإنما هو على بحر من البحور من الخصب والسعة (مادة طنب فى اللسان).

قال حماد الراوية: كان النمرُ بنُ تولبٍ كثيرَ البيتِ السائرِ والبيتِ المتمثَّلِ به، فمن ذلك قوله:

يتمثل بأبياته
١٦١
١٩

لا تغضبنَّ على امرئٍ في ماله ... وعلى كرائمِ صُلْبِ مالكَ فاغضبِ

وإذا(1) تصبك خصاصةٌ فارجُ الغِنَى ... وإلى الذي يُعطي الرغائبَ فارغبِ

وقوله:

تلبَّسْ لدهركَ أثوابَه ... فإن يبتني النّاسُ ما هُدِّما

وأحببْ حبيبَك حبًّا رويدًا ... فليس يعولُك أن تصرِما(2)

وأبغِضْ بغيضَك بُغْضًا رويداً ... إذا أنت حاولتَ أن تحكما

وقوله:

أعاذلُ أن يصبحْ صداي بقَفْرَةٍ ... بعيدٍ فأنّي ناصري وقريبي

تَرَىْ أن ما أبقيتُ لم أكُ ربَّه ... وأن الذي أفنيتُ كان نصيبي

نسختُ من كتاب بخط السكري أبي سعيد قال: محمدُ بن حبيب:

كان للنَّمِرِ بن تولَب صديق فأتاه النمرُ في ناس من قومه يسألونه في ديةٍ احتملوها، فلمّا رآهم، وسألوه تبسَّم، فقال النمر:

يعنى صديقه من الدية ويتحملها

تبسم ضاحكا لما رآني ... وأصحابي لديَّ عن التمام(3)

فقال له الرجل: إن لي نفسًا تأمرني أن أعطيكم، ونفسًا تأمرني ألا أفعل، فقال النمر:

(1) رواية الشعر والشعراء: «ومتى». وإذا صحت رواية إذا فهي شاهد للجزم بإذا.

(2) كذا في منتهى الطلب، ومعناه يشق عليك، وفي س، ب: «يهولك»، وفي شواهد المغني للسيوطي: فقد لا يعولك.

(3) تكملة من هد، هج.

أما خالى لِى فإنى غير معتذر له حتى يؤامرَ نفسيه كما زَعما
نفسٌ له من نفوسِ الناس صالحةٌ تعطى الجزيلَ ونفس ترضع الغَنَما

ثم قال النمرُ لأصحابه: لا تسألوا أحداً، فالديةُ كلُّها علىّ .

أخبرنى أحمدُ بنُ عبد العزيز الجوهوىّ، قال: حدثنا علىّ بن محمد النوفلىّ قال :
حدثنا أبى قال: حدثنا الحسنُ بنُ محمد بن عبد الله بن حسن بن علىّ قال : ٥

جاء أعرابى إلى أبى، وهو مستتر بسُوَيقة[1] قبل مخرجه، ومعه سيف قد علاه الصدأ، فقال: يابن رسول الله، إنى كنت ببطن قُدَيد[2]، أرعى إبلى وفيها فحل قَطِم[3]، قد كنت أخاف ضربته، فخرج علىّ وأنا لا أدرى، فخلا بى فشدّ علىّ يريدنى، وأنا أحضر، ودنا منى حتى أن لعابَه ليسقط على رأسى لقربه منى. فأنا أشتد، وأنا أنظر إلى الأرض لعلى أرى شيئاً أذبّه عنى به، إذ وقعت عينى عَلَى هذا السيف قد فحَصَ عنه السيل، فظننته عوداً بالياً، فضربت بيدى إليه، ١٠
فأخذته فإذا سيف، فذببْت به البعيرَ عنى ذبًّا، والله ما أردتُ به الذى بلغتُ منه، فأصبت خيشومَه فرميت بفقمه[4]، فعلمت أنه سيف جيد، وظننته من سيوف القوم الذين كانوا قُتِلوا فى وقعة قُديد[5]، وهاهوذا قد أهديتُه لك يابن رسولِ الله
قال: فأخذه منه أبى، وسُرّ به، وجالس الأعرابىّ يحادثه، فبينا هو كذلك ١٥

قطم: كالذى وصفه، النمر

(١) سويقة: موضع قرب المدينة يسكنه آل على بن أبى طالب .
(٢) قديد: موضع قرب مكة .
(٣) القطم: الصئول .
(٤) الفقم: اللحى وطرف الخطم .
(٥) وقعة لأبى حمزة الخارجى على أهل المدينة . ٢٠

إذ أقبلت غنم لأبي ثلاثمائة شاة فيها رعاؤها ، فقال له : أبي : يا أعرابي ، هذه الغنم والرعاة لك ، كافأة لك عن هذا السيف ، قال : ثم أرسل به إلى المدينة ، أو أرسل إلى قين[1] فأتي به من المدينة ، فأمر به فجُلِّيَ ، فخرج أكرم سيوف الناس ، فأمر فاتُّخِذ له جفن ، ودفعه إلى أختي فاطمة بنت محمد . فلما كان اليوم الذي قُتل فيه ، قاتل بغير ذلك السيف ، قال : وبقي ذلك السيف عند أختي فاطمة بنت محمد .

٥

فزرتها يوماً وهي تتبرّع في جماعة من أهل بيتي ، وكانت عند ابن عمها الحسن ابن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم أجمعين السلام ، فخرجت إلينا ، وكانت برزة[2] تجلس لأهلها كما يجلس الرجال ، وتحدّثهم ، فجاءت تحدثنا ، وأمرت مولى لها ، فنحرَ لنا جزوراً[3] ليهيّئ لنا طعاماً .

١٠ فنظرت إليها ، والجزورُ في النخل باركة ، وقد بردت وهي تُسلَخ ، فقالت : إني لا أرى في هذه الجزور ، مضرباً حسناً . ثم دعت بالسيف ، وقالت : يا حسن — فدتك أختك — هذا سيف أبيك ، فخذه واجمع يديك في قائمه ، ثم اضرب به أثناءها[4] من خلفها — تريد عراقيبها — وقد أثبتّها للبروك ، وهي أربعة أعظم ، قال : فأخذتُ السيف ، ثم مضيتُ نحوها ، فضربت عراقيبها فقطعتُها — والله — ١٥ أربعتَها ، وسبقني السيف ، فدخل في الأرض ، فأشفقتُ عليه أن ينكسر إن اجتذبته فحفرتُ عنه ، حتى استخرجته ، قال : فذكرتُ حينئذ قولَ النمر بن تولب :

١٦٢ / ١٩

(١) القين : الحداد والصيقل .
(٢) برزة : متجاهرة جايلة تجلس للقوم يتحدثون إليها وهي عفيفة .
(٣) جزور : بعير أو ناقة تجزر ، والجمع جزر والجزائر .
٢٠ (٤) أثناءها : جمع ثنى بمعنى مثنى (ثنيات) .

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نَمِرٍ أسبادَ[1] سيفٍ قديمٍ أثرُه بادى
تظلّ تحفِر عنه الأرضَ مُندفعاً بعد الذراعين والقيدين والهادِى[2]

ويروى :

* تظلُّ تحفر عنه إن ظفرتَ به *

يشكو الشيب

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهيثم قال حدثنا عمر بن شبّة قال : أخبرنى أحمد بن معاوية الباهلىّ ، عن أبى عُبيدة قال : ٥

قيل للنمر بن تولب : كيف أصبحت يا أبا ربيعة ؟ فأنشأ يقول :

أصبحت لا يَحملُ بعضى بعضَا أشكو العروقَ الآبضاتِ[3] أبضَا
كما تَشكّى الأرحبىُّ[4] الغَرْضَا كأنما كان شبابى قرضَا

من توسلاته

أخبرنى هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعىّ قال : حدثنا الرياشىّ عن الأصمعىّ قال : أنشدنى حماد بن الأخطل بن النمر بن تولب لجدّه : ١٠

أعِذْنى ربِّ من حَصَرٍ وعِىٍّ ومن نَفْسٍ أعالجُها علاجَا
ومن حاجات نفسٍ فاعصِمنّى فإن لمضمرات النفسِ حاجَا
فأنت وليُّها وبرئتُ منها إليك فما قضيتُ فلا خِلاجَا[5]

عود إلى فتوته

ثم قال : كان النمر أفتى خلقِ الله ، فقلت : وما كانت فتوّته ؟ قال : أوليس فتًى من يقول : ١٥

أهيمُ بدعد ما حييتُ فإن أمتْ فواحزَنَا من ذا يهيم بها بعدى؟

(١) أسباد : مفرده سبد ، ومعناها بقية .
(٢) الهادى : العنق وجمعه هواد .
(٣) الآبضات : الشادات . ٢٠
(٤) الأرحبى : كريم الفحول المنسوبة إلى قبيلة أرحب ، وأرحب أيضا مخلاف باليمن منسوب إلى أرحب ، وهو مرة بن دعام بن مالك ، والغرض : حزام الرحل جمعه غروض وأغراض ، وفى س ، ب : « الأرجى القرضا » تحريف .
(٥) خلاجا : نزاعا وشكا .

صوت

أيا صاحبَيْ رحلي دنا الموتُ فانزِلا ... برابيةٍ إنى مقيمٌ لياليا

وخُطّا بأطراف الأسنّة مضجعى ... ورُدّا على عَيْنَيَّ فضلَ رِدائيا

ولا تحسدانى باركَ اللهُ فيكما ... من الأرض ذات العَرض أن توسعا ليا

٥ لعمرى لئن غالتْ خراسانَ هامتى(١) ... لقد كنتُ عن بابَيْ خُراسانَ نائيا

فيا ليتَ شعرى هل أبيتَنّ ليلةً ... بجنب الغضى أُزْجى القِلاصَ النواجيا(٢)

الشعر لمالك بن الريب، والغناء لمعبد مما لا يُشكّ فيه من غنائه، خفيف ثقيل أول بالوسطى فى مجراها عن إسحاق ويونس وعمرو ودنانير، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن عائشة من رواية علىّ بن يحيى، وفيه لابن سُرَيج هَزَج بالخنصر فى مجرى البنصر
١٠ عن ابن المكىّ، وفيه لإبراهيم رَمل بالوسطى عن عبد الله بن موسى فى الأول والثالث من الأبيات، ولإبراهيم ثقيل أول فى الخامس ثم الرابع عن الهشامىّ، وقيل: إن الرَّمَل المنسوب إليه لنبيه.

(١) هامتى: رأسى، جمعه هام.

(٢) النواجى: جمع ناجية بمعنى سريعة، ويقال أيضا: ناقة نجيبة.

١٦٣
١٩

أخبار مالك بن الريب ونسبه

اسمه ونسبه

هو مالك بن الريب بن حوط بن قُرط[1] بن حِسْل بن ربيعة بن كابية بن حُرْقوص ابن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم .

لص قاطع طريق

وكان شاعراً فاتكاً لصّاً ، ومنشؤه فى بادية بنى تميم بالبصرة من شعراء الإسلام فى أول أيام بنى أُمية .

أخبرنى بخبره علىُّ بنُ سليمان الأَخفش قال : أخبرنا أبو سعيد السكّرىّ عن محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابى وعن هشام ابن الكلبى وعن المفضل بن محمد وإسحاق بن الجصّاص وحمّاد الراوية وكلّهم قد حكى من خبره نحواً مما حكاه الآخرون قالوا :

الوالى يريد إصلاحه

استعمل معاوية بن أبى سفيان سعيدَ بنَ عثمان بن عفان عَلَى خراسان ، فمضى[2] سعيد بجنده فى طريق فارس ، فلقيَه بها مالك بن الريب المازنى ، وكان من أجمل الناس وجهاً ، وأحسنهم ثياباً فلمارآه سعيد أعجبه ، وقال له : مالكَ ، ويحكَ تُفسد نفسَك بقطع الطريق ! وما يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العبث والفساد ، وفيك هذا الفضل ! قال : يدعونى إليه العَجْز عن المعالى ، ومساواة ذوى المروءات ومكافأة الإخوان ، قال : فإن أنا أغنيتُك ، واستصحبتك ، أتكفُّ عما كنتَ تفعل ؟ قال : إى والله أيها الأمير ، أكفُّ كفًّا لم يكفَّ أحدٌ أحسنَ منهُ ، قال : فاستصحبه ، وأجرى له خمسمائة دِرهم فى كل شهر .

قالوا :

داود بن الحكم يتهمه وأصحابه

وكان السبب الذى من أجله وقع مالك بن الريب إلى ناحية فارس أنه كان

(١) فى س ، ب : « فرط » بالفاء تحريف .

(٢) فى هد ، هج : « فسر » بدل « فمضى » .

يقطع الطريق هو وأصحابٌ له ، منهم شِظاظ — وهو مولى لبنى تميم ، وكان أخبثهم — وأبو حرْدَبَة ، أحد بنى أثالة بن مازن ، وَغويث ، أحد بنى كعب بن مالك بن حنظلة ، وفيهم يقول الراجز :

اللهُ نجاكَ من القصيم[1] وَبطنِ فَلْج وبنى تميم
ومن أبى حردبة الأثيم ومالكٍ وسيفه المسموم
وَمن شِظاظ الأحمرِ الزّنيم[2] وَمن غويث فاتح العُكوم[3]

فساموا[4] الناسَ شرّاً ، وطلبهم مروانُ بن الحكم ، وهو عامل على المدينة ، فهربوا فكتب إلى الحارث بن حاطب الجمحيّ ، وهو عامله على بنى عمرو بن حنظلة يطلبهم ، فهربوا منه .

وبلغ مالكَ بنَ الريب أن الحارث بن حاطب يتوعده فقال :

يتوعد من يتوعده

تألّى حالِفاً فى غير جُرْمٍ أميرى حارث شِبْهُ الصّرار[5]
علىّ لأجلِدَنْ فى غيرِ جرُم ولا أُدنى فينفعنى اعتذارى
وقلتُ وقدحسبتُ إلىّ جاشى تحلّلْ لا تألَّ علىّ جارى
فإنى سوف يكفينيك عَزمى ونصُّ[6] العيسَ بالبلد القفارِ

(١) القصيم : موضع يشقه طريق بطن فلج

(٢) الزنيم : الملحق بقوم ليس منهم ولا يحتاجون إليه .

(٣) العكوم : جمع عكم وهو الحمل (الربطة) .

(٤) فى هد ، هج : « فأشعروا الناس » بدل « فساموا الناس » .

(٥) الصرار : ما يشد فوق خلف الناقة من خيط

(٦) نص العيس : إجهادى النوق على السير الشديد .

وعَنْسٍ(١) ذاتِ مَعْجَمةٍ(٢) أمونٍ(٣) علنداةٍ(٤) موثّقةِ الفَقارِ

تَزيفُ(٥) إذا تواهقتِ(٦) المطايا كما زاف المشرِّفُ للخِطارِ(٧)

وإن ضُربتْ بلَحييها وعامت تقصَّمَ(٨) عنهما حلقُ الشِّفارِ(٩)

مِراحاً غيرَ ما ضَغَنٍ ولكنْ لَجاجاً حين تشتبهُ الصحارى

إذا ما استقبلتْ جَوْناً بَهيماً تزجّرَ عن مخيَّسةٍ(١٠) حِضارِ(١١)

إذاما حال روضُ رُبابَ(١٢) دونى وتَثليثٍ(١٣) فشأنُك بالبكارِ

وأنيابٌ يُخافونَ عَنّى وشدّاتُ الكميِّ على التِّجارِ(١٤)

فإن أهلِكْ أرحْ منه أناسى بضربة فاتكٍ غيرِ اعتذارِ

وإن يُغلبْ فإنى سوفَ أبغى بنيهِ بالمدينة أو صِرارِ(١٥)

(١) عنس : ناقة صلبة قوية .

(٢) ذات معجمة : ذات قوة وسمن وبقاء على السير .

(٣) أمون : موثقة الخلق مأمونة الكلال .

(٤) علنداة : ضخمة شديدة طويلة .

(٥) تزيف : تسرع فى تمايل .

(٦) تواهقت : تبارت وتنافست .

(٧) المعين للسباق ؛ وفى هد هج : «المسدد» بدل «المشرف» .

(٨) تقصم : تكسر من غير انفصال .

(٩) الشفار : حديدة أو جلده توضع على أنف البعير كالحكمة للفرس .

(١٠) مخيسة : مذللة منقادة .

(١١) حضار : جمعت قوة وجودة سير .

(١٢) رباب : أرض بين ديار بنى عامر وبلحارث بن كعب .

(١٣) تثليث : موضع بالحجاز قرب مكة .

(١٤) كذا فى م ، ا ، ب ، وأنياب : جمع ناب ، وهى الناقة المسنة ، وتجمع أيضا على نيب وفى الشعر والشعراء : و«كرات الكميت» بدل و« شدات الكمى» .

(١٥) صرار : ماء قرب المدينة على سمت العراق .

إلا من مبلغ مروانَ عنى … فإنى ليسَ دهرى بالفِرارِ
ولا جزِع من الحدثانِ يومًا … ولكنى أرود لكم وبارِ

— وبار : أرض لم يطأ أحد ثراها —

بهزمار[1] ترادُ العيس فيهاَ … إذا أشفقنَ من قَلَق الصِّفارِ[2]
وهنَّ يحشن[3] بالأعناق حَوْشا … كأن عظاه هنَّ قِداحُ بارِ
كأنَّ الرحْل أسأرَ من قَراها[4] … هلالَ عشيةٍ بعد السِّرارِ[5]
رأيتُ وقد أتى بُحْرانُ دُونى[6] … لليلى بالغُمَيم ضوء نارِ[7]
إذا ماقلتُ : قد خمدَتْ زَهاها … عُصىُّ الرند[8] والعصفُ السوارى[9]
يُشَبُّ وقودها ويلوحُ وَهْنًا … كالاح الشَّبوب[10] من الصِّوار[11]
كأن النَّارَ إذْ شُبَّتْ لليلى … أضاءتْ جيدَ مُغزلة[12] نوارِ[13]

(١) ليس فيما بين أيدينا من المعاجم اسم باللفظ هزمار أو هرماز ولعلها محرفة عن هرماس وهو موضع بالمعرة أو نهر نصيبين
(٢) فى جميع النسخ بالقاف ، وهى حبة تلصق بالنزلوع فتمضها عند الجوع فى زعم العرب ولعلها الصفار
(٣) يحشن : يرمين
(٤) أسأر : أبقى . والقرا : الظهر
(٥) السرار : آخر الشهر وفى الكلام كناية عن التقوس والنحافة .
(٦) فى س وب: « نجدا ودونى » ، وهو تحريف .
(٧) كذا فى معجم البلدان بالغين والتصغير وهو ماء لبنى سعد وفى س ، ب: العميم
(٨) الرند : شجر طيب الرائحة يستعمل فى البخور
(٩) العصف : جمع عصوف وهى الريح الشديدة وفى ب : « العطف » وهو تحريف
(١٠) الشبوب : الشاب من البقر
(١١) الصوار ،كغراب وكتاب : القطيع من البقر
(١٢) مغزلة : ذات غزال
(١٣) نوار : نفور

وتصطادُ القلوبَ على مطاها (١) بلا جَعْد القرون ولا قِصارِ (٢)

وتبسم عن (٣) نقىّ اللون عَذْبٍ كما شيف (٤) الأقاحى بالقطارِ

أتجزعُ أن عرفتَ ببطن قوٍّ (٥) وصحراء الأدَيهم رسمَ دارِ

وإن حلّ الخليطُ ولستَ فيهم مرابع (٦) بين دحْلَ إلى سَرارِ (٧)

إذا حلّوا بعائجةٍ خلاء يُقطِّفُ نورَ حَنوتها العذارِى (٨) ٥

يقتل حارسه ويخلص صديقه

فبعث إليه الحارث رجلا من الأنصار فأخذه ، وأخذ أباحردبة ، فبعث بأبى حردبة وتخلف الأنصارى مع القوم الذين كان مالك فيهم، وأمر غلاماً له، فجعل يسوق مالكاً . فتنوّلَ مالكٌ غلام الأنصارى ، وعليه السيف ، فانتزعه منه ، وقتله به ، وشدّ على الأنصارىّ ، فضرب به بالسيف حتّى قتله ، وجعل يقتل من كان معه يمينًا وشمالاً .

ثم لحق بأبى حرْدبة ، فتخلّصه (٩) ، وركبا إبلَ الأنصارى ، وخرجا فراراً من ذلك هاربين ، حتى أتيا البحرين ، واجتمع إليهما أصحابُهما ، ثم قدموا إلى فارس فراراً من ذلك الحدث الذى أحدثه مالكٌ ، فلم يزل بفارس ، حتى قَدِم عليه سفيان بن عثمان ، فاستصحبه . ١٠

(١) كذا فى النسخ ولعلها محرفه عن صفاها بمعنى قسوتها

(٢) القرون الجعدة: القصيرة ، والقرون: الغدائر ؛ قصار : اسم من قصر، يريد: شعر: لامتجعد ولا مكفوف ١٥

(٣) فى ب ، س :على ، وهو تحريف ينكسر به الوزن

(٤) شيف : جلى ، ومنه درهم مشوف مجلو

(٥) بطن قو : واد بين البصرة والمدينة وفى س ، ب : قر

(٦) مرابع : موضع قريب من حزن بنى يربوع

(٧) سرار : واد

(٨) الحنوة : نبت طيب الريح ٢٠

(٩) فى س : فخلصه

فقال مالك فى مهربه(١) ذلك :

شعره فى مهربه

أحقًّا على السلطان أمّا الذى لَهُ ... فيُعطى وأما ما يرادُ فيمنعُ

إذا ما جعلتُ الرملَ بينى وبينَه ... وأعرضَ سهبٌ بين يبرين بلقَعُ(٢)

من الأُدَمى(٣) لا يستجمُّ بها القطا ... تكلُّ الرياحُ دونَه فتقطَّعُ

فشأنكم يا آل مروانَ فاطلبُوا ... سِقاطى(٤) فما فيه لباغيه مَطمعُ

٥

ومَا أنا كالعَير المقيم لأهله ... على القيد فى بُحبوحة الضيم يرتعُ

ولولا رسولُ الله أن كان منكمُ ... تبيَّن من بالنِّصف يرضى ويمنعُ

١٦٥
١٩

وقال أيضًا :

لو كنتمُ تنكرونَ العُذر(٥) قلتُ لكم ... يا آل مروانَ جارى منكم الحكمُ

١٠

وأَخذكم كلَّ يوم الله ضاحيةً ... عند الشهود وقد توفى به الذممُ

لا تكنْ أحدثتُ سوءًا فى إمارتكم ... ولا الذى فات منى قبل ينتقمُ

نحنُ الذين إذا خفتم مُجلِّلةً(٦) ... قلتم لنا : إنّنا منكم انتصرُوا

حتّى إذا انفرجتْ عنكم دجنّتُها ... صرتم كجَرمٍ فلا إلٌّ(٧) ولا رَحِمُ

(١) س : « مالك بن مهروبه » ، تحريف .

١٥

(٢) يبرين : قرية كثيرة النخل والعيون بحذاء الأحساء .

(٣) الأدمى : موضع ببلاد سعد .

(٤) سقاطى : عثارى وسقوطى .

(٥) فى س ، ب : « الغدر » .

(٦) مجللة : نازلة عامة .

٢٠

(٧) إل : ذمة وعهد .

وقال مالك حين قتل غلام الأنصارىّ الذى كان يقوده :

غلامٌ يقول السيفُ يثقل عاتقى إذا قادنى وسْط الرجال المجدَّل[1]

فلولا ذُبابُ السيفِ ظلَّ يقودُنى بنِسعته[2] شثْنُ[3] البنان حزنبلُ[4]

أراد اغتيال مالك فاغتاله مالك وقال فى ذلك شعراً

قالوا : وبينا مالك بن الريب ذاتَ ليلة فى بعض هناته وهو نائم — وكان لا ينام إلا متوشِّحًا بالسيف — إذ هو بشىء قد جثم عليه لا يدرى ما هو ، فانتفض به مالك ، فسقط عنه ، ثم انتحى له بالسيف فقدّه نصفين ، ثم نظر إليه فإذا هو رجل أسودُ كان يقطع الطريق فى تلك الناحية ، فقال مالك فى ذلك :

أدلجتُ فى مهمهٍ ما إن أرى أحدًا حتى إذا حان تعريسٌ لمن نزلا

وضعتُ جنبى وقلتُ : الله يكلؤنى مهما تنم عنك من عين[5] فما غفلا

والسيفُ بينى وبين الثوب مَشْعره[6] أخشى الحوادث إنى لم أكن وكِلا

ما نمتُ إلا قليلا نمته شئزًا[7] حتى وجدتُ على جُثمانىَ الثِّقلا

داهيةً من دواهى الليل بيّتنى مُجاهرًا[8] يبتغى نفسى وما ختلا

أهويتُ نفحًا[9] له والليل ساترُه إلا توخيتُه والجرس فانخزلا[10]

(١) جدل فلان فلانا : صرعه .

(٢) النسعة : قطعة من سير أو حبل من أدم تشد به الرحال .

(٣) شثن : غليظا .

(٤) حزنبل : قصير وثيق الخلق .

(٥) فى هد ، هج : « من ليل » .

(٦) جاعله شعارى أو ملابس ، وفى هج : « الأرض » بدل « الثوب » .

(٧) شئزاً : قلقا .

(٨) فى هد ، هج : « مجاهرا » ، وفى هج « قفلا » بدل « ختلا » .

(٩) نفحاً : ضربا .

(١٠) انخزل : انقطع .

لما ثنى اللهُ عنى شرَّ عَدْوته ... رقدت لا مُثْبَتاً ذُعرًا ولا بَعِلا(1)

أما ترى الدار قَفرًا لا أنيسَ بها ... إلا الوحوشَ وأمسى أهلُها احتملا

بين المُزيفة(2) حيثُ استنّ(3) مَدفعُها(4) ... وبين فردةَ(5) من وحشيِّها قَبلا(6)

وقد تقولُ وما تخفى لجارتها ... إنى أرى مالكَ بنَ الريبِ قد نَحَلا

من يشهد الحربَ يصلاها ويسعرُها ... تراه مما كسته شاحباً وجِلاً

خذها فإنى لضرَّابٌ إذا اختلفت ... أيدى الرجال بضرب يختلِ البطَلا(7)

وقال مالك فى ذلك أيضاً :

يا عاملا(8) تحتَ الظلام مطيّةً ... متخايلا لابلْ وغير مخاتلِ(9)

أنّى أُتيحَ لشابك(10) أنيابَه ... متأنس بدُجى الظلام مُنازلِ

لا يستريع عظيمةً يُرَمى بها ... حصبا(11) يحفز(12) عن عظام الكاهلِ

حرِبا(13) تضربه(14) بذىء هواجر ... عارى الأشاجع(15) كالحسام الناصلِ

(1) بعلا : دهشا فرقا ، وفى هج « وجلا ».
(2) المزيفة : ماء لتميم على فلج بين نجد واليمامة .
(3) استن : وضح .
(4) مدفعها : مسيلها ومجراها .
(5) فردة : جبل فى ديار طيئ .
(6) قبلا : عيانا .
(7) أى ينزع أعلى البيضة .
(8) فى س . ب : « غاسلا » .
(9) صريح لا يخادع ولا يرائى .
(10) الأسد المشتبك الأنياب ، وهذا كناية عن القوة ، ويعنى مالكا نفسه .
(11) حصبا : رميا .
(12) يحفز : يدفع من خلف .
(13) حربا : شديد الغضب .
(14) كذا فى النسخ ، ولعل تضربه محرفة عن تضريه بمعنى : [illegible] من أقاصى الأمور العظيمة ، أى يطلب منها .
(15) الأشاجع : رءوس الأصابع ، جمع اشجع .

١٦٦ لم يدر ما غرفُ القُصور وفيؤها طاوٍ بمنزل ... ودِاه ا المتايل

١٩ يقظ[١] الفؤادِ إذا القلوب تآنست جزعا[٢] ونُبَّهَ كلُّ أروع باسلِ

... الدُّجى ... لغة وله كالذئب ... فى ... الام ... ايلِ

فوجدته ثبتَ الجنان مُشيَّعا[٣] ركَّابَ مَنهجِ كلِّ أمرٍ هائلِ

٥ فقراك أبيض كالعقيقة[٤] صارماً ذا رَونق يعنى[٥] الضريبة فاصلِ

فركبتَ رَدعك[٦] بين ثِنْى فائرٍ[٧] يعلو به أثر الدماء وشائلِ

رجل حرب لاسائس إبل

قال : وانطلق مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان إلى خُراسان ، حتى إذا كانوا فى بعض مسيرهم احتاجوا إلى لبن ، فطلبوا صاحب إبلهم ، فلم يجدوه ، فقال مالكٌ لغلام مِنْ غِلمان سعيد : أَدْنِ منى فلانة — لناقة كانت لسعيد عزيزة — فأدناها منه ، فمسحها وأبسَّ[٨] بها حتى درَّت، ثم حَلَبَها ، فإذا أحسن حالب ، حابه الناس وأغزره دِرَّة ، ١٠ فانطلق الغلام إلى سعيد ، فأخبره ، فقال سعيد لمالك : هل لك أن تقوم بأمر إبلى ، فتكونَ فيها، وأُجزلَ لك الرزقَ إلىما أرزقُك ، وأضع عنك الغَزْو ؟ فقال مالك فى ذلك :

أنى لأستحيى الفوارسَ أن أرى بأرض العدا بوَّ المخاضِ الروائم[٩]

(١) فى س ، ب : « يعظ »

١٥ (٢) فى س ، ب : « جزعا ووثبة » تحريف .

(٣) مشيعا : شجاعا

(٤) العقيقة : البرقة المستطيلة فى عرض السحاب يكثر استعارتها للسيف

(٥) يعنى : يقصد ويصيب وفى مهذب الأغانى : « يغشى »

(٦) الردع فى الأصل : الزعفران ، ويقال للقتيل : ركب ردعه إذا خر لوجهه على دمه

٢٠ (٧) المراد به السيف وثنيه انثناءه وربما كان المراد بين دم « فائر » وآخر سائل ، ويكون قوله «فائز» تصحيف فائر بدليل قوله يعلوبه أثر الدماء ، فهذا لايكون إلا فى الفوارن

(٨) أبس : مسح ضرعها

(٩) الروائم : جمع رائم أو رائمة : عطوف على ولدها .

وإنى لأستحيي إذا الحربُ شمَّرتْ أن ارْخِيَ[1] دون الحرب ثوبَ المُسالم
وما أنا بالنأْى الحفيظة فى الوغى ولا المتقى[2] فى السلم جَرَّ الجرائم
ولا المتأنى فى العواقب للذى أهمُّ به من فاتكات العزائم
ولكننى مستوحدُ العزم مِقدامٌ على غمرات الحادث المتفاقم[3]
٥ قليلُ اختلاف الرأى فى الحرب باسلٌ جميعُ الفؤاد عند حلِّ العظائم

فلما سمع ذلك منه سعيدُ بنُ عثمان، علم أنه ليس بصاحب إبل، وأنه صاحب حرب، فانطلق به معه.

مالك والذئب

قالوا: وبينما مالك بن الريب ليلةً نائم فى بعض مفازاته إذ بيَّته ذئب، فزجره فلم يزدجر، فأعاد، فلم يبرح، فوثب إليه بالسيف، فضربه، فقتله، وقال مالك فى ذلك:

١٠ أذئبَ الغضا قد صرتَ للناس ضُحكة تُعادى بك الركبانُ شرقا إلى غرب
فأنت وإن كنتَ الجرىء جنانُه مُنيتَ بضرغام من الأُسد الغُلْبِ
بمن لاينامُ الليلَ إلا وسيفُهُ رهينةُ أقوام سراعٍ إلى الشغْبِ
ألم ترنى ياذئبُ إذا جئتَ طارقاً تخاتِلُنى أنى أمرؤ وافرُ اللُّبِّ
زجرتكَ مراتٍ فلما غلبتَنى ولم تنزجرْ نهنهتُ[4] غربَكَ بالضرب
١٥ فصرت لَقًى لمّا علاكَ ابنُ حرّة بأبيض قطّاع يُنَجّى من الكَرْبِ
ألا ربَّ يومٍ ريبَ لو كنتَ شاهداً لهالكَ ذِكْرِى عند مَعْمَعَة[5] الحربِ

(١) فى س، ب «أرفض» وهو تحريف
(٢) فى س، ب: «الملق»
(٣) فى هج: «على الحادث المتعاظم المتفاقم»
٢٠ (٤) نهنهت: كففت.
(٥) ب، س: «معمعة» وهو تحريف

ولـ... ترى إلا كريما مجدلا يداه جميعا تابتان من الترب[1]
وآخر يهوى طائر القلب هاربا وكنت امرأ فى الهيج مجتمع القلب
أصول بذى الزرين[2] أمشى عرضنة[3] إلى الموت والأقران كالإبل الجرب
أرى الموت لا أنحاش عنه تكرما ولو شئت لم أركب على المركب الصعب
ولكن أبت نفسى وكانت أبية تقاعس أو ينصاع قوم من الرعب

١٦٧ ١٩

٥

تعلق به ابنته عند الفراق فقال فى ذلك شعراً

قال أبو عبيدة : لما خرج مالك بن الريب مع سعيد بن عثمان تعلقت ابنته بثوبه ، وبكت ، وقالت له : أخشى أن يطول سفرك أو يحول الموت بيننا فلا نلتقى ، فبكى وأنشأ يقول :

ولقد قلت لابنتى وهى تبكى بدخيل الهموم قلبا كئيبا
وهى تذرى من الدموع على الخدين من لوعة الفراق غروبا
عبرات يكدن يجرحن ماجزن به أو يدعن فيه ندوبا
حذر الحتف أن يصيب أباها ويلاقى فى غير أهل شعوبا[4]
اسكتى قد حززت بالدمع قلبى طالما حز دمعكن القلوبا
فعسى الله أن يدفع عنى ريب ماتحذرين حتى أءوبا
ليس شىء[5] يشاؤه ذو المعالى بعزيز عليه فادعى المجيبا
ودعى أن تقطعى الآن قلبى أو تريبى فى رحلتى تعذيبا

١٠

١٥

(١) فى هج : « تنتزان » بدل « تابتان »
(٢) الزرين : الحدين
(٣) عرضنة ، أى أمشى بقوة .
(٤) شعوب : علم على المنية وقد يعرف بأل
(٥) فى س ، ب : « شيئا » .

٢٠

أنا فى قبضة الإله إذا كنـ ـتُ بعيداً أو كنتُ منه قريبا
كم رأينا امرأً أتى من بعيدٍ ومقيما على الفراشِ أصيبا
فدعينى من انتحابكِ إنى لا أبالى إذا اعتزمتُ النحيبا
حسبىَ الله ثم قرّبتُ للسَّيرِ علاةً(1) أنجِبْ بها مَرْكُوبا

٥ أخبرنى هاشمُ بنُ محمد الخُزاعىّ قال : حدثنا دَماذ عن أبى عبيدة قال :

كان سببُ خروج مالك بن الريب إلى خُراسان واكتتابه مع سعيد بن عثمان ، هَرَباً من ضرطَةٍ ، فسألتُه كيف كان ذلك ؟ قال : مرّ مالك بلَيلى الأخيَلية ، فجلس إليها يحادثُها طويلا ، وأنشدَها . فأقبلت عليه ، وأعجبتْ به حتى طَمِع فى وصالها ، ثم إذا هو بفتًى قد جاء إليها ، كأنه نصلُ سيف ، فجلس إليها ، فأعرضتْ عن مالك ، وتهاونتْ به ،
١٠ حتى كأنه عندها عُصفورٌ ، وأقبلتْ على صاحبها مليًّا من نهارها ، فغاظهُ ذلكَ من فعلها ، وأقبل على الرجل ، فقال : من أنتَ ؟ فقال : توبةُ بن الحُمَيِّر ، فقال : هل لك فى المصارعةَ ؟ قال : وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفُنا وجارُنا ؟ قال : لابدَّ منه ، فظنّ أن ذلك لخوفهِ منه ، فازداد لَجَاجًا ، فقام توبةُ فصارعه ، فلما سقط مالك إلى الأرض ضَرَطَ ضَرْطة هائلة ، فضحكتْ ليلَى منه . واستحيا مالك ، فاكتتب بخُراسان وقال :
١٥ لا أقيم فى بلد العرب أبداً ، وقد تحدّثتْ عنى بهذا الحديثِ ، فلم يزل بخُراسان حتى مات ، فقبره هناك معروف .

يشرد من أجل ضرطة

وقال المدائنىّ ، وحدثنى أبو الهيثم : قال :

اجتمع مالكُ بن الريب ، وأبو حَردبة وشِظاظ يوما ، فقالوا : تعالوا نتحدّث بأعجب ما عملناه فى سَرِقتنا ، فقال أبو حَردبة : أعجب ما صنعت ، وأعجبُ ما سرقت أنى صحبت

يتحدث مع أصحابه ويتذاكرون ماضيهم فى السرقة

٢٠ (١) علاة : ناقة مشرفة

رُفقةً فيها رجل على رَحْل، فأعجبني، فقلتُ لصاحبي، والله لأَسرقنّ رَحْلَه، ثم لأرضينّ أو آخذَ معه جُعالة، فرَمَقْته، حتى رأيتُه قد خَفَق برأسه، فأخذتُ بخطام جمله، فقدته، وعَدَلْتُ به عن الطريق، حتى إذا صيّرتُه في مكان لا يغاثُ فيه إن استغاث، أنختُ البعيرَ وصرعته، فأوثقتُ يدَه ورجلَه، وقدتُ الجمل، فغيّبتُه ثم رجعتُ إلى الرُّفقة، وقد فقدوا صاحبهم، فهم يسترجعون، فقلتُ: مالكم؟ فقالوا: صاحبٌ لنا فقدناه، فقلتُ: أنا أعلم الناسِ بأثره، فجعلوا لى جُعَالة، فخرجتُ بهم أتبع الأثرَ، حتى وقفوا عليه، فقالوا: مالك؟ قال: لا أدرى، نعستُ، فانتبهتُ لخمسين فارسًا قد أخذوني، فقاتلتهم، فغلبوني.

قال أبو حَرْدبة: فجعلتُ أضحكُ من كذبه، وأعطوني جُعالتي، وذهبوا بصاحبهم.

وأعجبُ ما سرقتُ أنه مرّ بي رجل معه ناقةٌ وجمل، وهو على الناقة، فقلت: لآخذنّهما جميعًا، فجعلتُ أعارضه وقد رأيتُه قد خفَق برأسه، فدرت، فأخذتُ الجملَ، فحللتُه، وسقته، فغيّبته في القَصيم — وهو الموضع الذى كانوا يسرقون فيه — ثم انتبه، فالتفتَ، فلم ير جملَه، فنزل وعقلَ راحلته، ومضى فى طلب الجمل، ودُرْت فحللتُ عقال ناقته، وسقتُها.

فقالوا لأبي حَرْدَبة: ويحك! فختّام تكون هكذا! قال: اسكتوا، فكأنكم بي وقد تبتُ، واشتريتُ فرسا، وخرجتُ مجاهدًا، فبينا أنا واقفٌ، إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة رِشاء، فوقع في نحري، فمتُّ شهيدًا. قال: فكان كذلك: تابَ، وقدم البصرةَ، فاشترى فرسا، وغزا الروم، فأصابه سهم فى نحره فاستُشهد.

ثم قالوا لشِظاظ: أخبرنا أنت بأعجب ما أخذتَ فى لصوصيّتك، ورأيتَ فيها، فقال: نعم كان فلانٌ (رجل من أهل البصرة) له بنتُ عم ذاتُ مال كثير، وهو وليُّها، وكانت له نسوة، فأبت أن تتزوّجه، فحلف ألا يزوِّجها من أحدٍ ضرارًا لها، وكان

يخطبها رجل غنى من أهل البصرة ، فخرجت[1] عليه ، وأبى الآخر أن يزوجها منه ، ثم إن ولىّ الأمر حجّ ، حتى إذا كان بالدوّ[2] — على مرحلة من البصرة حذاءها ، قريب منه جبل يقال له سنام ، وهو منزل الرفاق إذا صدرت ، أو وردت — مات الولىّ ، فدُفن برابية ، وشُيّد على قبره ، فتزوجت الرجلَ الذى كان يخطبها . قال شظاظ :

وخرجت رُفقة من البصرة معهم بزّ ومتاع ، فبصرتهم وماءهم وأتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيّتهم ، وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذونى ، وضربونى ضرباً شديداً ، وجرّدونى — قال : وذلك فى ليلة قرّة — وسلبونى كلّ قليل وكثير ، فتركونى عُرياناً ، وتماوتُّ لهم ، وارتحل القومُ ، فقلت : كيف أصنعُ ؟ ثم ذكرت قبر الرجل ، فأتيتُه ، فنزعتُ لوحه ، ثم احتفرتُ فيه سَرَباً ، فدخلت فيه ، ثم سددتُ علىّ باللوح ، وقلت : لعلى الآنَ أدفأ[3] فأتبعهم . قال : ومرّ الرجل الذى تزوج بالمرأة فى الرُّفقة ، فمرّ بالقبر الذى أنا فيه ، فوقف عليه ، وقال لرفيقه : والله لأنزلنّ إلى قبر فلان ، حتى أنظرَ هل يحمى الآن بُضْعَ فلانة ؟ قال شظاظ : فعرفت صوته فقلعتُ اللوحَ ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من القبر ، وقلت : بلى ورب الكعبة لأحمينّها ، فوقع والله على وَجْهه مَغْشيًّا عليه ، لا يتحرّك ولا يعقل[4] . فسقط من يده خطام الراحلة ، فأخذت وعهد الله بخطامها[4] فجلستُ عليها، وعليها كلّ أداة وثياب ونقد كان معه ، ثم وجّهتها قصدَ مطلع الشمس هارباً من الناس ، فنجوتُ بها ، فكنت بعد ذلك أسمعه يحدّثُ الناس بالبصرة ، ويحلف لهم أن الميّت الذى كان منعه من تزويج المرأة خرج عليه من قبره بسلاحه وكفنه . فبقى يومه ، ثم هرب منه ، والناس يعجبون منه فمنهم من يكذّبه ، والأحمقُ منهم يصدقه ، وأنا أعرف القصةَ ، فأضحكُ منهم كالمتعجب . . .

(١) فى س : فخرجت

(٢) أرض ملساء بين مكة والبصرة

(٣) فى هج : « لعلى الآن قد أفيق فألحقهم »

(٤-٤) تكملة من هد ، هج

١٦٩
١٦

قالوا: فزدنا، قال: فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحمق من هذا؛ إنى لأمشى فى الطريق أبتغى شيئًا أسرقه، قال: فلا والله ما وجدتُ شيئًا، قال: وكان هناك شجرةٌ ينام من تحتها الركبان بمكان ليس فيه ظلٌّ غيرَها، وإذا أنا برجل يسيرُ على حمار له، فقلت له: أتسمعُ؟ قال: نعم، قلتُ: إن المقيل الذى تريد أن تقيله يُخسَفُ بالدوابّ فيه، فاحذره، فلم يلتفت إلى قولى. قال: ورمقتُه، حتى إذا نام أقبلتُ على حماره، فاستقتُه، حتى إذا برزْت به، قطعتُ طَرف ذَنَبه وأذنيه، وأخذتُ الحمارَ، فخبأْتُه وأبصرتُه حين استيقظ من نومه، فقام يطلب الحمارَ، ويقفو أثرَه، فبينا هو كذلك إذ نظر إلى طرَف ذَنَبه وأذنيه، فقال: لعمرى لقد حُذِّرتُ لو نفعنى الحذر، واستمرّ هاربًا خوف أن يُخسَف به، فأخذتُ جميع ما بقىَ من رحله فحملتُه على الحمار، واستمرَّ فألحقُ بأهلى. (٥)

مغامرة أخرى لشظاظ

قال أبو الهيثم: ثم صلب الحجاجُ رجلا من الشُّراة بالبصرة، وراح عشيًّا، لينظر إليه، فإذا برجل بإزائه مقبل بوجهه عليه، فدنا منه، فسمعه يقول للمصلوب: طال ما ركبتَ فأعقبتَ[1]، فقال الحجاج: من هذا؟ قالوا: هذا شظاظٌ اللص قال: لاجرَمَ! والله لأُعقِبنّه، ثم وقف، وأمر بالمصلوب، فأُنزِل وصَلَبَ شظاظا مكانه. (١٠)

الحجاج يصلب شظاظا

قال ابنُ الأعرابى:

مرِض مالكُ بن الريب عند قفول سعيد بن عثمان من خُراسان فى طريقه، فلما أشرف على الموت تخلَّف معه مُرّةُ الكاتب[2] ورجل آخرُ من قومه من بنى تميم وهما اللذان يقولُ فيهما: (١٥)

مات مالك حتف أنفه

(١) أى اتركك عقبك ومن يخلفك.
(٢) فى هد: «الكنانى» بدل «الكاتب»

أياصاحبىْ رَحْلِى دنا الموتُ فانزلا   برابية إنى مقيمٌ لياليا

ومات فى منزله ذلك ، فدفناه ، وقبرُه هناك معروف إلى الآن ، وقال قبل موته قصيدته هذه يرثى بها نفسه .

قال أبو عبيدة : الذى قاله ثلاثة عشر بيتًا ، والباقى منحول ، ولَّده الناس عليه .

صوت

فما بيضةٌ بات الظليمُ يحفّها ... ويرفع عنها جُؤْجُؤا متجافيا
بأحسنَ منها يوم قالت: أظاعنٌ[1] ... مع الركب، أم ثاوٍ لدينا لياليا؟
وهبّت شمالٌ آخر الليل قَرّةٌ[2] ... ولا ثوب إلاّ بُرْدُها وردائيا
وما زال بُردى طيّبا من ثيابها ... إلى الحول حتى أنهجَ[3] الثوبُ[4] باليا

الشعر لعبد بنى الحسحاس، والغناء لابن سُريج فى الأول والثانى من الأبيات ثمانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق، وفى الثالث والرابع أخُارق خفيف ثقيل عمله على صنعة إسحاق فى :

* أماوىّ إن المال غادٍ ورائحُ *

وكاده بذلك ليقال إن إسحاق أخذه منه، وألقاه على عجوز عُمير، فألقته على الناس، حتى بلغ الرشيدَ خبره، ثم كشفه فعلم حقيقته، ومن لا يعلم ينسبه إلى غيره، وقد ذكر حبش أنه لإبراهيم، وذكر غيره أنه لابن المكى.

وقد شرحت هذا الخبر فى أخبار إسحاق.

(١) فى رواية الديوان : « أراحل » .
(٢) رواية الديوان : «وهبت لتاريج الشمال بقرة» وروى أيضا : «وهبت شمالا آخر الليل قرة» .
(٣) أنهج : خلق وبلى
(٤) فى الديوان : « البرد » بدل « الثوب » .

أخبار عبد بني الحسحاس

اسمه سُحَيم، وكان عبداً أسودَ نوبيًّا أعجميًّا مطبوعاً في الشعر، فاشتراه بنو الحسحاس، وهم بطن من بني أسد، قال أبو عبيدة: الحسحاسُ بن نُفاثة بن سَعيد ابن عمرو بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزَيمة.

٢
٢٠

قال أبو عبيدة — فيما أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ عن أبي حاتم عنه: كان عبدُ بني الحسحاس عبداً أسودَ أعجميًّا، فكان إذا أنشد الشعر — استحسنته أم استحسنه غيرُه منه — يقول: أهشَنْتُ والله — يريد أحسنتُ والله — وأدرك النبيّ صلى الله عليه وسلم، ويقال: إنه تمثّل بكلمات من شعره غير موزونة.

٥

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدثنا أحمد بن منصور قال حدثنا الحسنُ بن موسى قال حدثنا حمّاد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثّل:

١٠

يستشهد الرسول بشعر له

* كفى بالإسلام والشيب ناهيا *

فقال أبو بكر: يارسولَ الله:

كفى الشيبُ والإسلام للمرء ناهيا

فجعلَ لا يطيقه، فقال أبو بكر: أشهد أنك رسولُ الله ﴿ وما علّمناه الشعرَ وما ينبغي له ﴾.

١٥

قال محمد بن خلف وحدثني أحمدُ بن شداد عن أبي سلمة التّبوذكي عن حماد ابن سلمة، عن رجل، عن الحسن مثله، وروى عن أبي بكر الهذليّ أن اسم عبد بني الحسحاس حيّة.

كان أسود الوجه

وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : كان عبدُ بنى الحسحاس حُلوَ الشعر رقيقَ الحواشى ، وفى سواده يقول :

وما ضرّ أثوابى سوادِى وإنَّنى لكالمسك لا يسلو عن المسكِ ذائقهُ
كُسِيتُ قَمِيصًا ذا سواد وتحتَه قميصٌ من القُوهىّ[1] بيض بنائقهُ[2]

٣ — ويروى : وتحته قميص من الإحسان — ٥

٢٠ أخبرنى الحسنُ بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن أبى خَيْثمة قال : أنشدنى مُصعَب ابن عبد الله الزبيرىّ لعبد بنى الحسحاس — وكان يستحسنُ هذا الشعرَ ويعجب به — قال :

أشعارُ عبد بنى الحسحاس قُمْنَ له عند الفخارِ مَقام الأصلِ والوَرِق
إن كنتُ عبدًا فنفسى حرّةٌ كَرَمًا أو أسودَ اللونِ إنى أبيضُ الخُلُقِ ١٠

وقال الأثرم : حدثنى السَّرِىُّ بنُ صالح بن أبى مِسهر قال : أخبرنى بعضُ الأعراب ، أن أول ماتكلم به عبدُ بنى الحسحاس من الشعر أنهم أرسلوه رائداً فجاء وهُوَ يقول :

أنعتُ غيثًا حسنًا نباتُه كالحَبَشىِّ حولَه بناتُه

فقالوا : شاعرٌ والله ، ثم انطلق بالشعر بعد ذلك . ١٥

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال : أنشد سُحيمٌ عمرَ بنَ الخطاب قوله :

بيت له يستحسنه عمر

عُميرة ودّع إن تجهَّزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

(١) منسوب إلى قوهستان (كورة بين نيسابور وهراة) ويطلق القوهى على الثوب الأبيض ، وإن لم يكن منسوبًا إلى قوهستان ، ويريد سحيم هنا بياض سريرته وطهارة قلبه

(٢) البنائق : جمع بنيقة أى مايخيط بالعنق من الثوب ٢٠

فقال عمر : لو قلتَ شعرَك كلّه مثلَ هذا لأعطيتُك عليه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عبد الملك ابن عبد العزيز قال : حدثني خالي يوسف بن الماجشُون قال :

كان عبد الله بن أبي رَبيعة عاملاً لعثمان بن عفان على الجَنَد ، فكتب إلى عثمانَ : إني قد اشتريتُ غلاماً حبشيًّا يقول الشعرَ ، فكتب إليه عثمانُ : « لاحاجة لي إليه،فاردده، فإنما حظُّ أهل العبد الشاعرِ منه،إن شبِعَ أن يتشبّب بنسائهم ،وإن جاع أن يهجوَهم » ، فردّه فاشتراه أحدُ بني الحسحاس .

لاحاجة لعثمان به

وروى إبراهيم بن المنذِر الحزاميّ هذا الخبر عن ابن الماجشون قال :

كان عبدُ الله بن أبي ربيعة — مثل مارواه الزبير — إلا أنه قال فيه : إن جاع هَرّ ، وإن شَبِع فَرّ .

أخبرني محمد بن خلَف بن المرزبان قال : حدثني أبو بكر العامري عن الأثرم عن أبي عبيدة . وأخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلّام قال : أنشد عبدُ بني الحسحاس عُمَرَ قولَه :

تُوسِّدُني كفًّا وتَثني بمِعصَمٍ ... عليّ وتحوِي رِجلَها من ورائيا

فقال عمرُ : ويلَك، إنّك مقتول .

أخبرني محمد بن جعفر الصيدلانيّ قال : حدثني أحمد بن القاسم قال : حدثني إسحاق بن محمد النَّخَعيّ ، عن ابن أبي عائشة قال :

أنشد عبد بني الحسحاس عمرَ قوله :

* كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهياً *

الإسلام أولا

فقال له عمر: لو قدّمت الإسلام على الشيب لأجزتك.

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وحبيبُ بنُ نصر قالا: حدثنا عمر بن شبّة قال: حدثنا مُعاذُ بن مُعاذ وأبو عاصم عن ابن عون عن محمد بن سيرين، أن عبد بني الحسحاس أنشد عمرَ هذا وذكر الحديث مثل الذي قبله.

٥

أخبرني محمد بن خلف، قال: حدثنا إسحاق بن محمد قال: حدثنا عبد الرحمن، ابن أخي الأصمعي عن عمه قال:

كان عبد بني الحسحاس قبيحَ الوجه، وفي قُبحه يقول:

كان قبيح الوجه

أتيتُ نساء الحارثيِّين غُدوةً بوجهٍ برَاه اللهُ غيرَ جميلِ

فشبَّهنَني كلبًا ولستُ بفوقِه ولا دونه إن كان غيرَ قليلِ

١٠

٩٩

١٩

أخبرني أبو خليفة، عن محمد بن سلّام، قال:

أُتي عثمانُ بن عفان بعبد بني الحسحاس ليشتريه فأعجب به فقالوا: إنه شاعر، وأرادوا أن يرغّبوه فيه، فقال: لا حاجة لي به؛ إذ الشاعرُ لا حريم له، إن شبع تشبّب بنساء أهله، وإن جاع هجاهم، فاشتراه غيرُه، فلما رحل قال في طريقه:

كان يشبب بنساء مواليه

أشوقًا ولمّا تمضِ لي غيرُ ليلة فكيف إذا سار المطيُّ بنا شَهرا؟[1]

وما كنت أخشى مالكًا أن يبيعَني بشيء ولو أمست أناملُه صِفرا

١٥

أخوكم ومولَى مالِكم وحليفُكم ومن قد ثَوى فيكم وعاشركمُ دَهْرا[2]

فلما بلغهم شعرُه هذا رثوا له، فاستردّوه.

فكان يشبّبُ بنسائهم، حتى قالَ:

(١) في هج، هد: «عشرا» بدل «شهرا».

(٢) في هج: «أخوكم ومولاكم وكاتم سركم».

٢٠

ولقد تحدَّرَ من كريمةِ بعضِكم[1] عرَقٌ على متن[2] الفِراش وطيبُ

قال : فقتلوه .

أخبرني الحرميّ بنُ أبي العلاء قال : حدّثنا الزبير بن بكار قال : حدثني عبد الملك ابن عبد العزيز عن خاله يوسف بن الماجِشون بمثل هذه الرواية وزاد فيها :

فلما استردّوه نَشِبَ يقولُ الشعر في نسائهم ، فأخبرني من رآه واضعًا إحدى رجليه على الأخرى يقرض الشعر ويشبِّب بأخت مولاه وكانت عليلة ، ويقول :

ماذا يريدُ السقامُ من قمرٍ كلُّ جمال لوجهه تَبَعُ !
ما يرتجي خاب من محاسنها أما لَهُ في القِباح مُتَّسَعُ !
غيَّر من لونها وصفرها فزيدَ[3] فيه الجمال والبِدَعُ
لو كان يبغي الفداء قلتُ له : ها أنا دونَ الحبيبِ يا وجعُ

أخبرني محمد بن خلف قال : حدثنا أبو بكر العامريّ ، عن عليّ بن المغيرة الأثرم قال : قال أبو عبيدة :

الذي تناهى إلينا من حديث سُحيم عبد بني الحسحاس أنه جالسَ نِسوةً من بني صُبَير بن يربوع ، وكان من شأنهم إذا جلسوا للتغزّل أن يتعابثوا بشقّ الثياب وشدّة المغالبة على إبداء المحاسن ، فقال سُحيم :

كأن الصُّبيريّاتِ يومَ لقيننا ظباءٌ حنَتْ أعناقَها[4] في المكانسِ
فكم قد شققنا من رداء مُنيَّرٍ[5] ومن برقع عن طَفْلة غيرِ عانسِ

(1) في الديوان : « فلقد تحدر من جبين فتاتكم » .
(2) في الديوان : « على ظهر » .
(3) في س ، ب : « فارتد » .
(4) كذا في الديوان وفي س ، ب : « حنت أعناقهم المكانس » وفيه الأقواء حرتلة .
(5) كذا في الديوان وفي س ، ب : « مزنر » ، ومعنى منير : له نير ، أي علم الثوب .

إذا شُقَّ بُرْدٌ شُقَّ بالبرد بُرقُعٌ[١] على ذاك[٢] حتى كلُّنا غيرُ لابسِ

فيقال : إنه لما قال هذا الشعر اتّهمه مولاه ، فجلس له فى مكان كان إذا رعى نام فيه ، فلما اضطجع تنفّس الصُّعَداء ، ثم قال :

يا ذِكرةً مالكَ فى الحاضرِ تذكُرُها وأنتَ فى الصادرِ
من كل بيضاء لها كَفَلٌ[٣] مثلُ سنام البَكرة المائرِ

قال : فظهر سيّدُه من الموضع الذى كان فيه كامنا ، وقال له : مالك ؟ فتلجلج فى منطقه ، فاستراب به ، فأجمع على قتله ، فلما وردَ الماء خرجت إليه صاحبته ، فحادثته ، وأخبرته بما يرادُ به ، فقام ينفض ثوبه ويعفى أثره ، ويلتقط رضًّا من[٤] مسكها[٥] كان كسرها فى لعبه معها ، وأنشأ يقول :

صوت

أتكتم حيِّيتم على النأى تُكتَما تحيةَ من أمسى بحبِّك مُغرَما
وما تُكتمين إن أتيتِ دنيّةً ولا إن ركبنا يابنةَ القوم محْرما
ومثلكِ قد أبرزتُ من خِدرِ أمها إلى مجلسٍ تجرُّ بُرداً مسهَّما[٦]

الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى وفيه ليحيى المكى ثانى ثقيل ، قال :

ومائلةٍ فى مَشْيِها التمالها لتمتُّها من السترِ تخشى أهلَها أن تكلّما

(١) فى س ، ب : « نيط بالبرد برقع » .
(٢) فى الديوان : « دواليك » وبهذه الرواية يستشهد النحويون فى باب المصادر الموضوع موضع الحال المثنى المضاف إلى ضمير المخاطب
(٣) فى الديوان : « كمفل » وما هنا أعلى
(٤) رضا : كسرا
(٥) مسكها : من سوارها أو خلخالها
(٦) مسهما : فيه صورة السهم

فقالت : صه ياويح غيرك إننى ... سمعت حديثا بينهم يقطر الدما

فنفضت ثوبيها ونظرت حولها ... ولم أخش هذا الليل أن يتصرما

أعفّى بآثار الثياب مبيتها ... وألقيا رضًّا من وقوف(١) تحطما

قال : وغدوا به ليقتلوه ، فلما رأته امرأة كانت بينها وبينه مودة ثم فسدت ، ضحكت به شماتة فنظر إليها وقال :

فإن تضحكى منى فيارب ليلة ... تركتك فيها كالقباء المفرج

فلما قدّم ليقتل قال :

شُدّوا وثاقَ العبد لا يُفْلِتْكُمُ ... إن الحياةَ من الممات قريبُ

فلقد تحدّر من جبين فتاتكم ... عَرَقٌ على مَتْنِ الفراش وطِيبُ

قال : وقُدِّم فقُتِل . وذكر ابن دَأْب أنه حُفِر له أخدود ، وأُلْقِىَ فيه ، وأُلقِىَ عليه الحطبُ فأُحرِق . يحرق فى أخدود

أخبرنى محمدُ بنُ مَزْيد بن أبى الأزهَر قال : حدثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، عن المدائنى عن أبى بكر الهُذَلىّ قال :

كان عبدُ بنى الحسحاس يسمى حيّة ، وكان لسيّده بنتٌ بِكر ، فأعجبها ، فأمرته أن يتمارضَ ، ففعل وعصب رأسه . فقالت للشيخ : أسرِحْ أيها الرجُل إبلاءَ ، ولا تكِلْها إلى العبد ، فكان فيها أياما ، ثم قال له : كيف تجدُكَ ؟ قال: صالحاً ، قال : فَرُحْ فى إبلك الشية ، فراح فيها ، فقالتِ الجاريةُ لأبيها : ما أصبْتُك إلا قد ضيّعتَ إبلك الشية، أن وَكَلْتَها إلى حيّة ، فخرج فى آثار إبله فوجده مستلقيا فى ظل شجرة ، وهو يقول : أصابهن كلهن إلا واحدة

(١) وقوف : جمع وقف أى سوار من ذبل أو عاج

يا رُبَّ شجوٍ لك فى الحاضر تذكُرها وأنتَ فى الصادر
من كلِّ حمراءَ جُماليَّةٍ[1] طاميةٍ القادم والآخر

فقال الشيخ: إن لهذا لشأنا، وانصرف، ولم يُره وجهَه. وأتى أهل الماء، وقال لهم: تعلَّموا والله أن هذا العبدَ قد فضحنا، وأخبرهم الخبر، وأنشدهم ماقال، فقالوا: اقتله، فنحن طوعُك، فلما جاءهم وثبوا عليه، فقالوا له: قلتَ وفعلتَ، فقال: دعونى إلى غد حتى أعْذِرَهَا[2] عند أهل الماء، فقالوا: إن هذا صواب فتركوه، فلما كان الغد اجتمعوا فنادى: يا أهل الماء، ما فيكم امرأةٌ إلا قد أصبتُها إلا فلانةَ فإنى على موعد منها، فأخذوه فقتلوه.

ومما يغنّى فيه من قصيدة سحيم عبد بنى الحسحاس، ويقال: إن من الناس من يرويها لغيره:

تجمَّعْنَ من شتَّى ثلاثا وأربعا وواحدةً حتى كَمَلْنَ ثمانيا
وأقبلن من أقصى الخيام يَعُدْنَنى بقيَّةَ ما أبقينَ نصلا يمانيا
يعُدْن مريضا هنَّ قد هِجن داءَهُ ألا إنما بعضُ العوائدِ دائيا

فيه لحنان كلاهما من الثقيل الأول، والذى ابتداؤه «تجمعنَ من شتى ثلاث» لبنان. والذى أوله: «وأقبلن من أقصى الخيام». ذكر الهشامى أنهُ لإسحاق وليس يشبه صنعته ولا أدرى لمن هو؟

مخارق يكيد لإسحاق

أخبرنى جحظة عن ابن حمدون أن مخارقا عملَ لحنًا فى هذا الشعر:

وَهَبَّتْ شمالا آخرَ الليل قَرَّةً ولا ثوبَ إلا بردُها وردائيا

على عمل صنعة إسحاق فى:

(١) جمالية: جميلة.
(٢) أعذرها: أثبت لها عذرا.

* أماويّ إن المال غاد ورائح *

ليكيد به إسحاق ، وألقاه على عجوز عُمَيرٍ الباذغيسى ، وقال لها : إذا سئلتِ عنه فقولى : أخذتُه من عجوزٍ مدنية ، ودار الصوت حتى غُنِّىَ به الخليفة ، فقال لإسحاق : ويلك أخذتَ لحنَ هذا الصوتِ تُغَنِّيه[1] كلَّه ، فحلف له بكل يمين يرضاه أنه لم يفعلْ وتضمَّن له كشفَ القصة ، ثم أقبل على مَنْ غنَّاه الصوتَ فقال : عمَّن أخذتَه ؟ فقال : عن فلان ، فلقيه ، فسأله عمن أخذه فعرفه ، ولم يزل يكشف عن القصة ، حتى انتهى من كل وجه إلى عَجوز عميرٍ ، فسألها عن ذلك ، فقالت : أخذتُه عن عجوز مدنية ، فدخل إسحاق على عُمَير ، فحلف له بالطلاق والعتاق وكلِّ مُحرِج من الأيمان ألاَّ يكلمَه أبدا ولا يدخل داره ولا يترك كيدَه وعداوتَه أو يَصْدُقَه عن حال هذا الصوت وقصتِه ، فصدَقه عُمير عن القصة ، فحدَّث بها الواثق بحضرة عمير ومُخارق ، فلم يمكن مُخارقا دفعُ ذلك ، وخجل خجلاً بان فيه ، وبطل ما أراده بإسحاق .

(١) س ، ب « بصوته » بدل « تغنيه »

صوت

ثلاثةُ أبياتٍ فبيتٌ أحبُّه — وبيتان ليسا من هوايَ ولا شكلي

ألا أيها البيتُ الذي حِيلَ دونَه — بنا أنتَ من بيتٍ وأهلُكَ من أهلِ

الشعر لجميل، والغناء لإسحاق ماخوريّ بالبنصر من جامع أغانيه، وفيه رَمَل مجهول ذكره حَبَش لعُلّويه ولم أجد طريقته.

متمم العبدي والجويرية

أخبرني الحسين بن يحيى المرادىّ عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : حدثني متمم العبدىّ قال :

خرجت من مكة زائراً لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنى لفى سوق الجُحْفَةِ[1] إذا جُوَيرية تسوقُ بعيراً ،وتترنّم بصوت مليح طيّب حُلْو فى هذا الشعر :

ألا أيها البيتُ الذى حِيل دونه ... بنا أنت من بيتٍ وأهلُكَ من أهل

بنا أنتَ من بيتٍ وحولك لَذّةٌ ... وظِلُّكَ لو يُسْطاعُ بالبارد السهل

ثلاثة أبياتٍ فبيتٌ أحِبُّه ... وبيتان ليسا من هواى ولا شكلى

فقلت : لمن هذا الشعر يا جُويرية ؟ قالت : أما ترى تلك الـكُوّة الموفّاةَ بالـكِلّة الحمراء ؟ قلت : أراها ، قالت : من هناكَ نهض هذا الشعرُ ، قلت : أو قائلُه فى الأحياء ؟ قالت : هيهات ، لو أنّ ميتاً أن يرجع لطول غيبته لكان ذلك ، فأعجبنى فصاحةُ لسانِها ورقةُ ألفاظِها ، فقلت لها : ألكِ أبوان ؟ فقالت : فقدت خيرَها وأجلَّهما ، ولى أم ، قلت : وأين أمُّكِ ؟ قالت : منك بمرأى ومسمع ، قال : فإذا امرأة تبيعُ الخرَزَ على ظهر الطريق بالجُحْفَة ، فأتيتُها ، فقلتُ : يا أُمَّتَاه ، استمعى منى ، فقالتْ لها : يا أُمَّهْ ،فاستمعى من عمّى مايلقيه إليكِ ،فقالتْ : حيَّاكِ الله ، هيه ، هل من جائيةِ خبرٍ[2]؟ قلتُ : أهذه ابنتُك ؟ قالت : كذا كان يقول أبوها ، قلتُ :أفتزوّجينها ؟ قالت: ألِعلّةٍ رغبتَ فيها ؟ فما هىَ والله مَنْ عندها جمالٌ ، ولا لَهَا مال ، قلتُ : لحلاوة لسانها وحُسن عقلها ، فقالت : أيُّنا أملَكُ بها ؟ أنا أمْ هى بنفسها ؟ قلت : بل هى بنفسها ، قالت : فإياها فخاطِبْ ، فقلتُ : لعلها أن تستحىَ من الجواب فى مثل هذا ، فقالت : ما ذاكَ عندها ، أنا أخبر

(١) الجحفة : قرية كانت على طريق المدينة من مكة على أربع مراحل وهى ميقات أهل مصر والشام

(٢) تريد خبرا يجوب البلاد متنقلا .

بها ، فقلتُ : يا جارية ، أما تسمعين ما تقول أمّكِ ؟ قالت : قد سمعت ، قلت : فما عندكِ ؟ قالت : أوليس حسبك أنْ قلت : إنى أستحى من الجواب فى مثل هذا ، فإن كنتُ أستحى فى شىء فلِمَ أفعلهُ ؟ أتريد أن تكون الأعلى وأكون بساطكَ ، لا واللهِ لا يشاءُ علىّ رجل حِواءه وأنا أجدُ مَذْقَةَ[1] لبن أو بقلةً ألين بها مِعَاى ، قال : فورد والله علىّ أعجبُ كلام على وجه الأرض ، فقلتُ : أو أتزوجكِ والإذنُ فيه إليكِ ، وأعطى اللهَ عهداً أنى لا أقربُكِ أبداً إلا عن إرادتِك ؟ قالت : إذا والله لا تكون لى فى هذا إرادةٌ أبداً ، ولا بعد الأبد إن كان بَعْده بَعْد ، فقلت : فقد رضيتُ بذلك ، فتزوّجتها ، وحملتها وأمّها معى إلى العراق ، وأقامت معى نحواً من ثلاثينَ سنة ما ضممتُ عليها حِواى قطُّ ، وكانت قد عَلِقت من أغانى المدينة أصواتا كثيرة ، فكانت ربما ترنّمت بها ، فأشتهيها ، فقلت : دَعينى من أغانيكِ هذه فإنها تبعثُنى على الدنوِّ منك . قال : فما سمعتها رَافِعةً صوتَها بغناء بعد ذلك ، حتى فارقت الدنيا ، وإن أمها عندى حتى الساعة ، فقلت : ما أدرى متى دار فى سمعى حديث امرأة أعجب من حديث هذه .

(١) مذقة : لبن مخلوط بالماء

صوت

أيها الناسُ إن رأيى يُرينى	وهو الرأىُ طوفَةً فى البلاد
بالعوالى وبالقنابل تردى[1]	بالبطاريق[2] مشيةَ العُوَّاد
وبجيش عرمرم ءربىٍّ	جحفل يرتجيه صوتَ المنادى
من تميم وخندف وإياد	والبهاليل حِميَرٍ ومُراد
فإذا سرتُ سارت الناسُ خلفى	ومَعى كالجبال فى كلِّ واد
يتغنَّى ثم تسقىَّ حميرَ قومى	كأسَ خمرٍ أولى النُّهى والعِماد

الشعر لحسان بن تُبَّع ، والغناء لأحمد النصيبى خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق وفيه ليونس لحن من كتابه .

(١) تردى : تسرع ، والمصدر الرديان والردى

(٢) البطاريق : جمع بطريق : قائد الروم ، تحت إمرته عشرة آلاف رجل

أخبار حسان بن تبع

أخبرنى بخبر حسان الذى من أجله قال هذا الشعر علىّ بن سليمان الأخفش عن السكرىّ، عن ابن حبيب، عن ابن الأعرابىّ. وعن أبى عبيدة وأبى عمرو، وابن الكلبى وغيرهم، قال:

كان حسانُ بن تُبّع أحولَ أعسر[1]، بعيدَ الهمة شديدَ البطش، فدخل إليه يوما وجوهُ قومه - وهم الأقيالُ مِنْ حِمير - فلما أخذوا مواضعهم ابتدأهم فأنشدهم:

هو طوافه فى البلاد

أيها الناسُ إن رأيى يُرينى ... وهوَ الرأى طوفةً فى البلاد

بالعوالى وبالقنابل تَرْدى ... بالبطاريقِ مِشْيةَ العُوّاد

٨ ٢٠

وذكر الأبيات التى مضت آنفا، ثم قال لهم: استعدّوا لذلك، فلم يراجعه أحد لهيبته، فلما كان بعد ثلاثة خرج، وَتبعه الناسُ، حتى وطئَ أرض العجم، وقال: لأبلغنّ من البلاد حيث لم يبلُغ أحدٌ من التبابعة، فجال بهم فى أرض خُراسان، ثم مضى إلى المغرب، حتى بلغ رُومية[2]، وخلف عليها ابنَ عم له، وأقبل إلى أرض العراق، حتى إذا صار على شاطئ الفُراتِ، قالت وجوهُ حِمير: مالنا نُفنى أعمارَنا مع هذا! نطوفُ فى الأرض كلِّها، ونفرّق بيننا وبين بلدنا وأولادِنا وعيالنا وأموالنا! فلا ندرى من نُخلِّفُ عليهم بعدَنا!

فكلّموا أخاه عَمْراً، وقالوا له: كلِّم أخاكَ فى الرجوع إلى بلده، ومُلْكه. قال: هو أعسرُ من ذلك وأنكر[3]، فقالوا: فاقتله، ونملِّكك علينا، فأنت أحقُّ

(١) أعسر: يعمل بيده اليسرى
(٢) روميه: مدينة بالمدائن بنيت وسميت باسم أحد الملوك
(٣) فى حج: «وأنكد» بدل «وأنكر»

بالملك من أخيك ، وأنت أعقل وأحسنُ نظراً لقومك ، فقال : أخاف إلا أن تستقيموا لي ، وأ كونُ قد قتلتُ أخي ، وخرج الملك عن يدى ، فواثقوه ، حتى ثلج[1] إلى قولهم ، وأجمع الرؤساء على قتل أخيه كلُّهم إلا ذا رُعَيْن ، فإنه خالفهم ، وقال : ليس هذا برأى ، يذهب الملك من حمير . فشجعه الباقون على قتل أخيه ، فقال ذو رعين :

٥ إن قتلته باد ملكك .

فلما رأى ذورعين ما أجمع عليه القوم أتاه بصحيفة مختومة ، فقال : يا عمرو : إنى مستودعك هذا الكتاب ، فضعه عندك فى مكان حَريز ، وكتب فيه :

ألا مَنْ يشترى سهرًا بنوم سعيد مَنْ يبيتُ قريرَ عَيْنِ

فإن تكُ حِميرٌ غَدَرَتْ وخانتْ فمعذرةُ الإلهِ لذى رُعَيْنِ

١٠ ثم إن عَمرًا أتى حسّانَ أخاه وهو نائم على فراشه ، فقتله ، واستولى على مُلكه . فلم يبارَكْ فيه ، وسلّط الله عليه السهرَ ، وامتنع منه النومُ ، فسأل الأطباء والكهّان والعرّاف ، فقال له كاهن منهم : إنه ما قتل أخاه رجل قطُّ إلا منع نومَه ، فقال عمرو : هؤلاء رؤساء حمير حملونى على قتله ليرجعوا إلى بلادهم ، ولم ينظروا إلىّ ولا لأخى .

قتله أخوه فامتنع منه النوم

١٥ فجعل يقتل من أشار عليه منهم بقتله ، فقتلهم رجلاً رجلاً ، حتى خلص إلى ذى رُعين وأيقنَ بالشرّ ، فقال له ذو رعين : ألم تعلم أنى أعلمتك ما فى قتله ، ونهيتك وبيّنت هذا ؟ قال : وفيم هو ؟ قال: فى الكتاب الذى استودعتُك .

فدعا بالكتاب ، فلم يجده ، فقال ذو رعين : ذهب دمى على أخذى بالحزم ، فصرت كمن أشار بالخطأ ، ثم سأل الملك أن يُنعم فى طلبه ، ففعل ، فأُتِىَ به فقرأه ،

٢٠ فإذا فيه البيتان ، فلما قرأهما قال : لقد أخذتَ بالحزم ، قال : إنى خشيت ما رأيتك صنعت بأصحابى .

(١) ثلج إلى قولهم : استراح .

ذو شناتر وذو نواس

قال: ولما تشتت أمرُ حِمير حين قُتل أشرافُها، واختلفت عليه، حتى وثب على عمرو لَخِيعةُ يَنُوف(١)، ولم يكن من أهل بيت المملكة، فقتله، واستولى على ملكه، وكان يقال له ذو شَناتر(٢) الحميرىّ، وكان فاسقا يعمل عمل قوم لوط، وكان يبعث إلى أولاد الملوك فيلوط بهم، وكانت حمير إذا لاطَ بالغلام لم تملِّكه، ولم ترتفع به، وكانت له مَشْرَبة(٣)، يكون فيها يشرف على حرسه، فإذا أُتِيَ بالغلام أخرج رأسه إليهم وفى فيه السواكُ، فيقطعون مشافر ناقة المنكوح وذنبها، فإذا خرجَ صِيح به: أرطْبٌ أم يباس(٤)؟ فمكث بذلك زمانا.

حتى نشأ زُرعةُ ذو نواس، وكانت له ذُؤابة، وبها سمى ذا نُواس — وهو الذى تهوَّد، وتسمى يوسف، وهو صاحب الأخدود بنَجران، وكانوا نصارى، فخدَّ لهم، وحرقَ الإنجيلَ، وهدَّم الكنائس، ومن أجله غزت الحبشةُ اليمن، لأنهم نَصارى، فلما غلبوا على اليمن اعترض البحرَ، واقتحمه على فرس فغَرِق —

فلما نشأ ذو نواس قيل له: كأنك وقد فُعِل بكَ كذا وكذا، فأخذ سِكِّينًا لطيفًا خفيفًا وسمَّه، وجعل له غلافًا، فلما دعا به جعله بين أخمصه ونعله، وأتاه على ناقة له يقال لها: سرابٌ، فأناخها، وصعِدَ إليه، فلما قام يجامعه كما كان يفعلُ انحنى زُرعة، فأخذ السكين فوَجأ بها بطنَه، فقتله، واحتزَّ رأسه، فجعل السواكَ فى فيه، وأطلعه من الكُوّة، فرفع الحرسُ رءوسهم، فرأوه،

(١) كذا فى اللسان والجمهرة وهو مأخوذ من اللخع، وهو استرخاء اللحم، وينوف من ناف الشىء إذا طال وارتفع

(٢) شناتر: أصابع بلغة حمير

(٣) مشربة: غرفة مرتفعة

(٤) يباس: يابس أو يبس

ونزل زُرعةُ ، فصاحوا : زُرعةُ يا ذا نواس، أرطب أم يباس ؟ فقال : ستعلم الأحراس ،
است ذى نُواس ، رطب أم يباس ؟ وجاء إلى ناقته ، فركبها ، فلما رأى الحرس
اطّلاع الرأس صعدوا إليه ، فإذا هو قد قتل. فأتوا زُرعة ، فقالوا : ماينبغى أن يملكنا
غيرُك بعد أن أرحتنا من هذا الفاسق ، واجتمعت حميرُ إليه ، ثم كان مِنْ قصته
ما ذكرناه آنفاً .

صوت

يا ربةَ البيتِ قومى غيرَ صاغرةٍ ضُمّى إليكِ رحالَ القومِ والقُرُبا[1]

فى ليلةٍ مِنْ جُمادى ذاتِ أنديةٍ لا يُبصرُ الكلبُ من ظلمائها الطُّنُبا[2]

لا ينبحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتى يَلُفَّ على خيشومه الذَّنَبا

الشعر لمُرَّة بنَ محكان السعدىّ ، والغناء لابن سُريج ، رَمَل بالوسطى ، وله أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى كلاهما عن عمرو ، وذكر حَبَش أن فيه لمعبد ثانى ثقيل بالوُسطى ، والله أعلم .

(١) القرب : جمع قراب ككتاب وهو غمد السيف.

(٢) الطنب : الحبل الطويل يشد به السرادق وجمعه أطناب .

أخبار مرة بن محكان

اسمه ونسبه

هو مُرَّة بن مَحْكان ولم يقع إلينا باقى نسبه ، أحدُ بنى سعد بن زيد مناة بن تميم . شاعر مُقِلّ إسلامىّ من شُعراء الدَّولة الأموية ، وكان فى عصر جرير والفرزدق ، فأخملا ذكره ، لنباهتهما فى الشعر .

٥ وكان مُرَّة شريفاً جوَاداً وهو أحد من حُبِس فى المناحَرةِ والإطعام . أخبرنى الحسن بن علىّ قال : حدثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز ، عن المدائنى ، قال :

ينحر مائة بعير

كان مُرَّة بن مَحكان سخيًّا ، وكان أبو البكراء يوائمهُ فى الشرف ، وهما جميعاً من بنى الرُّبيع ، فأنهب مُرَّةُ بنُ محكان مالَهُ الناسَ ، فحبسه عبيد الله[1] بن زياد ، فقال فى ذلك الأُبيرِد الرِّياحى :

١٠ حبستَ كريما أن يجودَ بماله ... سعى فى ثأى[2] من قومهِ متفاقِم

كأنّ دماء القوم إذ علقوا به ... على مكفهرٍّ من ثنايا المخارم[3]

فإن أنتَ عاقبتَ ابن محكان فى الندى ... فعاقِبْ هداك اللهُ أعظُمَ حاتِم

قال : فأطلقه عُبيد الله بن زياد ، فذبحَ أبو البكراء مائة شاة ، فنحَرَ مُرَّة بن محكان مائة بعير ، فقال بعضُ شعراء بنى تميم يمدح مُرَّة :

١٥ (١) كذا بالأغانى فى ترجمة الأبيرد الرياحى جزء ١٢ ص ١٤ ، ومثله فى الأمالى جزء ٣ ص ١٧٧ ، وفى النسخ « زياد » ، والصواب عبيد الله لقول الأبيرد :

فأبلغ عبيد الله عنى رسالة ... رسالة قاض بالحكومة عالم

(٢) كذا فى ف ، والأمالى جزء ٣ ص ١٧٧ . والثأى : الفساد .

(٣) المخارم : جمع مخرم ، وهو أنف الجبل

شرتى مائةً فأنهبها جواداً ... وأنت تناهب الحذَف القِهادَا

— الحذف : صغار الغنم . والقهاد : البيض —

أخبرنى أحمدُ بنُ محمد الأسدىّ أبو الحسن ، قال : حدثنا الرياشىّ قال : سئل أبو عبيدة عن معنى قول مُرّة بن مَحكان :

* ضُمِّى إليكِ رحالَ القوم والقُرُبا *

ما الفائدة فى هذا ؟ فقال : كان الضيفُ إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضمّوا إليهم رحلَه ، وبقى سِلاحُه معه لا يؤخذ خوفاً من البيات ، فقال مُرّة بن محكان يخاطب امرأته : ضمّى إليكِ رحال هؤلاء الضِّيفان وسلاحَهم ، فإنهم عندى فى عزّ وأمْن من الغارات والبيات ، فليسوا ممّن يحتاجُ أن يبيتَ لابسًا سلاحه .

أخبرنى محمد بن الحسن بن دريد ، قال : حدثنا أبو حاتم ، عن أبى عبيدة ، عن يونس ، قال : كان الحارث بن أبى ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه رجلٌ من بنى تميم — يقال له مُرّة بن مَحكان — رجلاً ، فلمّا أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مُرّة بنُ مَحكان يقول :

مصعب بن الزبير يقتله

أحارِ تثبّتْ فى القَضاء فإنه ... إذا ما إمامٌ جار فى الحكم أقصَدا[١]

وإنكَ موقوف على الحكم فاحتفظْ ... ومهما تصِبْه اليومَ تُدرِكْ به غداً

فإنىَ مِمَّا أُدرِكُ الأمرَ بالأنى[٤] ... وأقطع فى رأس الأَمير المهنَّدا

(١) أقصد : أصاب فى المقتل أو قتله مكانه .

(٢) فى هد ، هج : « نائيا » ، وقد تكون محرفة عن « آنيا » . والأنى : الحلم .

فلما وُلِّيَ مُصعبُ بنُ الزبير دعاه، فأنشده الأبياتَ، فقال: أما والله لأقطعنّ السيفَ في رأسك، قبل أن تقطعه في رأسي، وأمر به فحُبِس، ثم دسّ إليه من قتله.

أخبرني الحسين بن يحيى، عن حماد عن أبيه، عن ابن جامع، عن يونس قال:

جاء رجل من قريش إلى الغَريض فقال له: بأبي أنتَ وأمي إني جئتُك قاصداً من الطائف، أسألك عن صوت تُغنِّيني إياه، قال: وما هو؟ قال: لحنك في هذا الشعر:

تشرَّبَ لونَ الرازقيّ بياضُه أو الزعفرانَ خالط المسكَ رادعُه [1]

فقال: لا سبيل إلى ذلك، هذا الصوتُ قد نهتني الجنُّ عنه، ولكني أغنيك في شعر لمُرّة بنِ مَحكان، وقد طرقه ضيفٌ في ليلة شاتيةٍ، فأنزلهم، ونَحَر لهم ناقته، ثم غنّاه قوله:

يا رَبّةَ البيت، قومي غيرَ صاغرةٍ ضُمِّي إليكِ رحالَ القَوْمِ والقُرُبا

فأطربه، ثم قال له الغَريض: هذا لحن أخذتُه من عبيد بن سُريج، وسأغنيك لحناً عملته في شعر على وزن هذا الشعر ورويّه للحطيئة، ثم غنّاه:

ما نَقَموا من بَغيضٍ لا أبالهمُ في بائس جاء يحدو أينُقًا شُزُبَا [2]

جاءتْ به من بلاد الطُّور تحدُرُه حصّاءُ [3] لم تتركْ دون العصا شَذَبا [4]

(١) في س، ب: «رادغه»، تحريف، والرازقي: الخمر.

(٢) شزب: جمع شازب بمعنى المهزول، وفي اللسان: قال الأصمعي: وسمعت أعرابيا يقول ما قال الحطيئة أينقا شزبا وإنما قال أعنزا شسبا

(٣) سنة مجدبة: لا نبت فيها كالرأس الأحص الذي لاشعر فيه.

(٤) شذبا: قشرا وجمعه أشذاب.

فقام القرشىّ، فقبّل رأسه، فقال له: فدتك نفسى وأهلى، لو لم أقدُم مكة لعمرة ولا لبرّ وتقوى، ثم قدمتُ إليها لأراك وأسمع منك لكان ذلك قليلاً. ثم انصرف.

وحدثنى بعض مشايخ الكتّاب أنه دخل على أبى العُبَيس بن حمدون يومًا، فسأله أن يُقيم عنده فأقام، وأتاهم أبو العُبَيس بالطعام، فأكلوا، ثم قدِّم الشراب فشَرِبوا، وغنَّاهم أبو العُبَيس يومئذ هذا الصوتَ: ٥

ألا مُتَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمةً   غداة رأيتَ الحىَّ للبين غاديا
ولم تعتصرْ عيناك فَكهةُ مازحٍ   كأنك قد أبدعتَ إذ ظلت باكيا

فأحسن ماشاء، ثم ضرب ستارتَه وقال:

* ياربةَ البيتِ غَنى غير صاغرة *

فاندفعت عِرفانُ، فغنّت: ١٠

ياربةَ البيت قومى غيرَ صاغرة   ضُمِّى إليك رِحال القوم والقُرُبا

قال: فما سمعت غناء قط أحسن مما سمعتُه من غنائهما يومئذ.

نسبة هذا الصوت

صوت

ألا متَّ لا أعطيتَ صبراً وعزمة   غداة رأيتَ الحىَّ للبين غاديا ١٥
ولم تعتصر عيناك فَكهةُ مازح   كأنك قد أبدعت إذ ظلتَ باكيا
فصيّرتَ دمعا أن بكيتَ تَلَدُّدًا   به لفراقِ الألف كفوًا مُوازيا
لقد جلّ قدر الدمع عندك أنْ ترى   بكاءك للبين الشتِّ مُساويا

الشعر لأعرابىّ أنشدناه الحرمىّ بن أبى العلاء، عن الحسين بن محمد بن أبى طالب الدينارىّ عن إسحاق الموصلىّ الأعرابىّ .

قال الدينارىّ : وكان إسحاق كثيراً ما يُنشد الشعر للأعراب[1]، وهو قائله وأظن هذا الشعر له، والغناء لعمرو بن بانة ثقيل أول بالبنصر من كتابه .

(١) كذا فى ف وفى س ، ب : للأعرابى.

صوت

فإن تكُ من شيبانَ أمّى فإننى لأبيضُ من عِجلٍ عريضُ المَفارقِ

وكيف بذكرى أمّ هارون بعد ما خَبطنَ بأيديهنّ رملَ الشقائقِ

كأنّ نَقًا من عالجٍ[1] أُزِّرَتْ به إذا الزُّلُ ألهاهنّ شَدُّ المناطقِ

وإنا لتَغلِي فى الشِّتاء قُدرُونا ونصبر[2] تحت اللّامعات الخوافقِ

عروضه من الطويل الشعر للهُذَيل بن الفَرخ العِجْلىّ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل من أصوات قليلة الأشباه، عن يونس وإسحاق، وفيه لهشام بن المرِّيّة لحن من كتاب إبراهيم، وفيه لسنان الكاتب ثقيل أول عن الهشامى وحَبَش، وقال حبش خاصة: فيه للهذلى أيضاً ثانى ثقيل بالوسطى.

(١) عالج: رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بحتر من طيىء.

(٢) فى ف: «ونضرب»

أخبار العديل ونسبه

العُدَيل بن الفَرخ بن مَعن بن الأسود بن عمرو بن عَوف بن ربيعة بن جابر بن ثعلبة بن سُمَى[1] بن الحارث — وهو الذُّكابة[2] — بن ربيعة بن عِجْل بن لُجيم بن صَعْب ابن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعمىّ بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نِزار .

اسمه ونسبه

وقال أبو عبيدة : كان الذُّكابة اسمَ كلب للحارث بن ربيعة بن عِجل ، فلقِّب باسم كلبه ، وغَلَب عليه . قال : وكان عِجل من مُحمَّقي العرب ، قيل له : إن لكل فَرسٍ جوادٍ اسماً وإن فرسَك هذا سابق جواد، فَسَمِّه ، ففقأ إحدى عينيه وقال: قد سَمَّيته الأعور ، وفيه يقول الشاعر :

رمتْنى بَنو عجل بداء أبيهمُ ... وهل أحدٌ فى الناس أحمقُ من عجل؟

أليس أبوهمْ عارَ عينَ جواده ... فصارتْ به الأمثالُ تضرب بالجهل[3]

والعُدَيل شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة الأموية ، وكان له ثمانيةُ إخوة ، وأمهم جميعاً امرأة من بنى شيبان ، ومنهم من كان شاعراً فارساً : أسود وسوادة وشملة — وقيل سلمة — والحارث ، وكان يقال لأمهم درماء .

هو ودابغ

وكان للعُديل وإخوته ابنُ عم يسمى عَمْراً ، فتزوج بنت عم لهم بغير أمرهم ، فغضبوا ورصدوه ليضربوه ، وخرج عمرو ومعه عبد له يسمى دابغاً ، فوثب العُديلُ وإخوتُه ،

(١) كذا فى جمهرة أنساب العرب وفى س ، ب « شَىّ » وفى هج : « ابن سيار » .

(٢) كذا فى جمهرة الأنساب ، وفى هد ، س ، ب : « العباب »

(٣) فى هد ، هج : « فسارت به الأمثال فى الناس بالجهل »

فأخذوا سيوفَهم ، فقالت أمهم : إنى أعوذ بالله من شرّكم ، فقال لها ابنها الأسود : وأىّ شىء تخافينَ علينا ؟ فوالله لو حلنا بأسيافنا على هذا الجنو جنو قُراقر[1] لما قاموا لنا[2] فانطلقوا حتى لقوا عَمْرًا ، فلما رآهم ذُعِر منهم وناشدهم ، فأبوا ، فحمل عليه سَوادة فضرب عَمْرًا ضربة بالسيف ، وضربه عمرو فقطع رِجله فقال سوادة :

ألا من يشترى رِجلا برِجْل   تأبَّى للقيام فلا تقوم

وقال عمرو لدابغ : اضربْ وأنت حرّ ، فحمل دابغ ، فقتل منهم رجلا ، وحمل عمرو ، فقتل آخر ، وتداولاهم ، فقتلا منهم أربعةً ، وضُرب العُدَيل على رأسِه ، ثم تفرّقوا ، وهربَ دابغ ، حتى أتى الشأم ، فداوى ربضةُ بن النعمان الشيبانىّ للعُديل ضربتَه ، ومكث مدة .

ثم خرج العُدَيل بعد ذلك حاجًّا ، فقيل له إن دابغًا قد جاء حاجًّا ، وهو يرتحل ، فيأخذُ طريقَ الشأم ، وقد اكترى . فجعل العُديلُ عليه الرصَدَ ، حتى إذا خرج دابغ ركب العديلُ راحلتَه وهو متلثّم ، وانطلق يتبعه ، حتى لقيه خلف الركاب يحدو بشعر العُدَيل ويقول :

يادارَ سلمى أقفرتْ من ذى قارْ   وهل بإقفارِ الديارِ من عارْ

وقد كسينَ عرَقًا مثل القارْ   يخرجْن من تحتِ خلالِ الأوبار[3]

فلحقه العُدَيل ، فجبس عليه بعيرَهُ ، وهو لا يعرفه ، ويسيرُ رُويداً ، ودابغ يمشى رُويداً ، وتقدمت إبلُه فذهبت ، وإنما يريدُ أن يباعده عنها بوادى حُنَين ، ثم قال له العُدَيل : والله لقد استرخى حَقَبُ[4] رَحلى ، أنزِلْ فأغيّر الرحْلَ ، وتعينُنى . فنزل فغيّر

(١) قراقر : موضع حول ذى قار

(٢) ف : « لما قام لنا »

(٣) فى هج : « ظلال » بدل « خلال » ، والشعر من السريع ، ساكن الروى

(٤) الحقب كسبب : الحزام يلى حقو البعير .

الرَّحْلَ ،وجعل دابغٌ يُعينه ، حتى إذا شدَّ الرَّحْلَ أخرج العُديلُ السيف ، فضربه حتى برَدَ ، ثم ركب راحلته فنجا ، وأنشأ يقول :

ألم ترنى جلَّلتُ بالسيف دَابغا وإن كان ثأرًا لم يُصِبه غليلى

بوادى حنينٍ ليلةَ البدر رعتُه بأبيض من ماء الحديد صَقِيلِ

وقلت لهم: هذا الطريقُ أمامكم وَلم أكُ(١) إذ صاروا لهم بدَليل

وقال أبو اليقظان : كان العُديلُ هجا جرثومة العَنزىّ الجِلاّنىّ فقال(٢) فيه :

جرثومة العنزى يهجو العديل

أهاجى بنى جِلاَّن إذ لم يكنْ لها حديثٌ ولا فى الأولين قديم

فأجابه جرثومة فقال :

وإنّ امرأً يهجو الكرام ولم ينَل من الثأر إلا دابغًا للئيمُ

أتطلُب فى جِلاَّن وترًا ترومُه وفاتك بالأوتار شَرُّ غريمِ(٣)

العديل يهرب من الحجاج

قالوا : واستعدى مولًى دابغ على العُديل الحجاجَ بن يوسف ، وطالبه بالقَوَدِ فيه ، فهرب العُديلُ من الحجاج إلى بلد الروم ، فلما صار إلى بلد الروم لجأ إلى قيصر ، فأمَّنه ، وقال فى الحجاج :

أخوَّفُ بالحجاج حتَّى كأنَّما يُحرِّكُ عظم فى الفؤاد مَهِيضُ

ودون يد الحجاج من أن تنالَنى بِساط(٤) لأيدى الناعِجات عَريض(٥)

مَهامِه أشباه كأن سَرابَها مُلاَءٌ بأيدى الراحِضات رَحِيض(٦)

(١) فى س ، ب : « ولم آل » ، وفى بعض النسخ « ساروا » بدل « صاروا » .
(٢) فى س ، م : « الجلان » وهو تحريف
(٣) فى البيت أقواء .
(٤) بساط : أرض منبسطة مستوية
(٥) الناعجات : السريعات .
(٦) الراحضات : الغاسلات ، والرحيض : المغسول وفى هج : الغاسلات .

١٣ فبلغ شعره الحجاج ، فكتب إلى قيصر : لتبعثنّ به أو لأغزينّك جيشاً يكون أوله
٢٠ عندك وآخره عندى ، فبعث به قيصر إلى الحجاج ، فقال له الحجّاج لما أُدخل عليه :
أأنت القائل :

ودون يد الحجاج من أن تنالَنى ... فكيف رأيتَ اللهَ أمكَن منك ؟ قال : بل أنا
القائل أيها الأميرُ :

فلو كنتُ فى سلمى أجًا وشعابِها ... لكان لحجّاجٍ علىّ دليلُ
خليلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه ... لكلّ إمامٍ مُصطَفًى وخليلُ
بَنَى قُبّةَ الإسلام حتى كأنّما ... هَدَى الناسَ من بعد الضلالِ رسولُ

فخلّى سبيله ، وتحمل دِيَةَ دابِغ فى ماله .

أخبرنى عمى وحبيب بن نصر المهلبىّ ، قالا : حدثنا عبد الله بن أبى سعد ، قال :
حدثنى محمد بن منصور بن عَطية الغنوىّ قال : أخبرنى جعفر بن عبد الله بن جعفر عن
أبى عثمان البقطرىّ[1] قال :

الحجاج يعفو عن العديل

خرج العُديلُ بن الفَرخ يريد الحجاج ، فلما صار ببابه حجبه الحاجبُ ، فوثب
عليه العُديلُ ، وقال : إنه لن يدخل على الأمير بعدَ رجالاتِ قريش أكبرُ منى ولا أولى
بهذا الباب ، فنازعه الحاجبُ الكلامَ ، فأحفظه ، وانصرف العديل عن باب الحجاج إلى
يزيدَ بن المهلب ، فلما دخل إليه أنشأ يقول :

لئن أرتج الحجاجُ بالبخل بابَه ... فباب الفتى الأزدىّ[2] بالعُرف يُفتحُ
فتًى لا يبالى الدهرَ ماقلّ مالُه ... إذا جعلتْ أيدى المكارم تَسنحُ
يداه يدٌ بالعرف تُنهبُ ماحوتْ ... وأخرى على الأعداء تَسطو وتجرحُ

(١) نسبة إلى بقطر : موضع بصعيد مصر على شاطىء مدينة قفط شرق النيل .
(٢) يقصد بالفتى الأزدى يزيد بن المهلب .

اذا ما أتاه المرملون[1] تيقّنوا بأن الفتى فيهم سويكبى ويمرح
أقام على الخافين حرّاسَ بابه يُنادونهم والحرّ بالحرّ يفرحُ
هلموا إلى سَيْبِ الأمير وعُرفِه فإنّ عطاياه على الناس تُفْتَحُ
وليس كحجاجٍ من تمودَ بكفِّه من الجودِ والمعروف حزم مطوّح[2]

٥ فقال له يزيدُ: عرّضتَ بنا وخاطرتَ بدمك، والله لا يصلُ إليك وأنت في حيّزي، فأمر له بخمسين ألف درهم، وحمله[3] على أفراس، وقال له: الحق بما شئت نجد، واحذر أن تملكك حبائلُ الحجاج أو تحتجنك محاجنُه[4]، وابعث إليّ في كل عام، فلك عليّ مثلُ هذا، فارتحل. وبلغ الحجاجَ خبرُه، فأحفظه ذلك على يزيد، وطلب العُديلَ، ففاته، وقال لما نجا:

١٠ ودونَ يد الحجاج من أن تنالَني بساطٌ لأيدي الناعجاتِ عريضُ

قال: ثم ظفر به الحجاج بعد ذلك، فقال: إيه، أنشدني قولَكَ:

* ودون يد الحجاج من أن تنالني *

فقال: لم أقل هذا أيها الأمير، ولكني قلت:

إذا ذُكر الحجاجُ أضمرتُ خيفةً لها بين أحناء الضلوع نَقيضُ

١٥ فتبسم الحجاجُ، وقال: أولى لك! وعفا عنه، وفرضَ له.

وقال أبو عمرو الشيباني: لما لجَّ الحجاج في طلب العُدَيل لقدنت به الأرض، ونبأ به كلُّ مكان هربَ إليه، فأتى بكرَ بنَ وائل، وهم يومئذٍ يأدُون جميعُ منهم بنو شيبان

سادات بكر بن معو- له عند الحجاج

(١) المرملون: من نفد زادهم
(٢) في س، ب «مطرح»
٢٠ (٣) في س، ب «وأمر له»
(٤) محاجنه: عصيه المعوجة التي يحتجن الناس بها كالخطاطيف

وبنو عجل وبنو يشكر، فشكا إليهم أمره، وقال لهم: أنا مقتول، أفتسلموننى هكذا وأنتم أعزُّ العرب؟ قالوا: لا والله، ولكنّ الحجّاجَ لا يُراغَمُ، ونحن نستوهبك منه، فإن أجابنا فقد كُفِيتَ، وإن حادَّنا فى أمرك منعناكَ، وسألنا أمير المؤمنين أن يَهَبكَ لنا. فأقام فيهم، واجتمعت وجوه بكر بن وائل إلى الحجّاج، فقالوا له: أيها الأميرُ، إنا قد جَنَيْنَا جميعاً عليكَ جنايةً لا يُغفرُ مثلُها، وها نحن قد استسلمنا، وألقينا بأيدينا إليك، فإمّا وهبتَ فأهلُ ذلك أنت، وإمّا عاقبتَ فكنتَ المسلّطَ العادل. فتبسّم، وقال: قد عفوْتُ عن كل جرم إلا جُرْمَ الفاسق العُديل، فقاموا على أرجلهم، فقالوا: مثلُكَ أيها الأميرُ لا يَستثنى على أهل طاعته وأوليائه فى شىء، فإن رأيتَ ألّا تُكدِّرَ منّتك باستثناء، وأن تهبَ لنا العُديل فى أول من تهبَ فافعل. قال: قد فعلت، فهاتوه قبّحه الله، فأتوه به، فلما مَثَل بين يديه أنشأ يقولُ:

فلو كنتُ فى سلمى أجاً وشعابِها ... لكان لحجّاجٍ علىَّ دليلُ
بنى قُبّة الإسلامِ حتى كأنّما ... هَدَى الناسَ من بعد الضلال رسولُ
إذا جار حُكْمُ النّاس ألجأ حكمَه ... إلى الله قاضٍ بالكتاب عقولُ
خليلُ أمير المؤمنين وسيفُه ... لكل إمامٍ صاحبٌ وخليلُ
به نصرَ اللهُ الخليفةَ منهمُ ... وثبّتَ مُلْكاً كادَ عنه يَزولُ

— ويروى: به نَصرَ اللهُ الإمامَ عليهم —

فأنت كسيفِ اللهِ فى الأرض خالدٌ ... تصولُ بعونِ الله حين تصولُ
وجازيْتَ أصحابَ البلاء بلاءهم ... فما منهمُ عمّا تُحِبُّ نُكولُ
وصُلْتَ بمرّان[1] العراقِ فأصبحتْ ... مناكبُها للوطء وهى ذَلولُ

(١) مران العراق: قرية كثيرة العيون والآبار والنخيل والمزارع لبنى هلال وهى على طريق البصرة

— (1) أقام الواحد مقام الجمع في قوله : ذلول (1) —

أذقت الحمام ابني عُبَادٍ فأصبحوا   بمنزل موهون الجناح ثكولِ[2]

ومن قطريّ نلت ذاك وحوله   كتائبُ من رجّالة وخيولُ

إذا ما أتت باب ابن يوسف ناقتي   أتت خيرَ منزول به ونزيلِ[3]

وما خفتُ شيئاً غيرَ ربّي وحدَه   إذا ما انتحيتُ النفسَ كيف أقولُ؟

ترى الثقلين الجنّ والأنسَ أصبحا   على طاعة الحجّاج حينَ يقولُ[4]

فقال له الحجّاج : أولى لك فقد نجوتَ ! وفرض له ، وأعطاه عطاءه ، فقال يمدح سائر قبائلَ وائل ، ويذكر دفعَها عنه ، ويفتخرُ بها :

صَرمَ الغواني واستراح عواذلي   وصحوتُ بعد صبابة وتمايُلِ

وذكرت يوم لوى عتيقٍ نسوةً   يخطِرن بين أكلّةٍ[5] ومراحلِ[6]

أمر النعيمُ بهنّ في أظلاله   حتى لبسنَ زمانَ عيشٍ غافلِ

صوت

يأخذنْ زينتهنّ أحسنَ ما ترى   وإذا عطِلن فهنّ غيرُ عواطلِ

وإذا خبأن خدودَهنّ أرينَنا   حدَقَ المها وأخذْنَ سهمَ القاتلِ

(1–1) تكملة من هد ، هج .

(2) في البيت إقواء.

(3) في البيت إقواء أيضا .

(4) في س ، ب : «يصول» .

(5) أكلة : جمع إكليل بعد حذف همزته ، كدليل وأدلة .

(6) مراحل : ثياب فيها صور الرحال .

باورة... لا ... يترن ... إلا ... وعامن أين مقاتلى
... أردية الشباب لأهلها ويجرّ باطلهن حبلَ الباطلِ

الغناء فى هذه الأبيات الأربعة لابن سُريج ثانى ثقيل بالوسطى من رواية يحيى المكى، وذكر الهشامى أنه من منحول يحيى المكى إلى ابن سُريج .

بيضُ الأنوق[1] كأنهن[2]، ومن يُرِدْ بيضَ الأنوق فوكرُها بمعاقلِ
زعم الغوانى أن جهلك قد صحا وسوادَ رأسك فيهِ شيبٌ شاملٌ[3]
ورآك أهلك منهمُ ورأيتهم ولقد تكونُ مع الشباب الخاذلِ
وإذا تطاولت الجبالُ رأيتَنا بفروع أرعَنَ فوقها متطاولِ
وإذا سألت ابنَىْ نزارٍ بيَّنا مجدى ومنزلتى من ابنَىْ وائلِ
حدبٌ بنو بكر علىَّ وفيهمُ كلُّ المكارم والعديدِ الكاملِ
خطروا ورائى بالقنا وتجمعت منهم قبائلُ أردِفوا[4] بقبائلِ
إن الفوارسَ من لُجَيمٍ[5] لم تزل فيهم مهابةُ كلِّ أبيضَ ناعلِ
متعمِّمٍ بالتاج يسجدُ حولَه مِنَ آل هَوذةَ[6] للمكارم حاملِ
أو رهطِ[7] حنظلة الذين رماحُهُمْ سُمُّ الفوارس حتفُ موتٍ عاجلِ

(١) الأنوق : العقاب ، ويقال : أعز من بيض الأنوق لأنها تحرزه فى أوكارها فى القلل الصعبة فلا يكاد أحد يظفر به .

(٢) فى س ، ب : « يكسرهن » وهو تحريف .

(٣) فى هج « ومشا برأسك » بدل « وسواد رأسك »

(٤) فى ت « أردفت » .

(٥) لجيم بن صعب بن وائل .

(٦) هو هوذة بن على وفد على كسرى وقاتل المنذر بن ماء السماء يوم عين أباغ .

(٧) من بنى عجل بن لجيم

قوم إذا شَهَرُوا السيوف رأوْا لها حقًّا ولم يك سَلُّها للباطلِ
ولئن فخرْتُ بهم لمثلِ قديمهم بسطَ المفاخر بالبيانِ القائلِ
أولاد ثعلبة[1] الذين لمثلهم حِلْم الحليم وردُّ جهلِ الجاهلِ
ولَمَجْدُ يشكرَ[2] سَوْرةٌ عاديَّةٌ وأب إذا ذكروه ليس بخاملِ
وَبنو القدارِ اذا عددْتَ مثيلهم وضَحَ القديمُ لهم بكل محافلِ
وإذا فخرْتَ بتغلبَ ابنةِ وائل فاذكر مكارمَ من ندًى وشمائل[3]
وابنا أبيك أولئك أبناء عزٌّ بيِّنٌ عاديَّة[4] ويزيد فوقَ الكاهلِ
تسطو على النعمانِ وابنِ محرِّق[5] وابنى قَطامِ بعِزَّة وتناوُلِ
بالمقربات[6] يبِتْنَ حول رحالهم كالقدِّ بعد أجلّة وصواهل
أولادأعوجَ[7] والصريح[8] كأنَّها عقبانُ يوم دُجُنَّةٍ ومخايل[9]
يلقِطن بعد أزومِهن[10] على الشَّبا[11] علَقَ[12] الشكيمُ بألسُنٍ[13] وجحافل

(١) هو ثعلبة بن حنظلة .
(٢) يشكر بن بكر بن وائل .
(٣) فى س ، ب : «أوائل» .
(٤) فى هج : « أحلام ثوت » بدل « عز بين » .
(٥) هو عمرو بن هند .
(٦) المقربات : جمع مقربة ، وهى الفرس تدنى وتكرم .
(٧) فحل من الخيل لبنى هلال تنسب إليه الخيل الأعوجيات .
(٨) اسم فرس كريم لعبد يغوث بن حرب وآخر لبنى نهشل وثالث للخم
(٩) كذا فى ن وهى جمع المخيلة : السحابة التى تحسبها ماطرة وفى بعض النسخ : تخايل ، وفى س ، ب : تحايل
(١٠) أزومهنّ : عضهن .
(١١) الشبا : اسم جمع شباة وهى حد كل شىء .
(١٢) علق : كل مايعلق بغيره
(١٣) الشكيم : الحديدة المعترضة فى فم الفرس من اللجام

قوم هم قتلوا ابن هند عَنْوة • وقنا الرماح تذودُ وِرْدَ الناهل

منهم أبو حَنَشٍ(١) وكان بكفّه رِيُّ السِّنان وريُّ صدرِ العاملِ

ومُهاوِل الشعراء إن فَخَروا به ونَدَى كُلَيْبٍ عنه فضلِ النائلِ

حَجَبَ المنيَّةَ دون واحد أُمِّه من أن تبيتَ وصدرُها ببلابلِ

كفَى مجالسة الشَّبابِ(٢) فلم يكنْ يُشتَمْ(٣) مجلسُه وحقِّ النازلِ

حتى أجارَ على الملوك فلم يدعْ حَرِباً(٤) ولا صَعِراً لرأس مائلِ

فى كل حىٍّ للهُذَيل ورهطِه نَعَم وأخذُ كريمةٍ بتناولِ

بِيضٌ كرائمُ ردَّهن لعَنوة أسلُ القَنا وأُخذنَ غيرَ أراملِ

أبناؤهنَّ من الهُذَيل ورهطِه مثلُ الملوكِ وعشنَ غيرَ عواملِ

وقال أبو عمرو أيضاً : قال : العُدَيل لرجل من موالى الحجّاج كان وجّهه فى جيش إلى بنى عِجْل يطلب العُدَيل حين هرَبَ منه ، فلم يقدر عليه ، فاستاق إبلَه ، وأحرق بيته ، وسلب امرأته وبناته وأخذ حُلِيّهن ، فدخل العُديلُ يوماً على الحجّاج ومولاه هذا بين يديْه واقف ، فتعلّق بثوبه وأقبل عليه وأنشأ يقول :

صوت

سلبتَ بناتى حَلْيَهنّ فلم تدعْ سِواراً ولا طوقاً على النحر مُذهبا

— هكذا فى الشعر : سلبتَ بناتى ، والغناء فيه : سلبتَ الجوارى حَلْيَهن —

وما عزَّ فى الآذان حتى كأنما تُعَطِّل بالبيض الأوانسَ رَبْرَبا

(١) هو عوف بن عمرو بن عوف بن مالك ، من الأوس

(٢) فى س ، ب « وأبى مجالسة الشباب »

(٣) فى ب : يتشاتم

(٤) فى س ، ب : « حدبا »

عواطلُ إلا أن ترى بخدودها قسامةَ[1] عتقٍ أو بنانا مُخضَّبا
فككت البُرينَ[2] عن خِدال[3] كأنها برادىُّ[4] غيلٍ[5] ماؤه قد تنضَّبا[6]
من الدُّر والياقوتِ عن كل حُرَّةٍ ترى بينها بين الجُمان مُثقَّبا
دَعَونَ أميرَ المؤمنين فلم يُجِب دعاء ولم يُسمِعن أمًّا ولا أبا

غنّى فى الأول والرابع من هذه الأبيات أحمدُ النصيبى الهمَذانىّ ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفيهما ثقيل أول بالسّبابة والوُسطى ، نسبه ابن المكى إلى عبد الرحيم الدّفّاف ، ونسبه الهشامىّ إلى عبد الله بن العباس .

وقال أبو عمرو الشيبانى : أصاب رجل من رهط العُديل من بنى العكابة أنف رجل من بنى عجل يقال له جَبّار ، فقال العُديلُ فى ذلك — وكان عَدُوًّا له :

أصاب رجل من رهط العديل أنف رجل من عجل فقال العديل فى ذلك شعرا

ألم تر جبّاراً ومارنَ أنفه له نُثَرٌ يهوين أن يتنخّما[7]
ونحنُ جَدَعْنا أنفَه فكأنما يَرى الناسَ أعداء إذا هو أظلما
كُلُوا أنفَ جَبّار بِكاراً[8] فإنما تركناه عن فَرطٍ من الشرِّ أجدعا
معاقدُ من أيديهمُ وأنوفهمْ بِكارا ونِيبًا[9] تَركبُ الحَزْنَ ظُلَّعا[10]

---

(1) قسامة : حسن .
(2) البرين : جمع برة وهى هنا الخلخال .
(3) خدال السوق الغليظة المستديرة جمع خدلة .
(4) برادى : جمع بردى بفتح الباء ، وهو نبات مائى يكتب على أوراقه إذا جفت .
(5) غيل : أجمة وكل واد فيه ماء .
(6) تنضب : غار وذهب ماؤه ، ولعله مطاوع نضب ، ولم نجده فى المعاجم التى بأيدينا .
(7) يتنخم : يلقى أو يرمى نخاعته .
(8) بكارا : مسرعين مبادرين .
(9) فى س ، ب : « وشيبا » .
(10) ظلعا : غامزة فى مشيتها من الإعياء ، جمع ظالع .

قال : وكان رَجلٌ[1] من رَهط العُدَيل أيضاً ضربَ يد وكيع أحدِ بنى الطاغية ، وهما يشربان ، فقطعها وافترقا ، ثم هرب العُديلُ وأبوه إلى بنى قيس بن سعد لما قال الشعر الأول يفخَر بقطع أنف جبَّار ويد وكيع ؛ لأنهم حلفوا أن يقطعوا أنفَه ويدَه دَون من فَعلَ ذلك بهم ، فلجأ إلى عُفَير بن جُبَير بن هلال بن مُرة بن عبد الله بن معاوية بن عبد بن سعد بن جُشَم بن قيس بن عجل ، فقال العُديلُ فى ذلك :

تركتُ وكيعاً بعد ما شاب رأسُه أشلَّ اليمين مستقيمَ الأخادِع[2]

فتَشرَب[3] بها وُرْقَ[4] الإفال[5] وكلْبها طعامَ الذليل وانجحرِ[6] فى المخادِع

فقالت بنو قَيس بن سعد للفرخ أبى العديل : يافرخُ ؛ أنهم قَومك ، وأعطِهم حقَّهم ، فركب إليهم الفرخُ ، ومعه حسَّانُ بن وقَّاف ودينار (رجلان من بنى الحارث) فأسرتْه بنو الطاغية ، وانتزعوه من الرجلين ، وتوجَّهوا به نحو البصرة ، فرجع حسان ودينار إلى قومهما مستنفرين لهم ، فركب النفير فى طلب بنى الطاغية ، فأدركوا منهم رجلا فأسروه [7] بدل الفرخ . ثم إن عُفَيْرًا لَحِقَ بهم [7] ، فاشترى منهم الجراحةَ بستين بعيرًا ، وأخذ الفرخ منهم فأطلقه ، فقال العُديلُ فى ذلك:

مازال فى قيسِ بن سعد لجارهمْ على عهدِ ذى القرنين معْطٍ ومانعُ

هم استنقذوا حسَّانَ قسراً وأنتمُ لِئام المقام والرماحُ شوارعُ

غدرتم بدينارٍ وحسَّان غَدرةً وبالفَرخ لما جاءكم وهو طائعُ

(١) فى س ، ب: كان رهط العديل .

(٢) الأخادع : جمع أخدع وهو شعبة من الوريد .

(٣) كذا فى ف ومعناه أطعم بها ، وفى س ، ب : « تشرب » .

(٤) ورق : جمع أورق وهو ماقى لونه بياض إلى سواد .

(٥) الإفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل وقد يجمع على أفائل على غير قياس .

(٦) فى س ، ب « انجحر » .

(٧-٧) تكملة عن ف .

فلولا بنو قيسِ بن سعد لأصبحتْ على شداداً(1) قَبْضُهُنَّ الأصابعُ
أَلَا تسألون ابن الأهتمِّ عنهُمُ جُمامةَ والجيرانُ وافٍ وظالع(2)

أخبرنى جعفر بن قدامة قال : حدثنا الرّياشى عن الأصمعىّ قال : قال أبو النجم للعُدَيل بن الفرخ : أرأيت قولك :

فإن تكُ من شيبانَ أُمّى فإنّنى لَأبيضُ عجلىٌّ عريضُ المَفارقِ ؟

أكنتَ شاكًّا فى نسبك حين قلتَ هذا ؟ فقال له العُديل : أفشككت فى نفسك أو شعرك حين قلت :

أنا أبو النجم وشعرى شعرى لله دَرِّى ما يُجِنُّ صدرى

فأمسك أبو النّجم واستحيَا .

العديل ومالك بن مسمع

أخبرنى أبو دُلَف هاشم بن محمد الُخزاعىّ قال : حدثنا الرياشىّ عن التّيمىّ قال : حَمَل زيادٌ إلى معاويةَ مالًا من البصرة ، ففزعت تميم والأزد وربيعة إلى مالك بن مِسْمَع ، وكانت ربيعةُ مجتمعةً عليه كاجتماعها على كُلَيب فى حياته ، واستغاثوا به وقالوا : يُحمَلُ المال ، ونبقى بلا عطاء . فركب مالك فى ربيعة ، واجتمع الناسُ إليه فلحق بالمال فرده ، وضرب فُسطاطًا بالمِربد ، وأنفق المالَ فى الناس حتى وفّاهم عطاءهم ، ثم قال : إن شئتم الآن أن تحملوا فاحملوا ، فما راجعه زياد فى ذلك بحرف ، فلما ولىَ حمزةُ بن عبد الله بن الزبير البصرة جمع مالا ؛ ليحملَه إلى أبيه ، فاجتمع الناس إلى مالك ، واستغاثوا به ، ففعل مثل فعلِه بزياد ، فقال العُديلُ بنُ الفَرخ فى ذلك :

إذا ما خَشِينا من أميرٍ ظُلامة دعونا أبا غسّانَ يوما فعسكرا
ترى الناسَ أفواجًا إلى باب دارِه إذا شاء جاءوا دارِعِينَ وحُسَّرا(3)

(1) فى ف : « شديدا »
(2) ظالع : غامز فى مشيه
(3) حسر : جمع حاسر : من لا سلاح معه

وأول هذه القصيدة :

أمِنْ منزلٍ من أم سكن عشيَّةً ظللتُ به[1] أبكى حزينا مُفَكِّرا
مغى كلَّ مُسترخى الإزار كأنه إذا ما مشى من جنِّ غِيل وعَبْقَرا[2]
يُزَجِّى[3] المَطَايا لايبالى كليْهما[4] مُقَامِرة[5] خُوصا[6] من الأَين[7] ضُمَّرا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلبى قال : حدثنا عبد الله بن أبى سعد قال : حدثنى على بن الحسن الشيبانى قال : حدثنى عبادة بن عِصْمة بن معبد القيسى قال : حدثنى جارى أبو أمى فِراس بن خِندِف ، عن أبيه ، عن جده على بن شَفيع قال : ٥

لقيتُ الفرزدقَ منصرفَه عن بكر بن وائل ؛ فقلت له : يا أبافِراس : مَنْ شاعرُ بكر ابن وائل مِمّن خالفْتَه خالفْتَه ؟ قال : أميم بنى عِجل — يعنى العديلَ بنَ الفرخ — على أنه ضائع الشعر ، مسروقُ الأبيات.

٩٨ ١٩

العديل شاعر بكر ابن وائل

١٠

أخبرنى جعفر بن قُدامة قال : حدثنى محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعىّ عن إسحاق عن الهيثم بن عدىّ ، عن حماد الراوية قال :

لما قدم الحجَّاجُ العراقَ قال العُديل بنُ الفَرخ :

دعوا الجُبنَ يا أهل العراق فإنّما يُهان ويُسبَى كلُّ من لا يقاتلُ
لقد جرَّد الحجاجُ لِلحقِّ سيفَه ألا فاستقيموا لا يَميلنَّ مائلُ

مدح أو تحريض

١٥

(١) فى س ، ب : « بها »
(٢) غيل وعبقر : مكانان تزعم العرب أنهما من مساكن الجن .
(٣) فى س ، ب : « مزجى »
(٤) فى س ، ب : « كلاهما »
(٥) فى س ، ب : « ملفصة » ، ومعناها مسرعة .
(٦) خوص : جمع خوصاء أى غائرة العين
(٧) من الأين : من التعب

٢٠

وخافوه حتى القومُ بينَ ضُلوعهم كَنَزْوِ القطا ضُمَّتْ عليه الحبائلُ
وأصبح كالبازى يقلِّبُ طرفَه على مرقبٍ والطيرُ منه دواخلُ[1]

قال : فقال الحجاج — وقد بلغته — لأصحابه : ما تقولون ؟ قالوا : نقول : إنه مدحك ، فقال : كلاَّ ولكنه حرَّض علىَّ أهلَ العراق ، وأمر بطلبه فهرَب وقال :

٥ أُخوَّفُ بالحجاج حتى كأنما يُحرِّكُ عَظْم فى الفؤاد مَهِيضُ
ودون يَدَى الحجَّاج من أن تنالَنى بِساطٌ لأيدى الناعجات عَرِيضُ
مهامهُ أشباه كأنَّ سَرابَها مُلاَءٌ بأيدى الغاسلات رَحِيضُ

فجدَّ الحجاجُ فى طلبه حتى ضاقتْ عليه الأرضُ ، فأتى واسطًا ، وتنكّر ، وأخذ رُقعةً بيده ، ودخل إلى الحجَّاج فى أصحاب المظالم ، فلما وقف بين يديه أنشأ يقولُ :

١٠ هأنذا ضاقت بىَ الأرض كلُّها إليكَ وقد جوَّلتُ كلَّ مكان
فلو كنتُ فى ثَهلان[2] أوشُعبَتَىْ أجًا لخِلتُكَ إلا أن تُصَدَّ تَرانى

فقال له الحجاج : العديلُ أنتَ ؟ قال: نعم ، أيها الأمير، فَلَوى قضيبَ خيزُران كان فى يده فى عنقه ، وجعلَ يقول : إيه

* بساط لأيدى الناعجات عريض *

١٥ فقال : لا بِسَاط إلاَّ عفوُك ، قال : اذهب حيث شئت :

أخبرنى محمدُ بنُ خَلَف بن المرْزُبان قال : حدثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال : حدثنا العُمَرِىّ ، عن الهيثم بن عدِىّ ، عن ابن عياش قال :

حوشب بن يزيد وعكرمة بن ربعى يتنازعان الشرف

كان حوشبُ[3] بن يَزيد بن الحُويرث بن رُوَيْم الشيبانىّ وعِكرِمَة بن رِبعىّ البكرىّ ، يتنازعان الشرف ، ويتباريان فى إطعام الطعام ونحر الجُزُر فى عسكر مصعب ،

٢٠ (١) دواخل ، معناها فارة ومستترة وفى س ، ب : « دواحل » .
(٢) ثهلان : جبل لنمير
(٣) فى جمهرة الأنساب : « هوحوشب بن ريط بن الحارث بن يزيد بن رويم » .

وكاد حوشب يغلب عكرمةَ لسعة يده . قال : وقدِمَ عبدُ العزيز بنُ يسارمولى بُجَير — قال : وهو زوج أم شُعْبة الفقيه — بسفائنِ دَقيق ، فأتاه عِكرِمة فقال له : اللهَ اللهَ فىَّ ، قد كاد حوشب أن يستعليَنى ، ويغلبَنى بماله ، فبِعْنى هذا الدقيقَ بتأخير ، ولك فيه مثلُ ثمنه رِبحًا ، فقال : خذه ، وأعطاه إياه ، فدفعه إلى قومه ، وفرّقه بينهم ، وأمرهم بعَجنه كلِّه ، فعجنوه كلَّه ، ثم جاء بالعجين كلِّه ، فجمعه فى هُوَّة عظيمة ، وأمر به فغُطِّىَ بالحشيش ، وجاء برَمَكَةٍ[1] ، فقرّبوها إلى فرس حوشب ، حتى طلبها ، وأفلتت ، ثم ركضوها بين يديه وهو يتبعُها ، حتى ألقوها فى ذلك العجينِ وتبعها الفرس ، حتى تورّطا فى العجين وبقيا فيه جميعًا ، وَخرج قومُ عِكرِمة يصيحون فى العسكر : يامعشر المسلمين ، أدركوا فرسَ حوشب ، فقد غرق فى خميرة عِكرِمة ، فخرج الناس تعجُّبًا من ذلك أن تكون خميرةٌ يغرَقُ فيها فرس ، فلم يبق فى العسكر أحدٌ إلا ركب ينظر ، وَجاءوا إلى الفرس — وَهو غريق فى العجين مايبين منه إلا رأسُه وَعنقُه — فما أُخرج إلا بالعُمُد وَالحبال ، وَغلب عليه عِكرِمة ، وَافتضح حوشب ، فقال الهذيل بن الفرخ يمدحهما ، ويفخر بهما :

وعكرِمةُ الفيّاضُ فينا وَحوشبٌ ... هما فتيا الناسِ اللّذا لم يُغمَّرا

هما فتيا الناسِ اللذا لم ينَلْهما ... رئيسٌ ولاالأقيالُ من آلِ حِمْيَرا

قال : وفى حوشب يقولُ الشاعر :

وأجوَدُ بالمال من حاتم ... وأنحرُ للجزْرِ[2] من حَوشَبِ

أخبرنى محمدُ بنُ يونس الكاتب قال : حدثنا أحمد بن عبيد ، عن الأصمعىّ قال : دخلتُ على الرشيد يوما وهو محموم فقال : أنشدنى ياأصمعى شعراً مليحاً ، فقلت : أرصينًا

(١) الرمكه : الفرس والبرذونة تتخذ للنسل .

(٢) فى ف : للبزل جمع بازل : البعير القوى فى تاسع سنيه

فلاً تُريده يا أميرُ المؤمنين أم شجيًّا سهلا ؟ فقال : بل غَزِلا بين الفحْل والسّهل ، فأنشدتُه للعُدَيل بن الفَرخ العِجْلىّ :

شعر العديل بن السهل والفاحل

صحا عن طِلابِ البِيض قبل مَشيبه ... وراجع غَضّ الطرف فهو غَضِيضُ

كأنّىَ لم أرعَ الصِّبا ويروقُنى ... من الحىّ أحْوى المقلتين غَضِيضُ

٥ دَعانى له يوما هوًى فأجابَه ... فُؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ

لمُستأنِساتٍ بالحديثِ كأنّه ... تهلُّلُ غُرٍّ بَرْقُهنّ وَميضُ

فقال لى : أعدْها ، فما زلتُ أكررها عليه ، حتى حفِظها .

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ قال : حدثنى الرياشىّ ، عن محمد بن سَلّام ، قال :

قدم العُدَيل بن الفرخ البصرة ، ومدح مالك بن مِسْمع الجحْدرىّ ، فوصله ، فأقام

١٠ بالبصرة ، واستطابها ، وكان مقيما عند مالك ، فلم يزل بها إلى أن مات ، وكان يُنادمُ الفرزدق ، ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

موته ورثاء الفرزدق له

وما ولَدتْ مثلَ العُدَيلِ حليلةٌ ... قديما ولا مستحدثَاتُ الحلائل

وما زال مذ شَدّتْ يداه إزاره ... به تفتحَ الأبوابَ بكرُ بن وائلِ

صوت

إنى بدَهماء عزَّ ما أجدُ   عاودنى من حِبابها زُؤُدُ
عاودنى حبُّها وقد شحطتْ   صرفُ نواها فإننى كَمِدُ

قوله : « عزَّ ما أجد » أى : شدَّ ما أجد. وحبابُها : حبُّها ، وهو واحد ليس بجمع ؛ والزُّؤُدُ : الفزع والذعر . وصرفُ نواها : الوجه الذى تصرِفُ إليه قصدَها إذا نأت . والكمد : شِدَّةُ الحزن .

الشعر لصخر الغَىِّ الهُذَلىّ ، هكذا ذكر الأصمعىّ وأبو عمرو الشيبانىّ ، وذكر إسحاق عن أبى عبيدة أنه رأى جماعة من شعراء هُذَيل يختلفون فى هذه القصيدة فيرويها بعضُهم لصَخْر الغَىّ ، ويرويها بعضهم لعمرو ذى الكلب ، وأن الهيثم بن عدىّ حدّث عن حمّاد الراوية أنها لعمرو ذى الكلب .

أخبار صخر الغي ونسبه

اسمه ونسبه

هو صخرُ بن عبد الله الخيثمى ، أحد بنى خيثم بن عمرو بن الحارث بن تميم بن سعد ابن هُذَيل . هذا أكثر ما وجدته من نسبه ، ولقب بصخر الغىّ لخلاعته ، وشدة بأسه ، وكثرة شرّه .

فمن روى هذه القصيدة له ، ذكر أن السبب فيها أن جاراً لبنى خُناعة بن سعد بن هُذيل من بنى الرمداء كان جاورهم رجل من بنى مُزينة ، وقيل : إنه كان جاراً لأبى المثلّم الشاعر ، وهو أخوهم ، فقتله[1] صخر الغىّ فمشَى أبو المثلم إلى قومه ، وبعثهم على مطالبته بدم جارهم المزنى ، والإدراكِ بثأره ، فبلغ ذلك صخراً فقال هذه القصيدة يذكر أبا المثلّم وما فعله ، وأولها البيتان اللذان فيهما الغناء وفيها يقول :

وَلستُ عبداً للموعِدينَ ولا أَقبلُ ضَيْماً أتَى به أحدُ

جاءت كبيرٌ كيما[2] أخفِّرَها والقوم صِيدٌ كأنّهم رَمِدوا

فى المزنىّ الذى حُشِشتُ[3] به مالَ ضَريك[4] تِلادُه نَكِدُ

إن أمتسِكْه فبالفِداء وإن أُقتَل بسيفى فإنه قَوَدُ

ولصخر وأبى المثلم فى هذا مناقضات وقصائدُ قالاها ، وأجاب كلُّ واحد منهما صاحبه ، يطول ذكرها وليس من جنس هذا الكتاب .

---

(١) فى س ، ب : « قرآه » ولا معنى له .
(٢) فى س ، ب : « كبيرا كيما أحقرها » .
(٣) حششت : قويت .
(٤) كذا فى ف والديوان وهو الفقير السيىء الحال وفى س ، ب : « طريف » .

وحكى الأثرم عن أبى عبيدة أنه حدّث عن عبد الله بن إبراهيم الجمحىّ

الأعلم العداء

كان الأعلم أخو صخر الغىّ أحد صعاليك هذيل ، وكان يعدو على رجليه لا يُلحَق ، واسمه حبيب بن عبد الله ، فخرج هو وأخواه صخر وصُخير فأصحروا تحت جبل يقال له السّطاع[1] ، فى يوم من أيام الصيف شديد الحر وهو متأبّط قربة لهم فيها ماء ، فأيدت بهم الشموم ، وعطشوا حتى لم يكادوا يبصروا من العطش ، فقال الأعلم لصاحبيه : أشرب من القربة لعلى أن أرد الماء فأروى منه والزما مكانكما ، وكانت بنو عدىّ بن الدّيل على ذلك الماء وهو ماء الأطواء[2] ، فنزل متأخّر عن الماء قدرَ رَمية سهم . فأقبل يمشى متلثّماً ، وقد وضع سيفه ونَبله فيما بينه وبينَ صاحبه ، فلما برز للقوم مشى رُويداً مشتملاً ، فقال بعض القوم : ترون الرجلَ ؟ فقالوا : نراه بعضَ بنى مُدلج بن مرة .

ثم قالوا لبعضهم : القَ الفتى ، فاعرفه ، فقال لهم : ما تريدون بذلك ؟ هو آتيكم إذا شَرب ، فدعوه فليس بمفيتنا ، فأقبل يمشى حتى رَمى برأسه فى الماء مُدْبِراً عنهم بوجهه ، فلما رَوِىَ أفرغ على رأسه من الماء ، ثم أعاد نقَابه ، وأخذ طريقه رُويدًا ، فصاح القوم بعبد لهم كان على الماء : هل عرفت الرجل الذى صدر ؟ قال : لا ، فقالوا : فهل رأيت وجهَه ؟ قال : نعم ، هو مشقوق الشّفة ، فقالوا : الأعلَم ، وقد صار بينه وبين الماء مقدارُ رَمية سهم آخر ، فعَدَوْا فى أثره ، وفيهم رجل يقال له : جُذَيمة لَيس فى القوم مثلُه عدواً ، فأغروه به ، وطردوه ففاتهم ، ومرّ على سَيفه وقوسه ونَبله ، فأخذه ، ثم مرّ بصاحبيه فصاح بهما فضبرا[3] معه فأعجزوهم ، فقال الأعلم فى ذلك :

(١) سطاع ، بكسر أوله : جبل بينه وبين مكة مرحلة ونصف من جهة اليمين

(٢) كذا فى شرح السكرى لديوان الهذليين ، ولعل المراد بالأطواء قرية باليمامة أو عامر ، وفى س ، ب : «أطوافهم» ، ولم نعثر له على معنى .

(٣) ضبرا معه : عدوا معه .

لما رأيتُ القومَ بالـ ـعلياء دون قِدى[1] المناصب[2]

وفَريتُ[3] من فزعٍ فلا أرْمى ولا ودّعتُ صاحب

يُغْرون صاحبهم بنا جَهْدًا وأُغرى غيرَ كاذب[4]

٢٠ أُغرى أخى[5] صخرا ليُنْـ ـجزَهم وقد ذُوا بالحلائب[6]

وخشيتُ وقعَ ضريبةٍ[7] قد جُرِّبتْ كلَّ التجارب

فأكونُ صيدَهُمُ بها وأميرَ[8] لأَضْبع السوّاغب

٢١ جَزَرًا وللطير المُربِّـ ـة[9] والذئاب وللثعالب

(١) كذا فى ف والديوان ومعناه قدر ، وفى س ، ب : قرى ، وهو تحريف . والمناصب : الأغراض والمرامى

١٠ (٢) المناصب : المبارى المنافس

(٣) فريت : تحيرت ودهشت

(٤) فى هج ، هد : وأغرى كل كاذب

(٥) فى الديوان : « أبا وهب » .

(٦) الحلائب : الجماعات جمع حلبة غير قياس

١٥ (٧) ضريبة : سيف .

(٨) كذا فى الديوان وفى النسخ : للذئب بدل وأمير

(٩) المربة : المقيمة الملازمة

وهى قصيدة طويلة .

[illegible]

وقالوا جميعاً : خرج صخرُ الغىّ وأخوه أبو عمرو فى غزاة لهما، فباتا فى أرض رملة ، فنهشت أخاه أبا عمرو حيّة ، فمات ، فقال يرثيه :

صخر يرثى أخاه أبا عمرو

لعمرُ أبى عمرو لقد ساقه المنا ... إلى جَدَثٍ يُوزَى له بالأهاضبِ

لحيّةِ جُحْرٍ فى وجار[1] مقيمةٍ ... تنمّى[2] بها سوقُ المنا والجوالبِ

أخى لا أخا لى بعده سبقت به ... منيّتُه جمعَ الرُّقى والطبائبِ

وذلك مما يُحْدِث الدهرُ إنه ... له كل مطلوبٍ حثيثٍ وطالبِ

يوزى له : يعنى له والإزاء : مهراق الدلو . والأهاضب : الجبال —

١٠ وقال الأثرمُ عن أبى عبيدة : خرج صخرُ الغىّ فى طائفة من قومه يقدُمها خوفاً من أبى الشام ، فأغار على بنى المصطلق من خُزاعة ، فانتظر بقية أصحابه ، وَنَذِرَت به بنو المصطلق ، فأحاطوا به فقال :

لو أن أصحابى بنُو معاوية ... أهلُ جُنوب[3] النخلة الشاميه

ورهطُ دُهمانٍ وَرهطُ عادية ... ما تركونى للذئاب العاويهْ

١٥ وجعل يرميهم ويَرتجز ويقول :

لو أن أصحابى بنُو خُناعَهْ ... أهلُ النَّدى والمجدِ والبرَاعهْ

(١) الوجار : كل جحر يسكن فيه وحش من أحناش الأرض
(٢) تنمى : ارتفع .
(٣) جنوب : جمع جنب بمعنى ناحية

تمشي جلود البقر القرّاعة[1] انجوا من هذه اليراعه[2]

وقال أيضاً وهو يقاتلهم :

لو أن حولي من قُريم[3] رَجْلاَ بيضَ الوجوه يحملونَ النَّبلا

لمنعوني نجدة وَرِسْلا بيض الوجوه لم يكونوا عُزْلا

مقتل صخر ورثاؤه

يقول : منعوني بنجدة وشدّة وَعلى رِسلهم بأهون سعي . قال : فلم يزلْ يقاتلهم حتى قتلوه —

وبلغ ذلك أبا المثلم ، فقال يرثيه :

رثاء أبي المثلم له

لو كان للدهر مالٌ عند مُتلده لكان للدهر صخرٌ مالَ قُنْيانِ[4]

آبي الهضيمة آبٍ[5] بالعظيمة متْ لافُ الكريمة لا سِقْطٌ ولاوانى

حامي الحقيقة نسّالُ[6] الوديقة[7] معـ تاقُ الوسيقة[8] جَلْدٌ غير ثُنْيانِ[9]

رَقّاء[10] مرقبة ، منّاعُ مخْلبةٍ ركّابُ سلهبة[11] ، قطاعُ أقرانِ[12]

(١) القراعة : الصلبة .

(٢) اليراعة : الضعيف ، وفي الديوان : « المراعة » .

(٣) قريم : حي من هذيل

(٤) في س ، ب : « قينان » تحريف

(٥) في الديوان وفي ف « نائب » .

(٦) نسال : مسرع

(٧) الوديقة : شدة الحر

(٨) الوسيقة : الطريدة ، يريد أنه إذا طرد عليه طريدة أنجاها وسبق بها والعرب تقول : فلان يحمى الحقيقة ، وينسل الوديقة ، للرجل الشمر القوي

(٩) في س ، ب : « شيبان » وهو تحريف

(١٠) في الديوان : « رباء » بمعنى علا وارتفع .

(١١) سلهبة : جسيمة طويلة

(١٢) أقران : جمع قرن ، وهو الحبل ، يريد أنه وصول للأخوان قطوع لمن سواهم .

هباطُ أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ حمّالُ ألويةٍ سِرحانُ فتيانِ

— السرحان : الأسد فى لغة هذيل وفى كلام غيرهم الذئب —

يحمى الصحابَ إذا جدّ الضرابُ ويكـ ـفى القائلينَ إذا ما كُبِّلَ العانى (١)

فيترك القِرنَ مصفرًّا أناملُه كأنّ فى ريطتيه نضخَ إرقانِ

٢٢ الإرقان : اليَرقان ، يعنى صُفرتَه —

٢٢ يعطيكَ مالا تكاد النفسُ تسلمُه من التلادِ وهوبٌ غيرُ منّانِ (٢)

(١) كذا فى الديوان ، وفى س ، ب : « كبل الهانى »

(٢) فى الديوان « ترسله » بدل « تسلمه » .

نسب عمرو ذي الكلب وأخباره

اسمه ونسبه

هو عَمرو بن العجلان بن عامر بن بُرد بن مُنبّه، أحد بني كاهل بن لحيان بن هُذيل.

قال السكريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي: إنّما[1] سُمى ذا الكلب، لأنه كان له كلبٌ لا يفارقه.

وعن الأثرم عن أبي عبيدة أنه قال: لم يكن له كلبٌ لا يفارقه، إنما خرج غازياً ومعه كلبٌ يصطاد به، فقال له أصحابه: ياذا الكلب، فثبتت عليه.

قال: ومن الناس من يقول له عَمرو الكلب، ولا يقول فيه: «ذو».

قال: وكان يغزو بني فَهْم غزواً متّصلاً، فنام ليلة في بعض غزواته، فوثب عليه نَمِران فأكلاه فادّعت فهمٌ قتلَه، هكذا في هذه الرواية.

وقد أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش، قال: حدثنا أبو سعيد السكريّ، عن محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابي وأبي عُبيدة عن ابن الأعرابي عن المفضّل وغيرهم من الرواة قالوا:

عمرو ذو الكلب وأم جليحة

كان من حديث عمرو ذي الكلب الهُذَليّ — وكان من رجالهم — أنه كان قد علِقَ امرأة من فَهْم يقال لها: أم جُلَيْحة، فأحبّها وأحبته، وكان أهلها قد وجدوا عليها وعليه، وطلبوا دمَه، إلى أن جاءها عاماً من ذلك، فنَذِرُوا به، فخرجوا في أثره، وخرج هارباً منهم فتبعوه يومَهم ذلك، وهم على أثره، حتى أمسى، وهاجت عليه ريحٌ شديدة في ليلة ظلماء، فبينا هو يسيرُ على ظهر الطريق إذ رأى ناراً عن يمينه، فقال: أخطأتُ واللهِ الطريقَ وإن النارَ[2] لعلى الطّريق، فجار وَشكّ، وقصد للنّار، حتى أتاها، وقد كان يُصبحُ، فإذا رجل قد أوقد ناراً ليس معه أحدٌ، فقال له عمرو ذو الكلب: من أنتَ؟ قال: أنا رجل من عَدْوان،

(1) في س، ب: «إنه».

(2) في س، ب: «الناس».

قال ، فما اسم هذا المكان؟ قال السُّدُّ ، فعلم أنه قد هلك ، وأخطأ — والسدُّ شىء لا يجاوَز — قال : ويلك! فلِمَ أوقدتَ ، فوالله ما تشوى[1] ، ولا تصطلَى ، وما أُوقدتَ إلا لمنية عمرو الشّقى ، هل عندك شىء تُطعمنيه؟ قال: نعم ، فأَخرج له تَمرات قد نقَّاها فى يده ، فلما رآها قال: تمرات، تتبعها عبرات من نساء خَفرات ، ثم قال: اسقنى ، قال: ماذا ؟ ألبنا ؟ قال: لا ، ولكن اسقنى ماء قَراحا ، فإنى مقتول صباحا ، ثم انطلق ، فأَسند فى السّد ، ورأى القوم الذين جاءوا فى طلبه أثره ، حيث أخطأ ، فاتبعوه ، حتى وجدوه فدخل غاراً فى السّد ، فلما ظهروا للسّدّ علموا أنه فى الغار فنادوْه ، فقالوا : ياعمرو ، قال : ماتشاءون؟ قالوا : اخرج ، قال: فلِمَ دخلت إذن؟ قالوا : بلى ، فاخرجُ ، قال : لا أخرُج ، قالوا : فأنشِدْنا قولك :

وَمقعدِ كُربةٍ قد كنتُ مِنها[2] مكان الإصبعين من القِبَال[3]

قال : ها هى ذه أنا فيها . قال : وعنَّ له رجل من القوم ، فرماه عمرو فقتله ، فقالوا : أقتلته ياعدوَّ الله ؟ فقال : أجلْ ، ولقد بقيتْ معى أربعةُ أسهم كأنها أنيابُ أمِّ جُلَيْحة لاتصلون إلىّ أو أقتلَ بكل سَهم مِنها رجُلا منكم ، فقالوا لعبدهم : يا أبا نجاد ، ادخُلْ عليه ، وأنت حُرّ ، فتهيأ للدخول أبو نجاد عليه ، فقال له عمرو : ويلك ! ياأبا نجاد ، ما ينفعك أن تكون حراًّ إذا قتلتك ؟ فنكص[4] عنه ، فلما رأوا ذلك صعدوا ، فنقبوا عليه ، ثم رمَوْه حتى قتلوه ، وأخذوا سَلَبه ، فرجعوا به إلى أم جُلَيحةَ وهى تتشوَّفُ ، فلما رأوْها قال لها : يا أمَّ جُلَيحة ، مارأيكِ فى عَمرو ، قالت : رأيى والله أنكم طلبتموه سريعاً ، ووجدتموه مَنِيعا[5] ، ووضعتموه صَريعًا ؟ فقالوا : والله لقد قتلناه، فقالت : والله

(١) فى س ، ب : «تشرب»
(٢) فى س ، ب : «فيها»
(٣) القبال ، ككتاب : الزمام فى النعل بين الإصبع الوسطى والتى تليها
(٤) فى س ، ب « تكعصوا » .
(٥) فى س ، ب : « تبيعا »

ما أراكم فعلتم، ولئن كنتم فعلتم، لربّ ثدي منكم قد افترشه، ونهبٍ قد احترشه[1]، فطرحوا إليها ثيابه، فأخذتها، فشمّتها، فقالت: ريحُ عطرٍ وثوبُ عمرو، أما والله ما وجدتموه ذا حُجْزة[2] جافية، ولا عانة وافية، ولا ضالة[3] كافية.

وقالتْ رَيطة أختُ عمرو وذى الكلب، ترثيه:

كلُّ امرئٍ لمحال[4] الدهر مكروبُ ... وكلّ من غالبَ الأيامَ مغلوبُ

وكلُّ حيٍّ وإن غزوا وإن سَلِموا ... يومًا طريقُهُمُ فى الشرِّ دُعبوبُ[5]

أبلغْ هذيلا وأبلغ مَنْ يُبَلِّغُها ... عنّى رَسولاً وبعضُ القولِ تكذيبُ

بأنّ ذا الكلبِ عَمْرًا خيرهم نسبًا ... ببطن شِريان يعوى حولَه الذيبُ[6]

الطاعنُ الطعنةَ النجلاءَ يتبعُها ... مُثْعنجِرٌ[7] من نجيع الجوفِ أسكوبُ[8]

والتاركُ القِرنَ مصفرًّا أناملُه ... كأنه من نقيع الوَرْسِ[9] مخضوبُ

تمشى النسورُ إليه وهى لاهيةٌ ... مَشْيَ العذارى عليهنّ الجلابيبُ

والمخرجُ العاتقَ العذراء مُذعنةً ... فى السَّبي ينفحُ من أردانها الطيبُ

(١) احترشه: صاده، وذلك بأن يحرك يده على باب جحره ليظنها حية، فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه.

(٢) الحجزة: موضع التكة من الإزار وهذا كناية عن عفته.

(٣) المراد بها السلاح كله على سبيل الاتساع.

(٤) محال: قوة، ويروى بطوال الدهر بمعنى طويل، ويروى بحوال الدهر أى بغيره وصروفه.

(٥) ف «مكذوب» مأخوذ من كذبته نفسه إذا منته الأمانى، والدعبوب: الطريق الموطوء.

(٦) موضع أو واد باليمن يقال إن به قبر عمرو.

(٧) مثعنجر: سائل.

(٨) أسكوب: منسكب أو مسكوب.

(٩) فى س، «ب من رجيع الجوف مخضوب».

صوت

يا دارَ عمرةَ مِن مُحتَلِّها⁽¹⁾ الجَرَعا⁽²⁾ هاجتْ لِيَ الهمَّ والأحزانَ والوجَعا

أرى بَنِيَّ إذا مالت حَمولتُهم بطن السلَوْطَح⁽³⁾ لا يَنظُرون من تبعا⁽⁴⁾

طوراً أراهم وطوراً لا أبِينُهُمُ إذا ترَفَّع حِدْجٌ ساعةً لمعا

الشعر للقيط الأياديّ يُنذر قومَه قصدَ كِسرى لهم، والغناء لكردَم بن مَعْبد هَزَج بالبنصر من روايتي حَبَش والهشامي.

(١) في س ، ب من «يحلها» .
(٢) الجرع : الرملة لا تنبت شيئا ، وهي هنا موضع .
(٣) السلوطح : موضع بالجزيرة قريب من البشر .
(٤) ف : « مرتبعا » .

خبر لقيط ونسبه والسبب فى قوله الشعر

اسمه ونسبه

هو لقيطُ بن يعمرَ. شاعر جاهليّ قديم مُقِلّ، ليس يُعرف له شعرٌ غيرَ هذه القصيدة وقِطَع من الشعر لطاف متفرقة.

أخبرنى بخبر هذا الشاعر عمى قال: حدثنى القاسم بن محمد الأنبارىّ قال: حدثنى

٥ أحمد بن عبيد قال: حدثنى الكلبىّ عن الشَّرقى بن القُطامى قال:

كان سبب غزو كسرى إياداً أن بلادهم أجدبت، فارتحلوا حتى نزلوا بسنداد[1] ونواحيها، فأقاموا بها دهراً حتى أخصبوا وكثُروا، وكانوا يعبدون صنماً يقال له: ذو الكَعَبين[2]، وعبدته بكرُ بنُ وائل من بعدهم، فانتشروا مابين سنداد إلى كاظمة وإلى بارق[3] والخَوَرْنق، واستطالوا على الفُرات، حتى خالطوا أرض الجزيرة، ولم

١٠ يزالوا يُغيرون على مايليهم[4] من أرض السواد، ويغزون ملوكَ آل نصر، حتى أصابوا

غزو كسرى لإياد

امرأة من أشراف العجم كانت عَروسًا قد هُدِيت[5] إلى زَوجها، فولِيَ ذلك منها سفهاؤهم وأحداثُهم، فسار إليهم مَنْ كان يليهم من الأعاجم، فانحازت إيادٌ إلى العراق وجعلوا يعبُرون إبلهم فى القراقير[6] ويقطعون بها الفُرات وجعل راجزهم يقول:

٢٤
٢٠

بئس مناخُ الحَلَقات[7] الدُّهْمِ فى ساحة القُرقور وسط اليَمِّ

١٥ وعَبروا الفراتَ، وتبعتهم الأعاجمُ، فقالت كاهنة من إياد تسجَعُ لهم:

(١) سنداد: منازل لأياد أسفل الكوفة.
(٢) فى هد، هج: «ذو الكعبات».
(٣) بارق: ماء بالعراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة.
(٤) فى س، ب: «أعاليهم».
٢٠ (٥) هديت: زفت إلى بعلها.
(٦) القراقير: جمع قرقور كعصفور: السفينة الطويلة أو العظيمة.
(٧) الحلقات: جمع حلقة: الإبل الموسومة بالحلقات

إن يقتلوا منكم غلاما يلما أو يأخذوا ذاك[1] شيخا هِمّا
تخضبوا نحورهم دمّا وتُرووا منهم سيوفا ظماء[2]

فخرج غلام منهم يقال له ثواب بن محجن بإبل لأبيه فلقيته الأعاجم، فقتلوه، وأخذوا الإبل ولقيتهم إيادٌ فى آخر النهار، فهزمت الأعاجم.

قال: وحدثنى بعض أهل العلم أن إياداً بيّتت ذلك الجمعَ حين عبروا شطَّ الفرات الغربى، فلم يفلت منهم إلا القليلُ، وَجمعوا به جماجمهم وأجسادهم، فكانت كالتل العظيم، وكان إلى جانبهم دَيْر، فسُمى ديرَ الجماجم، وبلغ كسرى الخبر، فبعث مالكَ بنَ حارثة: أحد بنى كعب بن زُهير بن جُشَم فى آثارهم، ووجّه معه أربعة آلاف[3] من الأساورة. فكتب إليهم لَقيط:

يادارَ عمرةَ من مُحتلّها الجَرَعا هاجت لى الهمَّ والأحزانَ والوجعا[4]

وفيها يقول — قال الشَّرقى بن القطامى أنشدنيها أبو حمزة الثمالىّ —:

ياقوم لاتأمنوا إن كنتمُ غُيُرًا على نسائكُمُ كسرى وما جمعا
هو الجلاء الذى تبقى مذلّتهُ إن طار طائركم[5] يوما وإن وقعا

(١) فى هج س، ب؛ هد: «منكم».
(٢) فى س وب: «منها» وهذا القول من قبيل السجع لا من أوزان الشعر.
(٣) فى هد: «أربعين ألفا»
(٤) فى هد، هج: «الجزعا» بدل «الوجعا»
(٥) فى س، ب: «طائرهم».

هو الفناء الذى يجتث أصلكم ... فمن رأى مثلَ ذا رأيا[1] ومَنْ سَمِعا

فقلِّدوا أمركم لله دَرُّكمُ ... رَحْبَ الذراع بأمر الحرب مُضْطَلِعا

لامترَفًا إن رخاء[2] العيش ساعده ... ولا إذا حلّ مكروه به خَشَعا

لايَطْعَم النومَ إلا ريثَ[3] يبعثه ... همٌّ يكادُ حَشاه يقطع الضِّلَعا

مسهَّدُ[4] النوم تَعنيه ثُغوركمُ[5] ... يرومُ منها إلى الأعداء مُطَّلَعا

ما انفكَّ يحلبُ هذا الدهرَ أشطرَه ... يكونُ مُتَّبِعا طوراً ومُتَّبَعا

فليس يشغله مالٌ يُثَمِّره ... عنكمْ ولا ولدٌ يَبغى له الرِّفَعا

حتى استمرّتْ[6] على شزْرٍ[7] مريرتُه[8] ... مستحكِمَ السنّ لاقحمًا[9] ولا ضَرَعا[10]

كمالك بن قِنان[11] أو كصاحبه ... زيدِ القنا حين لاقى الحارثَيْنِ[12] مَعَا

إذ عابه عائبٌ يوما فقال له : ... دَمِّثْ لجنبك قبلَ الليل مُضطَجَعا

(١) فى س ، ب : «يوما» .

(٢) فى س ، ب : «رخى» .

(٣) فى س ، ب «[illegible]» .

(٤) فى س ، ب : «[illegible]» .

(٥) كذا فى منتهى الطلب وفى هج س ، ب ، هد : «أموركم» .

(٦) استمرت : استحكمت وقويت.

(٧) شزر : ما يفتل على غير وجهه ، أى يفتل من اليسار .

(٨) المريرة : طاقة الحبل والمراد أنه قوى متين

(٩) قحما : شيخا فانيا عجوزا .

(١٠) ضرعا : ضعيفا ذليلا مستكينا .

(١١) فى س ، ب : «سنان» .

(١٢) يقصد بهما الحارث بن ظالم والحارث بن عوف المريين .

فساوِرُوه(١) فألفَوْه أخا عَلَلٍ   فى الحرب يَخْتَتِلُ الرِّئبالَ وَالسَّبُعا
عبلَ الذراع أبيًّا ذا مُزابَنَةٍ   فى الحرب لا عاجزا نِكْسا ولا وَرَعا(٢)
مستنجدًا يتحدّى الناسَ كلَّهمُ   لو صارعوه جميعًا فى الوَرى صَرَعا
هذا كتابى إليكُمْ والنذيرُ لكمْ   لمن رأى الرأى بالإبرام قد نَصَعا
وقد بذلتُ لكم نُصْحى بلا دَخَلٍ   فاستيقظوا إنّ خيرَ العلم ما نفعا ٥

وجعل عنوان الكتاب :

سلام فى الصّحيفة من لَقِيطٍ   إلى مَن بالجزيرة من إيادِ
بأن الليثَ كسرى قد أتاكمْ   فلا يحبسْكُمُ سوقُ النِّقادِ(٣)

موقعة مرج الأكم

قال : وسار مالك بن حارثة التغلبىّ بالأعاجم حتى لقىَ إيادًا ، وهم غارُّون لم يلتفتوا إلى قول لقيط وتحذيره إياهم ثقةً بأن كسرى لا يقدُم عليهم . فلقيهم بالجزيرة ١٠ فى مَوضع يقال له مَرْج الأكم ، فاقتتلوا قتالاً شديدًا ، فظفر بهم ، وهزمهم ، وأنقذ ما كانوا أصابوا من الأعاجم يوم الفُرات ، ولحقت إيادٌ بأطراف الشأم ولم تتوسّطها خوفًا من غسّان يوم الحارثين ، ولاجتماع قُضاعة وغسّان فى بلد خوفًا من أن يصيروا يدًا واحدةً عليهم ، فأقاموا ، حتى أمنوا . ثم إنهم تطرّفوهم إلى أن لحقوا بقومهم ببلد الروم بناحية أنقرة ، ففى ذلك يقول الشاعر : ١٥

حلُّوا بأنقرةٍ يسيل عليهمُ   ماءُ الفُرات يجىءُ من أطواد

(١) فى س ، ب «فثاوروه» ، ومعناه واثبوه .
(٢) الورع : الجبان الضعيف .
(٣) النقاد : جنس من الغنم قبيح الشكل مفرده نقد بالتحريك وفى س ، ب : «النفاد» وهو تحريف . ٢٠

صوت

اللبين يا ليلى جمالك ترحل   ليقطع منا البين ما كان يوصل؟
تُملّل بالوعد ثم تلتوى   بموعودها حتى يموت المؤمَّل
ألم تر أن الحبل أصبح واهناً   وأخلف من ليلى الذى كنت آمُلُ
فلا النيلُ من ليلى يُؤاتيك وصلُه   ولا أنت عن ذكرى الفؤاد بعنها فتذهلُ

٥

عروضه من الطويل، الشعر لنصيب الأصغر مولى المهدى ، والغناء ليحيى المكى خفيف رملٍ بالبنصر ، وكذا نسبته تدلّ عليه .

وذكر عمرو بن بانة فى نسخته أن خفيف الرّمل لمالك وأنه بالوسطى ، والصحيح أنه لابن المكى .

انتهى الجزء الثانى والعشرون ويليه الجزء الثالث
والعشرون وأوله أخبار نصيب الأصغر

١٠

فهارس

الجزء الثاني والعشرين من كتاب الأغاني

فهرس التراجم

الصفحة

فهرس الموضوعات

صفحة

أخبار خالد بن عبد الله

أخبار صخر بن الجعد ونسبه

فهرس الشعراء

فهرس رجال السند

فهرس المغنين

فهرس رواة الألحان

فهرس الأعلام

(ح)

(ش)

فهرس الأمم والقبائل والجماعات

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

فهرس أسماء الأماكن

فهرس القوافى

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
كأنا	الكلاب	وافر	٢١	٢
لقد كانت	بالشراب	»	١٤٠	٣
قرى	كجتنى	مجزوء الوافر	٢٠٦	١١
لا تغضبن	فاغضب	كامل	٢٨١	٣
يا معشر	العاتب	سريع	١٦٨	١
قد طال	النصب	منسرح	٢٣٦	٢
قل لابن	الحسب	متقارب	١٦٦	٩
لمن دمنة	فالمضاب	»	١٩٣	١٣
(ت)				
فأبلغ	اهتديتُ	وافر	٢	١٢
اعاذلتى	عصيت	»	١١٦	٢
بنى لى	استقيت	»	١١٧	١٦
وفيت	وفيت	»	١١٩	١٣
انعت	بناته	رجز	٣٠٤	١٤
وأنكحها	وجرت	طويل	٣٢	٩
(ج)				
أعانى	علاجا	وافر	٢٨٤	١١
يشرفنى	ومعالجُ	طويل	٢٦٤	٤
فإن تضحكى	المفرج	»	٣٠٩	٨
أمر	فى اللجّ	رجز	٢٨٥	٨
(ح)				
لئن	يفتحُ	طويل	٣٣٠	١٧
بنفسى	الرياح	وافر	١١٢	٣
إن السلاح	وتروح	كامل	١٥٤	١٣
تركنا	والصفاح	وافر	٧١	١٠
أصبتم	السلاح	»	٢٣٩	١٠

صدر البيت	قافيته	بحره	ص	س
(د)				
ألا بكر	الصمدْ	طويل	٩٢	٤
فانى	يهودْ	متقارب	١١٤	١٤
ومن كان	غدا	طويل	٨	٦
أبلغ	خالدا	»	٢١	٦
أتعلم	العهدا	»	١٧٨	٣
خليلى	بعدا	»	٢٤٣	٦
أحار	أقصدا	»	٣٢٢	٢٤
بان الخليط	المواعيدا	بسيط	٩٩	٢
فأبلغ	والوليدا	وافر	٦٤	٨
شرى	الفهادا	»	٣٢٢	١
هربت	الردى	كامل	٢١٥	٨
أشهاء	قاعدة	سريع	٤٩	٤
هى الخمر	أبا جعده	متقارب	٩١	١٣
ألا ليت	نجدد	طويل	٣٥	٨
وليل	واحد	»	٢١٧	٨
منعمة	ناهدُ	»	٢٣٢	١٣
لقد عاود	سعودها	»	٣٣	٥
ألم يانا	استقادوا	وافر	٦٥	١١
وقالوا	الوحيد	»	٢٤٠	١
أقفر	عبيد	رجز	٨٨	٢،
			٩١	١٠
سقيت	الحاسد	سريع	٢١١	٣
ولدت	أحدُ	منسرح	٣٤٥	١٠
لعمرك	أم خالدِ	طويل	١٥	١

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
ألا لعن	بخالد	طويل	٢١ : ١٠
إخاء	ووالد	»	٤٩ : ١٢
دعتني	تهودي	»	١١٥ : ١٠
إن مناخي	المرد	»	١٤٣ : ١٠
من مبلغ	البغاد	»	١٨٩ : ١٠
أتعرف	التجلد	»	٢٢٥ : ٢، ٢٣٢ : ٤
وحول	زائد	»	٢٢٨ : ١٣
وكائن	وأسعد	»	٢٣١ : ١٢
أهيم	بعادي	»	٢٧٧ : ٨، ٢٧٨ : ١٦، ٢٧٩ : ٤
أمسى	محمود	بسيط	٤٠ : ٣٠
لو كان	إلى أحد	»	٤٨ : ٧
أنا الشجاع	وأعقاد	»	٨٥ : ١٦
طاف	ميعاد	»	٩٢ : ١٣، ٩٤ : ١١
أبلغ	إنجاد	»	٩٣ : ٤
لا القينة	زادي	»	٩٣ : ١٤
واسأل	واللدد	»	١٩٤ : ٨
ألقى	بادي	»	٢٨٤ : ١
ألم ترد	مثل صاد	وافر	١٥ : ٥
ألا ياظبية	الكماد	مجزوء الوافر	٢٤٤ : ٢
سلام	إياد	وافر	٣٥٨ : ٧
إني	الوريد	مجزوء الكامل	١٦٧ : ٢
حلوا	من أطواد	كامل	٣٥٨ : ١٦

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
هل تعرف	إلى ثمد	منسرح	١٢٥ : ٧
ياطيب	كبدي	»	٢٠١ : ١١
إني بدهماء	زودي	»	٣٤٤ : ٢
أيها الناس	البلاد	خفيف	٣١٥ : ٢، ٣١٦ : ٧

(ر)

صدر البيت	قافيته	بحره	ص س
يا قوم	خبرْ	هزج	٣٧٨ : ١
يا دار	من عار	رجز	٣٢٨ و ٩٤
أيا بني	حجرْ	رمل	٨٢ : ٦
نقوده	فخارا	طويل	٥٨ : ٧
وكاتبة	أثرا	طويل	١٩٩ : ٢، ٢٠٠ : ١٥
لعمري	أزهرا	»	٢٥٩ : ١٠
لله	وأصبرا	»	٢٦٨ : ١
أشهرا	شهرا	»	٣٠٦ : ١٤
إذا ما	فعسكرا	»	٣٣٩ : ١٨
وعكرمة	لم يغدرا	»	٣٤٢ : ١٥
يا ذا الذي	قدرا	بسيط	٢٠٤ : ٢، ٣١٠ : ١٢
من مبلغ	عبارهْ	كامل مجزوء	١٩١ : ٣
يا أبا العباس	الكرى	سريع	١٨٥ : ٣
بارق	ما ترى	خفيف	١٨٣ : ٣
أي عيش	جعفرا	مجزوء الخفيف	٢٠٢ : ٤
أتتنا	وناصرُ	طويل	٧٠ : ٣
ألما	القبر	»	١٣٨ : ٨

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
يا بثن	أو صلى	رجز	١٥٢ : ١٤
لباب	سائل	سريع	١٣٢ : ١٣
در در	الرحال	خفيف	٩٥ : ٣
يا خليلى	من عاله	»	١٥١ : ١٣
تعز	البغال	متقارب	٢٤٩ : ٣
إذا الله	حنبل	»	٢٦٩ : ٢
تحامى	بأبوالها	»	١١٤ : ١٧
	(م)		
ألا	عنكمْ	هزج	١٨٢ : ١٢
ألا إن	حما	طويل	٢٤٢ : ٤
أما خليلى	زعما	»	٢٨٢ : ١
وماشية	تكلما	»	٣٠٨ : ١٥
أتكتم	مغرما	»	٣٠٨ : ١١
والله	دما	بسيط	٢٢١ : ٢، ٢٢٤ : ١٢
لمن جمال	معلومَهْ	»	٩٤ : ١٨
ألا أبلغ	الطعاما	وافر	١٩٢ : ١٥
سائل	مغرما	كامل	١١٣ : ١٣
قل	هما	مجزوء الكامل	١٨٢ : ٧
يا عون	الملامَهْ	رجز	٢٦٢ : ١٥
سلا	تكلّما	متقارب	٢٧٢ : ٢
تلبّس	ما هدما	»	٢٨١ : ٦
	(م)		
أعجرد	سئومُ	طويل	١٠٠ : ١٠
ما ضرب	نائم	»	١٥٢ : ٧
حامت	أحلم	»	٢٥٠ : ٧

صدر البيت	قافيته	بحره	ص : س
إن امرأ	للائم	طويل	٣٢٩ : ٩
يا شدة	والحرم	بسيط	٦٠ : ١٥
لو كنتم	الحكم	»	٢٩١ : ٩
وقفت	متقدم	كامل	٢٢٥ : ٢٢
أحبتنا	كنتم	متقارب	١٥٦ : ٢
ألم تر	الكلام	وافر	٢٧٩ : ٩
الا متنْ	تقوم	»	٣٢٨ : ٥
ألا أبلغا	لخثعم	طويل	٣ : ٩
تقوه	المزنم	»	١١ : ١٣
رأيت	مرغم	»	١٣٠ : ٥
علاه	الكرائم	»	١٤٤ : ٣
ما غر	عاصم	»	١٥٢ : ٣
جزى الله	المكرم	»	٢٣٥ : ١
إنى لأستحيي	الروائم	»	٢٩٤ : ١٣
حلبوت	متفاقم	»	٣٢١ : ١١
يا دار	والقدم	بسيط	١٢٢ : ٥
أبا إسحاق	الجسيم	وافر	١٧٧ : ١٢
تبسم	التمام	»	٢٨١ : ١٥
الله	القصيم	رجز	٢٨٧ : ٣
بئس	اليم	»	٣٥٥ : ١٤
أيها	بالسلام	خفيف	١٨٣ : ١١
سلمت	مغرم	متقارب	١٢٩ : ١٢
	(ن)		
الا يا عريب	الزمن	متقارب	١٧٩ : ١٢
يا قبح	إنسانا	بسيط	١٦٤ : ١٤
انظر	أظعانا	»	١٩٦ : ١٨

فهرس أنصاف الأبيات

مرتبة بحسب أوائل كلماتها

فهرس أيام العرب

فهرس الأمثال

فهرس أسماء الكتب الواردة فى المتن

فهرس مراجع التحقيق

الاصابة فى أسماء الصحابة لابن حجر (نشرة المكتبة التجارية سنة ١٩٣٩ م) ٢٢٧ : ١٨ .

أمالى القالى (طبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ)
٣٢١ : ١٥ ؛ ١٨ .

جمهرة أنساب العرب لابن حزم (دار المعارف ١٩٦٢ م)
٣٢٧ : ١٧ ؛ ١٨ ؛ ٣٤١ : ٢١

الحيوان للجاحظ (مطبعة مصطفى الحلبى ١٣٥٧ هـ)
٢٦١ : ١٨ .

رغبة الكامل من كتاب الكامل للمرصفى (مطبعة النهضة ١٣٤٦ هـ)
٢٧١ : ٢٢ ، ٢٧٧ : ٢٠

شرح ديوان الهذليين للسكرى (مطبعة مدنى)
٣٤٦ : ٢١ .

الشعر والشعراء لابن قتيبة (مطبعة عيسى الحلبى ١٣٦٤ هـ)
٢٢٧ : ١٨ ، ٢٨٨ : ٢٤

شرح شواهد المغنى للسيوطى (المطبعة الرحمانية ١٣٢٢ هـ)

العقد لابن عبد ربه (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
٢٢٠ : ١٩ .

الكامل للمبرد (مطبعة نهضة مصر ١٩٥٦ م)
٢١ : ٢١ ، ٢٧٠ : ١٨ ، ٢٧٧ : ٢٠

كتاب التنبيه لأبى عبيد البكرى (مطبعة دار الكتب ١٣٤٤ هـ)
٢٢٥ : ٧ ، ٨ .

لسان العرب لابن منظور (المطبعة الأميرية سنة ١٣١٠ هـ)
١٨٨ : ٢٤ ؛ ٢١٧ : ١٧ ، ٣٢٣ : ١٧

مختار الأغانى لابن منظور (الدار المصرية للتأليف والترجمة)
٢٠ : ١٥ ، ٤٦ : ١٧ ؛ ٤٨ : ١٦ ؛ ١٨ ؛ ٨٤ ، ٢٣ ، ٨٦ : ١٨ ؛ ٩٩ : ٢٣ ؛
١٠٠ : ١٦ ؛ ١٠١ : ١٨ ، ١٠٣ : ١٧ ، ١٠٤ : ١٤ ؛ ١٧ ؛ ١٠٥ : ١٤ ،
١١٨ : ٢٠ ، ٢٢ ؛ ١٢٠ : ١٧ و ١٩ ، ١٢٣ : ١٧ ؛ ١٨ ، ٢٠ ؛ ١٢٩ : ١٩ .

معجم البلدان لياقوت (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)
٢٨٩ : ١٩ .

منتهى الطلب من أشعار العرب لمحمد بن المبارك (مخطوطة دار الكتب) ٥٣ أدب ش
٢٧٢ : ٥ ، ٢٨١ : ١٨ ، ٣٥٧ : ١٥ .

مهذب الأغانى للخضرى (مطبعة السعادة ١٩٢٥ م)
٢٩٤ : ١٨ .

التصويبات

ص	س	الخطأ	الصواب
٢٧	١٢	الزبيرى	الزبير
٩٢	٢	قا داهما	قبراهما
١٠٥	٨	الهود	اليهود
١٠٧	١٤	يدل	ينزل
١٥١	٦	أبو عمر	أبو عمرو
١٥٤	٥	خبر بن مجزز	خبر ابن مجزز
١٧٦	٨	تحية الى	تحية الى
١٩٩	٦	الشناء لغريب	الغناء لعريب
٢٤٢	١٤	النهدبة	النهدية
٢٦٠	١٠	دخلى	دخل
٢٨٦	١٨	داود بن الحكم	مروان بن الحكم
٢٩٤	٨	ايل	ابل
٣٠٠	٣	اشطاط	اشطاط
٣١٠	١٦	بتى	بنى
٣٢٢	١٢	يكبد	يكيد
٣٤٣	١	شعر العديل بن	شعر العديل بين

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/١١٢٠٠

I.S.B.N 977-01-3612-3

